مذاهب أهل مصر وعقائدهم

إلى أن انتشر مذهب الأشعرية

لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

قابله بأصوله وأعده للنشر

أيمن فؤاد سيد



الدار المصرية اللبنانية

مذاهب أهل مصر وعقائدهم

إلى أن انتشر مذهب الأشعرية

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، 1365 - 1441.
مذاهب أهل مصر وعقائدهم إلى أن انتشر مذهب الأشعرية/ لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي؛ قابله بأصوله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد.- ط1.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، 2016.
216 ص ؛ 24 سم
تدمك : 0 - 019 - 795 - 977 - 978
1 ـ علم الكلام.
2 ـ الفقه الإسلامي - مذاهب.
أ ـ سيد، أيمن فؤاد (قبل أصوله وأعده للنشر).
ب ـ العنوان . 240
رقم الإيداع : 21077 / 2015

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت ـ القاهرة .
تليفون: 23910250 202+
فاكس: 23909618 202+ ـ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

الطبعة الأولى : ربيع أول 1437هـ ـ يناير 2016م





مذاهب أهل مصر وعقائدهم

إلى أن انتشر مذهب الأشعرية

لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي
٧٦٦ - ٨٤٥هـ
١٣٦٥ - ١٤٤٢م

قابله بأصوله وأعدّه للنشر
أيمن فؤاد سيد

الدار المصرية اللبنانية

فهرست الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

وَضَعَ تَقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادِر المَقْريزي، شَيْخُ مؤرِّخي مصر الإسلامية، المتوفَّى بالقاهرة سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م[1]، إلى جانِبِ مؤلَّفاتِه التاريخية الضَّخْمَة: «المَواعِظ والاعْتِبار» و«السُّلُوك» و«اتِّعاظ الحُنَفا» و«المُقَفَّى الكبير» و«دُرَر العُقود الفَرِيدَة» و«الخَبَر عن البَشَر» و«إمْتاع الأسْماع» ـ عَدَدًا من الرَّسائل الصَّغِيرَة كبيرَة القيمة تَناوَلَ فيها بعضَ القضايا التاريخية والاقتصادية والعِلْمِيَّة[2]. وضَمَّنَ بَعْضَ مؤلَّفاتِه الكبيرة دراسات مركَّزَة Synthèse تناوَلَ فيها بعضَ القَضايا المُهِمَّة بتركيزٍ غير مُخِلّ مثيرٍ للإعْجاب، وعلى الأخَصّ في كتابِه الرَّائِد «المواعِظ والاعْتِبار في ذِكْرِ الخِطَطِ والآثار»، مثل: «أَصْلُ المحاريب واخْتِلافُها» (٤: ٣٧ـ٥٥)، و«الأذان وتَطوُّرُه» (٤: ٨١ـ٩٠)، و«تاريخُ اليهود واخْتِلافُ اعْتِقاداتِهم وفِرَقُهم» (٤: ٩٢٣ـ٩٦٣)، و«قِبْطُ مصر ودُخولُهم في دين النَّصْرانية» و«تاريخ الكَنِيسَة وأسماءُ البَطارِكَة واخْتلافُ فِرَقِ النَّصارَى» (٤: ٩٦٤ـ١٠٨٦). وهي دراساتٌ عَظِيمَةُ القِيمَة اسْتعانَ المَقْريزيُّ في كِتابَتِها بالعَدِيدِ من المصادِرِ الأصْلِيَّة، قد لا يَنْتَبِهُ إلى وُجُودِها الكثيرُ من المُتَخَصِّصين. ومن بين هذه الدِّراسات ما كتبه المقْريزيُّ عن: «مَذاهِب أَهْلِ مصر وعقائِدِهم إلى أنِ انْتَشَرَ مَذْهَبُ الأشْعريَّة» (٤: ٣٦٢ـ٤٥٠)[3]، وهو يُشِيرُ إلى بِدايَة انْتشارِ المَدارِس

---

[1] انظر كتابي: المقريزي وكتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٣م.

[2] المرجع نفسه ٥٨ـ ٦١، ١٠٧ـ ١١٤.

[3] تُشيرُ هذه الإحالات إلى نشرتي الكاملة لكتاب «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» للمقريزي، ١ـ ٥، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٣م.

في مصر على يَدِ الأيُّوبيين السُّنَّة بعد قَضائِهم على الخِلافَة الفاطِمية الشِّيعِيَّة في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م .

مَوْضُوعُ الكِتَابْ

يتناولُ المقريزيُّ في هذا الفَصْلِ مَوْضُوعَين مهمَّيْن ، الأوَّل : «ذِكْرُ مَذاهِبِ أهْلِ مصر ونِحَلِهم منذ فَتْحِ عَمْرو بن العاص ، رضي الله عنه ، أرْضَ مصر إلى أنْ صارُوا على اعْتِقادِ مَذاهِبِ الأئِمة الأرْبَعَة ، رَحِمَهُم الله تعالى ، وما كان من الأحْداثِ في ذلك» ؛ والثَّاني : «ذِكرُ الحالِ في عَقائِد أهْلِ الإسلام منذ ابْتِداءِ المِلَّة الإسْلامِيَّة إلى أنِ انْتَشَرَ مَذهَبُ الأشْعَرِيَّة» مع مَدْخَلٍ تناوَلَ فيه : «ذِكْر فِرَقِ الخَلِيقَة واخْتِلاف عَقائِدها وتبائُنِها» .

وأوْضَحَ المقريزيُّ في المَوْضُوع الأوَّل سَبَبَ اخْتِلافِ الأمَّة منذ وَفاة النَّبيّ ﷺ إلى أنِ استَقرَّ العَمَلُ على مَذَاهِب مالِك والشَّافِعي وأبي حَنِيفَة وأحمد بن حَنْبَل ، «حتى لم يَبْق في مجموعِ أمْصارِ الإسْلام مَذْهَبٌ يُعْرَفُ من مَذاهِبِ أهْلِ الإسْلام سوى هذه المَذاهِب الأرْبَعَة» (فيما يلي ٥٠) . أمَّا المَوْضُوعُ الثَّاني فقد تناوَلَ فيه اخْتِلافَ عَقائِد أهْلِ الإسلام منذ كان ، إلى أنِ الْتَزَمَ النَّاسُ (في الأراضي الواقعة غربيّ خُراسان) عقيدَةَ أبي الحسن الأشْعَري ، وقَدَّمَ له بدراسةٍ مهمَّةٍ عن فِرَقِ الخليقَة واخْتِلافِ عقائِدها وتَبائُنِها ، أوْضَحَ فيها أنَّ فِرَقَ المسلمين خَمْس : «أهْل السُّنَّة» ، و«المُرْجِئَة» ، و«المُعْتَزِلَة» ، و«الشِّيعة» ، و«الخوارِج» . «وافْتَرَقَت كُلُّ فِرْقَةٍ منها على فِرَقٍ ، وأنَّ أكثرَ اخْتِلافِ أهْلِ السُّنَّة في الفُتْيا ونُبَذٍ يسيرةٍ في الاعْتِقادات .

أمَّا بَقيَّةُ الفِرَق الأرْبَعَة فمنها مَنْ يُخالِفُ أهْلَ السُّنَّة الخِلافَ البعيد ، ومنها مَنْ يخالفُهم الخِلافَ القريب» (فيما يلي ٥٥) ، واسْتَعْرَضَ آراءَ هذه الفِرَقِ الكلامية حتى

وَصَلَ إلى تَرْكِ أبي الحسن الأشْعَري لمَذْهَبِ الاعْتِزال واخْتِلافِه مع مَذْهَبِهم، ثم ظُهورِ أهْلِ مَدْرَسته الذين نُسِبَ إليهم المَذْهَبُ الأشْعَري وكانوا وراء تَطْويره وانتشاره أمثال: أبي بكر الباقِلاّني وأبي بكر محمد بن الحسن بن فُورَك وأبي إسحاقِ الإسْفَراييني وأبي إسحاقِ الشّيرازي وإمام الحَرَمَين الجُوَيْني وأبي حامدٍ الغَزالي وغيرهم، مع تبنّي القوى السياسية السُّنّية الجديدة مُمَثَّلةً في السَّلاجِقَة والنُّورِيين وخلفائهم الأيُّوبيين للمَذْهَب وإذاعَتِه والذي كان السَّبَبَ في اشْتِهارِه وانتشاره في أمصار الإسلام الناطِقة بالعربية (حيث سادَ المَذْهَبُ الماتُريدي «ويقالُ لأتباعِه الماتُريدِية[1]» أقطارَ الإسلام غير الناطقة بالعربية في آسيا الوسطى وما وراء النهر والهِنْد، وهي المواضع التي لم يصل إليها مَذْهَبُ الحنابلة بحالٍ من الأحوال).

وأشار بعد ذلك إلى ظهور تَقِيّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة بعد السَّبْع مئة من سنيّ الهجرة واشتهارِ أمْرِه بدِمَشْق وانتصارِه لمَذهبِ السَّلَفِ ومُبالَغَته في الرَّدِّ على مَذْهَبِ الأشاعِرَة وعلى الرافِضَة والصُّوفِيَّة، وافْتِراقِ الناس فيه فريقان: فريقٌ يُعَوِّلُ على أقْوالِه، وآخَرٌ يُبَدِّعُه ويُضَلِّلُه، وذكر أنَّ له في زَمانِه (منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) عِدَّةَ أتْباعٍ بالشّام وقليلاً بمصر (فيما يلي ١٠٨).

---

[1] الماتريدية مدرسة الكلام السني الثانية بعد الأشعرية وهم أحناف في الفروع بعكس الأشعرية الذين كانوا شافعية في الفروع والخلاف بينهما خلاف عرضي في ثلاث عشرة مسألة. وفي حين اعترف الماتريدي بحرية الإرادة عند الإنسان وفقا للقاعدة التي وضعها الإمام أبو حنيفة، دافع الأشعري على الأخص عن القول بعدم تقييد إرادة الله. وإذا كان الأشاعرة هم الوسط بين أهْلِ الحَدِيث والمعتزلة فإن الماتريدية هم الوسط بين الأشعرية والمعتزلة. (راجع على الأخص W. MADELUNG, *EI*² art. *al- Maturidi & al-Maturidiyya* VI, pp.836-39; F. SEZGIN, *GAS* I, pp.604-6؛ وفيما يلي ١٠٩).

التَّطَوُّرُ الفِكْري والعَقَدي قبل ظُهورِ الأشْعَرِي

كان أهْلُ الحَدِيث ومِنْ بَعْد الحَنابلة يعملون بطريقةٍ تدريجيةٍ على ترسيخ وَضْعِهم كمُدافِعين عن الإسلام السُّنِّي داعين إلى إعْلاء سُلْطَة الوَحْي لدَعْم تفسيرهم التَّقْليدي للإسلام.

وفي نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كان العَرَبُ في ظِلِّ التَّعاليم الإسلاميةِ بمنحًى عن تأثيرات الفَلْسَفَة وتيّاراتها العَقْلِيّة، ولكن مع تَبَنِّي الخليفة المأمون العبّاسي (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) لحَرَكة الترجمة في بَيْتِ الحِكْمَة وإرْساله في طَلَبِ كتب وتراث اليونان من بيزنطة وتكليفه للنَّقَلَة والمترجمين بنقلها إلى العربية، غَزَت الفَلْسَفَةُ اليونانيةُ والمَنْطِقُ الأرِسْطي الفِكْرَ العربي الإسلامي ووَضَعَتْه أمامَ تحدِّيات كثيرة لا عَهْدَ له بمثلها من قَبْل[١].

ونتيجةً لذلك أصْبَحَ المُعْتَزِلَةُ[٢] هم ممثّلي الفِكْر الحُرّ في الإسلام ويتقدَّمون بحُجَجٍ قويَّةٍ للتَّوْفيقِ بين العَقْلِ والوَحْي، الأمْر الذي من شأنه فَتْح مجالِ التَّطَوُّر للمُعْتَقَدات الدِّينية تبعًا لمُقْتَضيات العَصْرِ، ولذلك حَظَوْا بدَعْمِ الشِّيعَة، فقد آمَنَ المُعْتَزِلَةُ، كأسْلافِهم القَدَرِيَّة في أواخِر العَصْر الأمَوي، بمبادئَ وأصولٍ لم تَخْلُ من مَضامينَ ومَفاهيمَ ذات صِلَةٍ بقضايا العَصْر[٣].

---

[١] راجع لمزيد من التفصيل: D. GUTAS, *Greek Through, Arabic Culture. The Graeco - Arabic Translation Movement in Baghdad and Early' Abbasid Society (2nd - 4th / 8th - 10th Centuries)*, London - New York 1998.

[٢] انظر النديم: كتاب الفهرست ١: ٥٥٥-٦٢٠؛ وفيما يلي ٥٦-٦٨.

[٣] A.H. SHA'BN, *Islamic History*, pp. 43-44.

فحقيقةُ الأمْر أنَّ جَوْهَرَ الخِلافِ بين المُعْتَزِلَة وأهْلِ الحَديث من السَّلَف، هو سُلْطَةُ العَقْل ومَداها وحُدودُها، فكانت المُعْتَزِلَةُ أوَّلَ فِرْقَةٍ إسلاميةٍ تحرَّرَت من نَزَعات الفُقهاء، الأمْر الذي جَعَلَ عِلْمَ الكلام أو عِلْمَ العَقَائِد يَدْخُلُ في دَوْرِ التَّحَرُّر من الفِقْه، فكانوا هم الفِرْقة الكلامية الوحيدة التي تُعالجُ الكلامَ وَحْدَه بين الفِرَقِ الخمسة الكبرى التي انْقَسَمَ إليها المسلمون آنذاك (السُّنَّة ـ المُعْتَزِلَة ـ المُرْجِئَة ـ الشِّيعَة ـ الخَوارِج) وقالوا إنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصيب في الفُروع، وكانوا مُتَّفِقين في العبادات مع أهْل السُّنَّة[1].

وفي إطار سياسات الخَليفَة المأمون الإصْلاحية تَبَنَّى عَقائِدَ وأفْكارَ المُعْتَزِلَة بصورَةٍ رسميةٍ، وعلى الأخَصّ قولَهم بـ «خَلْق القُرْآن»، وبالتالي لا يمكن أنْ يكون أزَلِيًّا مثل الله، ممَّا يتعارَضُ مع فكْرَةِ القِدَم ومبدأ «التَّوْحيد» الذي عَدَّه المُعْتَزِلَةُ الأصْلَ الأوَّل من أصُولِهم الخَمْسَة[2]. وبالتَّالي كان يجب إعْطاءُ العَقْل مكانته اللائقة لإتاحة المجال أمامَ تَطَوُّرِ الفِكْرِ الدِّيني دون عائق، على عكس ما كان يدعو إليه أهْلُ الحَديث والحَنابِلَةُ المُحافِظون.

ولم يكن المأمونُ سياسيًّا بارِعًا فحسب، إنَّما كان في الوَقْت نفسه حاكِمًا تَقَدُّمِيًّا، وظلَّ يعمل طوال عَقْدٍ كامِلٍ لإقْناعِ خُصومِه المُتَزَمِّتين بملاءَمَة هذه التسوية الفِقْهِيَّة، إلَّا أنَّ جُهودَه لم تُفْلِح، فاضطرّ قبل وَفاتِه بعِدَّة أشهر أنْ يَعْرِضَ ما آمَنَ به، سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م، وألْزَمَ جَميعَ أصحاب المناصِب في بَغْداد بصورةٍ عامَّةٍ بما عُرِفَ في التاريخ باسم «المِحْنَة» أو «مِحْنَةُ خَلْقِ القُرْآن». وكان أحمد بن حَنْبَل أحد

---

[1] آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١: ٣١٣، ٣٣١.

[2] راجع القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، الجزء السابع: خلق القرآن، باعتناء إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٦١م؛ D. GIMARET, «Les *Usul al-hamsa* du Qadi Abd al Gabbar et leurs Commentaires», *An. Isl*, 15 (1979) pp.47-96.

القلائل الذين رَفَضُوا القَوْلَ بذلك حتى تحت التَّعْذيب[1] الأمرُ الذي جعله مثلًا عاليًا للبُطولَة ورَفَعَه في نَظَرِ العامَّة إلى مصافِّ الأوْلِياء وأثارَ عَطْفَ النَّاسِ عليه. ومع أنَّ هذه المِحْنَة استمرَّت قرابة الخمس عشرة سنة في ظِلِّ خليفتي المأمون: المُعْتَصِم والواثِق (٢١٨-٢٣٢هـ/٨٣٣-٨٤٧م)، فإنَّها ساعَدَت الحَنابِلَة على الاحْتِفاظِ بموقفهم ودَعْمِه، ثم مكَّنتهم في النهاية على إرْغام السُّلْطَة على التَّخَلِّي نهائيًا عن هذه السياسة. هكذا أدْرَكَ الخَليفةُ المُتَوَكِّلُ (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) أنَّ الاسْتِمْرارَ في دَعْمِ المُعْتَزِلَة لم يُحَقِّق أيَّةَ نتائجَ ملموسة أمامَ مُقاوَمَة أهْلِ الحَدِيث والحَنابِلَة الذين كانوا يعدُّون في ذلك الوَقْت عند العامَّة ممثِّلي الإسلام الحقيقي، فالملاحظ أنَّ أغْلَبَ الذين انْجَذَبوا إلى مَذاهِب الحَشْوية والحَنابِلة والكَرّامية (فيما يلي ١٠٢) كانوا من الفلاَّحين والعوامّ، فقرَّرَ المُتَوكِّلُ إعلانَ عَوْدتِه إلى مَذْهَبِ أهْلِ السُّنَّة بطريقةٍ رسميةٍ.

ولتأكيد موقفه قام بقْدرٍ من الإجراءات لكَسْبِ تأييد ودَعْم القُوَى المُعارِضَة من بينها: تدابير معادية للشِّيعَة، كما انتَهج سياسة تَمْييز ضِدّ أهْلِ الذِّمَّة فمَنَعَ من

---

[1] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٨: ٦٣١-٦٤٥؛ ابن خلدون: كتاب العبر ٢: ٢٤١؛ وانظر كذلك: W. PATTON, *Ahmed Ibn Hanbal and the Mihna. A Biography of the Imam including account of the Mohammedam inquisition called the Mihna 218-234*, Leiden - E.J. Brill 1897. (نقله إلى العربية عبد العزيز عبد الحق بعنوان: «أحمد بن حنبل والمِحْنَة»، القاهرة - دار الهلال ١٩٥٨م)؛ J. VAN ESS & CL. GILLOT, «Ibn Kullab et la Mihna» *Arabica* 37 (1990), pp.173-233؛ فهمي جدعان: المِحْنَة: بحث في جدلية الدين والسياسة في الإسلام، عمّان - دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٨٩؛ JOHN A. NAWWAS, «A Reexamination of Three Current Explanations for al - Ma'mun's Introducation of the Mihna», *IJMES* 26 (1994), pp.615-29; ID., «The Mihna of 218 A. H. /833 A. D. Revisited: An Empirical Study», *JAOS* 116 (1996), pp. 698-708; M. HINDS, *EI*² art. *Al-Mihna* VII, pp.2-6.

اسْتِخْدامهم في الدَّواوين وفَرْضَ ضَرائِبَ على منازلهم ، الأمر الذي لقي مُعارَضَةً واسعةً من أهل الذِّمَّة وعلى الأَخَصّ في بلاد الشَّام [١].

لاشَكَّ أنَّ المُعْتَزِلَة أثاروا بسوء تَصَرُّفهم عامَّة الشَّعْب وألَّبوا عليهم جُمْهورَ الأُمَّة ، فقد بدأوا باسْتِفْزازِ رِجالِ الحَدِيث ومَنَعوهُم من تَدْرِيسه وقطعوا عنهم أُعْطياتهم ، لهذا أصبح المُحَدِّثُون أشَدَّ أعْداء الاعْتِزال ولم يَدَّخِروا وُسْعًا ولا مجهودًا في مقاومته ، وراحَ المُعْتَزِلَةُ كذلك يرُدُّون مَنْ يخالِفَهم في الرأي من أهْلِ السُّنَّة ويدعونهم الحَشْوِيَّة ، ثم تمادَوْا في ذلك فصاروا يَرْفُضون شهادتهم ويكفِّرونهم .

وأخيرًا كان من أمْرِهِم إعلانُ المِحْنَة التي تُمَثِّلُ أكبر أخطاء المُعْتَزِلة وزعيمهم في ذلك الوقت القريب من المأمون ، القاضي أحمد بن أبي دُؤاد المسئول الأوَّل عن المِحْنَة ؛ لأنَّهم خالفوا فيها مبادءهم وهَدَموا أعْظَمَ رُكنٍ من أرْكانِ مَذْهَبِهم وهو «حرِّية الفَرْدِ في اخْتِيارِ أفْعالِه» فناقضوا بذلك أنفسهم وعارَضوا تعاليمَهُم ، فبعد أنْ كانوا يفتخرون بنُصْرَةِ حُرِّيَّة الرأي ويدعون إلى التحرُّر الفكري ، أصبحوا بعد المِحْنَة حَرْبًا على حُرِّية الرأي وقوُّوا النَّزْعَة الرَّجْعِيَّة في الأمَّة وأثاروا فيها رُوحَ التَّعَصُّب .

ويرى زهدي حسن جار الله أنَّ تلك المِحْنَة تكادُ تُشْبه محاكم التَّفْتيش التي قامت فيما بعد في أسبانيا ، وإنْ كانت أخَفَّ منها وطأةً وأضْيَق نطاقًا وأقصرَ أمَدًا [٢].

هكذا جاءت المِحْنَةُ بنتائج عكسية اسْتَثْمَرها أهْلُ الحديث والحَنابِلَة لفَرْضِ مَذْهَبِ أهل السُّنَّة والجماعَة ، إلَّا أنَّه برَغم إدانَة الدَّوْلَة للاعْتِزال ، في عَهْدِ

---

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩: ١٧١-١٧٥.

[٢] راجع زهدي حسن جار الله: المعتزلة ١٧٩-١٨٢.

المُتوكِّل، فقد احْتَفَظَ المُعْتَزِلَةُ بنُفُوذٍ فكري واجْتمَاعي في حَواضِر مهمَّة مثل الرَّي وبَغْداد والبَصْرَة، واسْتَمَرَّ المَذْهَبُ في تَطَوُّره على يد رجالٍ من أمْثال: أبي الهُذَيْل العَلّاف، وإبراهيم النَّظّام وعَمْرو بن بحرٍ الجاحظ وأبي الحُسَيْن الخَيَّاط وأبي القاسم الكعبي البلْخي والجُبّائيين: أبي علي وأبي هاشم[1]، وفي مرحلةٍ متأخرةٍ مع القاضي عبد الجبّار وأبي الحسين البَصْري وأبي رَشيدٍ النَّيسابوري وأبي محمد الحسن بن أحمد بن مَتُّوَيْه[2]، غير أنَّه ابْتَعَدَ عن السياسية العبَّاسية وعادَ مَسيرَته الأولى باعْتباره مَدْرسةً فكريةً ليس إلَّا؛ يقولُ القاضي عبد الجبَّار بن أحمد الهَمَداني شيخ المعتزلة، المتوفَّى سنة ٤١٥هـ/ ١٠١٤م: «والسَّبَبُ في قِلَّةِ عَدَدِ أصْحابِنا من العوامّ ما اتَّفَقَ من بني أُمَيَّةَ من إظْهار الجَبْرِ والتَّمَسُّك به والدُّعاءِ إليه لموافقته لطَرِيقَتِهِم. وفَشا ذلك في الخاصَّة والعامَّةَ فظَهَرَ الجَبْرُ والتَّشْبيه واستمرَّ الخوفُ من إظهارِ خِلافِه، وإلاَّ فإذا ذُكِرَ أهْلُ الفَضْلِ من أجناس العلوم وَجَدْتَ الأكثر منهم من أصْحابنا. ولمَّا كان من أصْحابِنا بعد ذلك انْقِباضٌ إنَّما لخَوْفٍ ممَّا جَرَى على غَيْلان [الدِّمَشْقي] والحسن [البَصْري] وواصل [بن عَطاء] وعَمْرو [بن عُبَيْد]، أو لصِيانَة الدِّين وترك مُخالَطَة الظَّلَمَة واستمرَّ ذلك الانقِباض، قلَّ العَوامُّ فينا لهذا السَّبَب»[3].

---

[1] راجع النديم: كتاب الفهرست ١: ٥٥٥-٦٣٠؛ أبا القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٦٣-١١٩، ٢١٣-٣٤٥.

[2] الحاكم الجشمي: فضل الاعتزال ٣٦٥-٣٩٣؛ ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ١١٢-١٤٠.

[3] القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٣٤٥ و٣٩٣.

ظُهورُ الأشْعَري

في وَسَطِ هذه الظُّروف الفكرية والعَقديَّة المضطرِبَة عاشَ أبو الحَسَن عليّ بن إسماعيل بن أبي بِشْر إسحاق بن سالِم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بِلال بن أبي بُرْدَة عامِر بن أبي موسى عبد الله بن قَيْس الأشْعَري البَصْري، المتوفَّى ببغداد على الأرْجَح سنة ٣٢٤هـ/٩٢١م[١]، الذي بدأ حياتَه مُعْتَزِليًّا وكان رَبِيبًا لواحِدٍ من كبارِ مَشايخ المُعْتَزِلَة هو أبو عليّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائي، المتوفَّى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، كما كان قرينًا لوَلَدِه أبي هاشم الجُبَّائي ونشأ معه وتأثَّر بأبي علي الجُبَّائي وبأفْكارِ وآراءِ المُعْتَزِلَة مُدَّةً قارَبَت الأربعين عامًا، إلى أنْ بدَا له أنْ يَتْرُكَ مَذْهَبَ الاعْتزال والقَوْلَ بالعَدْلِ وخَلْقِ القُرْآن، فرَقى كُرْسِيًّا في المسْجِدِ الجامِع بالبَصْرَة في يوم جُمْعَة، سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، ونادَى بأعْلى صَوْتِه: «مَنْ عَرَفَني فقد عَرَفَني، ومَنْ لم يَعْرفني فأنا أعَرِّفَه نَفْسي: أنا فُلانُ ين فُلان، كنتُ أقولُ بخَلْقِ القرآن وإنَّ الله لا يُرَى بالأبْصار وإنَّ أفْعالَ

---

[١] أهم مصادر ترجمة أبي الحسن الأشْعَري، ابن عساكر: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشْعَري، نشره حسام الدين القدسي، دمشق، ١٣٤٧هـ؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٤٧-٤٤٤؛ إضافة إلى النديم: كتاب الفهرست ١: ٦٤٨-٦٤٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام ١٣: ٢٦٠-٢٦١؛ ابن الجوزي: المنتظم ٨: ٢١٩-٢٢٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٨٤-٢٨٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٧: ٤٩٤-٤٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٥: ٨٥-٩٠؛ ومن الدراسات الحديثة، حمودة غرابة: الأشعري، أبو الحسن، القاهرة ١٩٤٧م؛ جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، القاهرة، ١٩٧٧م؛ والإمام أبو الحسن الأشعري - إمام أهل السنة والجماعة، ١-٤، القاهرة - مركز الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ٢٠١٤م؛ ومقال بشار عواد معروف فيه ين صفحتي ١: ٥٧-٨١؛ W. MONTGOMERY WATT, *EI*[2] art. *al-Ash'ari* I, pp.715-16؛ وفيما يلي ١٠٥-١٠٦، ١١٠-١١٤.

الشَّرَّ أنا أفْعَلُها ؛ وأنا تائِبٌ مُقْلِعٌ مُعْتَقِدٌ للرَّدِّ على المُعْتَزِلَة ، مُخْرِجٌ لفَضائِحِهم ومَعايِبِهم»[١].

كان انْشِقاقُ الأشْعَري عن المُعْتَزِلَة نُقْطَةً فارِقَةً في تاريخهم وضَرْبَةً محكمةً وُجِّهَت إليهم ، إذْ أخَذَ يَرُدُّ عليهم ويُظْهِرُ فضائِحَهم ، فقد كان واحدًا من كبرائهم وصَحِبَهم أربعين عامًا فوَقَفَ على دَخائِلِهم وأتْقَنَ طُرُقَهم في الجَدَل فَعَرفَ كيف يَدْحَض أقْوالَهم .

حقيقةً سَبَقَ الأشْعَري كثيرون انْفَصلوا عن المُعْتَزِلَة وحارَبوهم ولكنَّهم لم يُمَثِّلوا خَطَرًا كبيرًا على كيانهم ، فلم يكن تَخَلِّي أبي الحَسَن الأشْعَري عن مَذْهَبِ المُعْتَزِلَة مثل مَنْ سَبَقُوه في ذلك وانْقَطَعُوا عن المُعْتَزِلَة من قَبْلِه والذين تَطَرَّفَ بعضُهُم في أقْوالِه وخَلَّطَ كبَشَّارِ بن بُرْد وفَضْلٍ الحَذَّاء وابن حائِط ، فلم يقبَلْهُم أهْلُ السُّنَّة ولم يتعاونُوا معهم ؛ أو الذين ارْتَموا في أحْضانِ الشِّيعة الرَّافِضَة كأبي عيسى الوَرَّاق وابن الرَّوَنْدي الذي «لم يكن في زمانِه أحْذَقُ منه بالكلام ولا أعْرَف بدَقِيقهِ وجَليلِه»[٢]؛ ولكنَّه سَلَكَ طَرِيقَ أبي محمد عبد الله بن محمَّد بن سعيدِ بن كُلَّاب ، المتوفَّى نحو سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م ، أحَدَ مُعارِضي المُعْتَزِلَة[٣]، كان مع أبي العبَّاس القَلانِسي

---

[١] النديم: كتابُ الفهرست ١:٦٤٨-٦٤٩؛ ابن الجوزي: المنتظم ٨: ٢١٩-٢٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٧: ٤٩٤-٤٩٥؛ وفيما يلي ١١٠.

وأوْرَدَ ابن عساكِر والسُّبكي روايةً أخرى لتحوُّل أبي الحسن الأشْعَري تعودُ إلى رُؤْيته للنبيِّ ﷺ ثلاث مَرَّات في نَوْمِه آمِرًا له بنُصْرَة المَذاهِب المَرْوِيَّة عنه ، فإنَّها الحَقّ وواعِدًا له في المَرَّة الأخيرة بتأييد الله له . (ابن عساكر : تبين كذب المفتري ٣٨-٤٣؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٤٨-٣٤٩).

[٢] العباسي : معاهد التنصيص وشواهد التلخيص ١: ٥٧-٥٨، نقلا عن محاسن خُراسان لأبي القاسم البَلْخي؛ زهدي حسن جار الله : المعتزلة ١٩٣-٢٠٣؛ علي فهمي خشيم : الجبائيان ، أبو علي وأبو هاشم ، طرابلس ١٩٧٠م، ٣٦٠-٣٦٧.

[٣] فيما يلي ١٠٥هـ، ١١٠، وانظر كذلك J. VAN ESS «Ibn kullab et la mihna», *Arabica* 37 (1990), pp.173-233; ID, *EI*[2] ؛art. *Ibn Kullab*, Suppl. 5-6, pp. 391-92

والحارِث بن أسَدِ المُحاسِبي من جُمْلَة السَّلَف[١]، إلّا أنَّهم، كما يقولُ الشَّهْرِسْتاني: «باشَرُوا عِلْمَ الكلام، وأيَّدُوا عَقائِدَ السَّلَفِ بحُجَجٍ كلامِيَّة وبَراهينَ أصُوليَّة ... حتى صارَ ذلك مَذْهَبًا لأهْلِ السُّنَّة والجماعَة»، وهو ما يُمَيِّزُ المُتكَلِّمين من السَّلَفِ عن أهلِ الحَديثِ من المُشَبِّهَة[٢]. فأيَّدَ أبو الحسن الأشْعَري مَقالاتهم بالحُجَجِ الكلامية، وأثْبَتَ الصِّفاتَ القائمة بذاتِ الله تعالى من العِلْم والقُدْرَة والإرادة والحياة التي بها يَتِمُّ دَليلُ التَّمانُع وتَصِحُّ المُعجِزاتُ للأنْبِياء[٣].

هكذا أعْلَنَ أبو الحَسَن الأشْعَري التجاهَه إلى أهْلِ السُّنَّة وأعْلَنَ تَوْبَتَه ورُجوعَه إلى العَقِيدَةِ السَّليمَة - في رأيه - وإلى أقْوالِ السَّلَفِ الصَّالِح، مع الاحْتِفاظِ بالحُجَجِ الكلامية والبَراهينِ الأصُوليَّة للتَّدْليلِ على العقائد الإيمانية، مُتَّخِذًا طريقًا وَسَطًا بين أهْلِ السَّلَفِ وأهْلِ الاعْتِزال، فنَفَى التَّشْبيه وأثْبتَ الصِّفاتِ المَعْنوية وقَصَرَ التَّنْزيهَ على ما قَصَرَهُ عليه السَّلَفُ[٤]، فأصْبَحَ بذلك مُؤَسِّسَ عِلْمِ الكلامِ السُّنِّي الذي تَبَنَّى مَنْهَجَ التَّوَسُّط بين العَقْلِ والنَّقْل؛ لأنَّه وَجَدَ أنَّ الاقْتِصارَ على ناحِيةٍ واحِدَةٍ منهما هو الذي أدَّى إلى التَّناحُر بين هذه الفِرَق: الفُقَهاء والمُحَدِّثُون من ناحِيةٍ والمُعْتَزِلَة وأهْلِ العَقْلِ من ناحِيةٍ أخرى.

وإذا كانَ عِلْمُ الكلام في أصْلِهِ، كما عَرَّفَه ابنُ خَلْدون، هو عِلْمٌ يَتَضمَّن الحِجاجَ عن العَقائِد الإيمانية بالأدِلَّةِ العَقْلِيَّة[٥]، فقد قامَ عِلْمُ الكلام السُّنِّي، كما

=حسن محرَّم الحويني: «عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب شيخ أبي الحسن الأشعري - حياته ومكانته بين أئمة أهل السُّنَّة»، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشعري، إمام أهل السنة والجماعة، ١: ١٢٧-١٧٢. وانظر كذلك أحمد عجيبة: «أسباب تحوُّل الإمام الأشْعَري عن المعتزلة» المرجع السابق ١: ١٧٣-٢٣٢.

[١] ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢: ٢٥١.

[٢] الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٨٥.

[٣] ابن خلدون: كتاب العبر ٢: ٢٥١.

[٤] نفسه ٢: ٢٤١.

[٥] نفسه ٢: ٢٢٩، ٢٤٤.

أسَّسَه عُلَماءُ المَذْهَب الأشْعَري فيما بعد على عدم التَّمادي في التَّأويل معَ البُعْدِ في الوَقْتِ نَفْسِه عن التَّشْبيه، فهم يرون أنَّ الاقْتِصار على قضايا الفُقَهاء والمُحَدِّثين يَجْعَلُ الدِّين قضايا جامِدَة، والاقتصارُ على آراء المُعْتَزِلَة الكلامِيَّة يجعلُ الدِّين قَضايا عَقْلِيَّة وبراهِينَ مَنْطِقيَّة[1].

ولمَّا كان الدِّينُ يُخاطِبُ العامَّة والخاصَّة لَزِمَ إيجادُ مَنْهَجٍ وَسَطٍ يَجْمَعُ بين الطَّريقتين، كان الذي تولّى هذا المَنْهَج أبو الحَسَن الأشْعَري، فتَوَسَّطَ بين الطُّرُق ونَفَى التَّشْبيه وأثْبَتَ الصِّفاتَ المعنوية القائمة بذات الله تعالى من العِلْم والقُدْرَة والإرادَة والحياة التي يَتِمُّ بها دَليلُ التَّمانُع وتَصِحُّ المُعْجزاتُ للأنبياء، وقَصَر التَّنْزيه على ما قَصَرَهُ عليه السَّلَفُ، حتَّى نستطيعُ القولَ أنَّ الإمَامَ أبا الحسن الأشْعَري كان هو المُجَدِّدَ الذي بَعَثَهُ الله على رأسِ المئة الرابعة ليُجَدِّدَ للأمَّة أمْرَ دِينِها.

هكذا وَجَدَ أبو الحسن الأشْعَري أنَّ نُصْرَةَ الدِّين تقتضي الجَمْعَ بين الحَدِيث والفِقْه من جانب، وبين علم الكلام من جهَةٍ أخرى. ممَّا يُعَدُّ مَوْقِفًا جديدًا تمامًا؛ لأنَّ السَّلَفَ السَّابقين عليه كانوا يُعادون عِلْمَ الكلام، فخالَفَهُم في ذلك لأنَّه دَرَسَ عِلْمَ الكلام على أيْدي المُعتَزِلَة قَرابَة الأربعين عامًا وأفادَ منهم الكثير، في الوَقْت نفسه الذي تَرَدَّدَ فيه على حَلْقَةِ أبي إسْحاقِ المَروزي، إبراهيم بن أحمد شيخ الشافعية وفقيه بَغْداد، المتوفَّى بمصرَ سنة ٣٤٠هـ، ليأخذ الفِقْهَ والحديثَ وكذلك على زكريا بن يحيى السَّاجي إمام أهل البَصْرَة، المتوفَّى سنة ٣٠٧هـ، الذي أخَذَ عنه تحرير مقالة أهْلِ الحَدِيث والسَّلف[2].

---

[1] جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها ١٨٧-١٨٨.

[2] الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢: ٧٠٩، وفيما يلي ١١١.

ولمَّا كان كِتابُ «الإبانَة عن أصُولِ الدِّيانَة»، والذي سمَّاه النَّديم «التَّبيين عن أصُولِ الدِّين»[١] ـ تَبْعا لكثيرٍ من المؤرِّخين ـ آخِرَ مؤلَّفات أبي الحسن الأشْعَري كتبه في بغداد في بيئةٍ يُهَيْمِنُ عليها أهلُ الحديث والحنابلة، وهو عِبارَة عن مختصرٍ عَقَدي عَرَضَ فيه مَذْهَبَه في صورةٍ نهائيةٍ وجادَلَ فيه بتَعَصُّبٍ واضِحٍ الأفكارَ والآراءَ الاعْتِزالية المُعارِضَة[٢]، بحيث تبدو صِلَةُ الأشْعَريّ بالمَنْهجِ العَقْلي في مُقَدِّمَة هذا الكتاب مَشْكوكًا فيها، حيث يقولُ:

«قولُنا الذي نَقُولُ به ودِيانَتُنا التي نَدينُ بها، التَّمَسُّكُ بكتابِ رَبِّنا ـ عَزَّ وجَلَّ ـ وسُنَّة نَبيِّنا ﷺ، وما رُوِي عن الصَّحابَةِ والتَّابعين وأئِمَّة الحَدِيثِ؛ ونحن بذلك مُعْتَصِمون، وبما كان يقولُ به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حَنْبَل ـ نَضَّرَ الله وَجْهَهُ ورَفَعَ دَرَجَتَه وأجْزَلَ مَثُوبَته ـ قائِلون، ولمن خالَفَ قَوْلَه مُجانِبون؛ لأنَّه الإمامُ الفاضِلُ والرَّئيسُ الكامِلُ الذي أبانَ الله به الحَقَّ وَدَفَعَ به الضَّلالَ وأوْضَحَ به المِنْهاجَ وقَمَعَ به بِدَعَ المُبْتَدِعِين وزَيْغَ الزَّائِغين وشَكَّ الشَّاكين، فرَحمَةُ الله عليه من إمامٍ مُقَدَّمٍ وجَليلٍ مُعَظَّمٍ وكبيرٍ مُفَخَّمٍ»[٣].

هكذا نجِدُ أنْفُسَنا في نهاية مَطافِ أبي الحَسَن الأشْعري أمامَ شَخْصٍ يُعْلِنُ بوضُوحٍ عن حَنْبَلِيَّتِه وكأنَّه من أتْباعِ أحمد بن حَنْبَل المُخْلِصين، ممَّا يجعلُنا لا نَفْتَرِضُ اسْتِعْدادَه للتوَسُّط. وَنَراهُ كذلك يقولُ بالتَّجْسيم والتَّشْبيه مُوافِقًا في ذلك لأهْلِ

---

[١] النديم: كتاب الفهرست ١: ٦٤٩، وفيما يلي ١١١.

[٢] من هنا اعتمد كثيرٌ من أعلام الحنابلة على كتاب «الإبانة» واستشهدوا بأقوال الأشْعَري فيه مثل: ابن تَيْمِيَّة وابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، وشمس الدِّين الذَّهَبي والحافظ ابن كثير (راجع: فتحي عبد الرازق: «نظرات في كتاب الإبانة عن أصول الديانة»، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السنة والجماعة ٢٩٣ـ٢٩٨).

[٣] الأشعري: «الإبانة عن أصول الديانة»، تحقيق وتعليق فوقية حسين محمود، القاهرة ـ دار الأنصار ١٩٧٧م، ٢٠.

الحَدِيث والحَنَابلَة ، إلَّا أنَّه اسْتَدْرَكَ بأنْ لا يَصح أنْ نَعْني بالوَجْهِ والقَدَمَيْنِ وأمْثالِ ذلك مُشابَهَةً لأعضاء الجِسْم الإنْساني وأنَّ كلَّ هذا يجبُ أنْ يُفْهَمَ بلا كَيْف ، وهو ما لا يُخالِفُ المَذْهَبَ السُّنّي القديم الذي يَفْهَم هذا الأمْر على هذا النَّحْو [١] ، أي «تَفْويض المُرادِ بها إلى الله والسُّكُوتِ عن فَهْمِها» [٢].

ولم يكتف أبو الحسن الأشْعَري بالقَوْلِ بما كان يقولُ به أحمد بن حَنْبَل في كتابه «الإبانة» بل إنه يقول في ختام ما أَوْرَدَهُ في «مقالات الإسْلاميين» حول «جُمْلَة قولِ أصحابِ الحَدِيث وأَهْلِ السُّنَّة» : «وبكل ما ذكرنا من قَوْلهم نقولُ وإليه نَذْهَبُ» [٣]. وفعل الأشْعَري الشيءَ نَفْسَهُ في «رِسَالَة إلى أَهْلِ الثَّغْر» حتى أنَّ ابن تَيْمِيَّة نَقَلَ أكثر من نصف هذه الرِّسَالَة في كتابه «دَرْء تَعارُضِ العَقْلِ والنَّقْل» لِيَحْتَجَّ بها على صِحَةِ مَذْهَبِ السَّلَف [٤].

وحقيقةُ الأمْر أنَّ الإمامَ أحمد بن حَنْبَل لم يُعْتَبَر حتَّى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي صاحِبَ مَذْهبٍ فِقْهِيّ خاصّ ، فالنَّديم ـ وهو يكتبُ في شعبان سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ـ عَدَّ المذاهِبَ الفِقْهِية المشهورة في وَقْتِه هي : مَذْهَب الإمام مالِك بن أَنَس ومَذْهَبُ الإمام أبي حَنِيفَة النُّعْمان ومَذْهَبُ الإمام محمد بن إدريس الشَّافِعي ومَذْهَبُ الإمام أبي سليمان داود بن علي الأَصْبهاني إضافةً إلى مذْهَبِ الإمام محمد بن جرير الطَّبري [٥]. أمّا الإمام أحمد بن

---

[١] جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٢٢.

[٢] ابن خلدون : كتاب العبر ٢: ٢٥٣.

[٣] الأشْعَري: مقالات الإسلاميين، عني بتصحيحه هلموت ريتر، فيسبادن ١٩٦٣م، ٢٩٧.

[٤] الأشْعَري: أصول أهل السُّنّة والجماعة المسماة رسالة أهل الثَّغر، تحقيق محمد السَّيِّد الجلَيْند، القاهرة ١٩٨٧م؛ ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض ١٩٧٩م، ٧: ١٧٦-٢١٩.

[٥] النديم: كتاب الفهرست ٢: ٣-٦٧، ١١٧-١٢٤؛ ابن خلدون: كتاب العبر ٢: ٢٠٦-٢١١.

حَنْبَل فقد صَنَّفَه بين فُقَهاء أصْحابِ الحَدِيث مثل : سُفْيان الثَّوْري وعبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج وعبد الرحمن بن عَمْرو الأوزاعي [١]، حتَّى أنَّ الحنابلَة مَنَعُوا الإمام محمد بن جرير الطَّبَري من دُخولِ المسجد الجامع ببَغْداد ؛ لأنَّه لم يَعُدّ الإمام أحمد بن حَنْبَل بين الفُقَهاء في كِتابِه «اخْتِلاف الفُقَهاء» ، وعندما سُئِلَ عن ذلك قال : لم يكن فِقِيهًا وإنَّما كان مُحَدِّثًا [٢]. يؤكِّدُ ذلك ما يقولُه ابنُ خَلْدُون من أنَّ مُقَلِّدي ابن حَنْبَل قليلون لبُعْدِ مَذْهَبِه عن الاجْتِهَاد وأصالَتِه في مُعاضَدَة الرِّواية والأخْبار بعضًا ببعضٍ ، وأصحابُهُ أكثر النَّاس حِفْظًا للسُّنَّة ورِوايةً للحَدِيث ومَيْلًا بالاسْتِنْبَاط إليه عن القِياس ما أمكن [٣].

ويرى جولد تسيهر أنَّ أبا الحَسَن الأشْعَري بسبب ما كان منه من سَعَةِ صَدْرٍ للاعْتِقادِ الشَّعْبي قد حَرَمَ الأمَّةَ الإسلاميةَ من الثِّمار المُهِمَّة للمَذْهبِ الاعْتِزالي ، حتَّى أنَّه بقي سليمًا بوِجْهَة نَظَرِه الإيمانُ بالرُّقَى والسِّحْر فَضْلًا عن كرامات الأوْلياء ، وهو ما نفاهُ تمامًا المُعْتَزِلَة [٤].

ومع ذلك وبرغم إعْلانِ أبي الحسن الأشْعَري تَمَسُّكه بمَذْهَبِ أحمد بن حَنْبَل ، واصَلَ الحنابِلَةُ التَّقْليديون رَفْضَهم مَسْلَكَ الأشْعَري باعْتِباره دِفاعًا عن السُّنَّة بطُرُقِ المُتَكلِّمين ، فالقَضِيَّةُ بوِجْهَة نَظَرِهم هي عِلْم الكلام نفسه ، وأصْبَحَ هذا المَوْقِفُ وهذا الحَلُّ الوَسَط مُدانًا من قِبَلِ عُمُومِ أهْلِ الحَدِيث . حتَّى إنَّ ابنَ الجَوْزِي ، وهو من مُعْتَدِلي الحنابِلَة ، يقول إنَّ الأشْعَري ظَلَّ مُعْتزلِيًّا دائمًا وإنَّه «أظْهَرَ مقالَةً خَبَطَت عَقائِدَ النَّاسِ وأوْجَبَت الفِتَنَ المُــتَّصِلَة» [٥]. فقد اعتمد مَذْهَبُ الأشْعَري من جهةٍ

---

[١] النديم : كتاب الفهرست ٢: ٨٣-٨٤، ٨٦، ٩٣، ١٠٠.

[٢] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ١٨: ٥٧-٥٨.

[٣] ابن خلدون : كتاب العبر ٢: ٢١١.

[٤] جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٢٤.

[٥] ابن الجوزي : المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ٨: ٢١٩-٢٢٠.

على الحِجاجِ عن العقائِد الإيمانية بالأدِلَّة العقليَّة (كما يَفْعَل المتكلِّمون والمُعْتَزِلَة على الخُصوص)، في الوَقْت نفسه الذي رَفَضَ أنْ يجاهر فيه بالقَطْيعة مع الوَجْه السَّلَفي الذي يُمَثِّله أهْلُ الحَدِيثِ عُمومًا والحنابلَةُ خُصوصًا، وظَنَّ أنَّ بإمْكانِه التَّوْفيقَ بين مَذْهَبِ أهْلِ السُّنَّة وبين العَقْل.

تَطَوُّرُ المَذْهَبِ الأشْعَري

يرجع جانبٌ من مَكانَة الأشْعَري إلى المدرسة الكلامية التي نُسِبَت إليه، فقد أضْفَت هذه المدرسةُ، التي تطوَّرَت تطوُّرًا مهمًّا بعد وَفاةِ الرَّجُل، أهميةً كبيرةً على المَذْهَب نتيجة نموّها واتِّساعِها. وبذلك فإنَّ رجالَ المَذْهَب وعُلَماءَه الذين جاءوا بعده ومكَّنوا لمقولاتِه بالتَّطوُّر والانْتِشار هم الذين أتاحوا له من الشُّهْرَة العلمية ما لم يتوافر له شخصيًّا أثناء حياته، حتى أنَّ محمد بن إسْحاقِ النَّدِيم، الذي كَتَبَ كِتابَه «الفِهْرِسْت» بعد وَفاتِه بنحو خمسين عامًا (سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م)، لم يُفْرِد له إلَّا مَدْخَلًا صغيرًا تحت اسم «ابن أبي بِشْر» كواحِدٍ من أصْحابِ عبد الله بن محمد بن كُلَّاب لا يَدُلُّ على شأنٍ كبير[1].

ومن أجْلِ إذاعَة المَذْهَب ونَشْرِه أُلِّفت مبكرًا جدًّا موسوعاتٌ كلاميةٌ لأغْراضٍ تعليمية يُمَثِّلُها «كتاب الشَّامِل» لإمام الحَرَمَيْن الجُوَيْني، المتوفَّى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، حيث يعرض آراءَ ومواقفَ الشُّيوخ واخْتِلافاتهم مع بعض الإحالات إلى مؤلَّفاتهم، حتى إن الجُوَيْني عندما يحيلُ على الأشْعري يَسْتَشْهِدُ بأقوالٍ متأخِّرةٍ مأخوذةٍ من ابن فُورك أو الباقِلَّاني، وهي المعلومات نفسها التي نجدها بعد ذلك عند الشَّهْرِسْتاني والرَّازي والآمِدي والإيجي.

---

[1] النديم: كتاب الفهرست ١: ٦٤٨-٦٤٩.

ويُعَدُّ الفَصْلُ الذي عَقَدَه الشَّهْرسْتاني في كتاب «المِلَل والنِّحَل» ، عن الأشْعَرِيَّة فَصْلًا متميِّزًا أشار فيه إلى أساسيات المَذْهَب ، ولكنه جاء مع ذلك مركَّزًا ومحدودًا عند المسائل الكلامية الرَّئيسة ، أو «جليل الكلام» دون أن يذكر أي شيء عن «دقيق الكلام» ، كما أنَّ الشَّهْرستاني يعيدُ شَرْح المذاهِب التي يوردها بطريقته ولُغَتِه الخاصَّة [١] .

وكان من المفترض أن يستشهدَ متأخِّروا شُيوخ المذهب بأقْوالِ الأشعَري نفسه ، مثل اسْتِشهاد القاضي عبد الجبَّار بن أحمد المُعْتَزلي في مؤلَّفاته بآراء سابقيه مثل أبي الهُذَيل العَلَّاف والنَّظَّام والجاحِظ والكَعْبي والجُبَّائيين وغيرهم ، حتى إنَّ العديدَ من رجال المدرسة الأشْعَرِيَّة ، في بداياتها لا يذكرون حتى اسْمَه إلَّا في اسْتِشْهادات قليلة لا تتجاوزُ أصابعَ اليد الواحدة .

وفي الوقت نفسه فُقِدَت أغْلَبُ مُؤلَّفات الأشْعَري ولم تُتداوَل منذ فترةٍ بعيدةٍ ، باستثناء ما وَرَد في «كتاب اللُّمَع» وكتاب «الإبانَة» ، كما أن كثيرًا ممَّا ورد في كتاب «مقالات الإسلاميين واخْتِلاف المُصَلِّين» مشكوكٌ في نسبته إليه [٢] .

وفي ضَوْء ذلك فإنَّ وصولَ كتاب «مُجَرَّد مقالات الشَّيْخ أبي الحسن الأشْعَري» من إملاء أبي بكر محمد بن الحسن بن فُورَك ، المتوفَّى مقتولًا سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م ، في نسخةٍ مُبَكِّرَةٍ كتبت سنة ٤٦٠هـ ، يُعَدُّ كشفًا مهمًّا جَعَلَنا أخيرًا نمتلكُ عَرْضًا كامِلًا ومُفَصَّلًا موضَّحًا بالإحالات لأفكار أبي الحسن الأشْعري يُعيدُ بناء مكانته الحقيقية ، علمًا بأنَّ كِتاب «المُجَرَّد» لا يُشيرُ بكلمةٍ واحدةٍ إلى «كتاب

---

[١] الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٨٥-٩٤.

[٢] انظر حول مؤلَّفات الإمام أبي الحسن الأشْعَري ، F. Sesgin, *GAS* I, pp. 603-604, D. Gimaret, «Bibliographie d' Ash'ari,: !un reexaminatio», *JA* (1985), pp. 21-30 محمد عزير شمس : «تراث الإمام الأشعري بين المطبوع والمخطوط» ، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة والجماعة ١: ٢٥٧-٢٧٧.

الإبانَة» الذي كتبه الأشعري في ظروفٍ خاصَّةٍ وأثْبَت فيه بما لا يدع مجالًا للشَّكّ مَيْلًا قويًّا لعقيدة أهل الحديث ممثَّلة في الإمام أحمد بن حنبل.

كانت رَغْبَةُ ابن فُورَك في هذا الكتاب هي وَضْع إطارٍ مَنْهَجي قَدْر الطَّاقة لمَذْهَب الأشْعَري غير الواضح وأنْ يجعل منه كمًّا مُتماسِكًا، رَغْم أنَّه لا يُخْفي الاخْتلافات العديدة في فِكْر الشَّيْخ (والتي ذكر منها نحو العشرين على امْتداد صفحات الكتاب). وكان يكتفي أحْيانًا بذكر هذه الاخْتِلافات، وفي أحْيانٍ أخرى كان لا يتردَّد في مناقشة افْتِراضاته المختلفة ومدى علاقتها بأصول وقواعد مَذْهَبه [١].

ويرى دانيال جيماريه D. GIMARET، الذي تَوَفَّر على نَشْرِ كتاب «مُجَرَّد مقالات الشَّيْخ أبي الحسن الأشْعَري»، أنَّه إذا كُنَّا نَعْرِفُ أصولَ وفِكْر الأشْعَري، على الأخَصِّ من «كتاب اللُّمَع»، إلَّا أنَّ ذلك يُعَدُّ نَزْرًا يسيرًا إذا ما قِيسَ بفَيْض المعلومات التي يُزَوِّدُنا بها «كتابُ المُجَرَّد» الذي يضعُنا لأوَّلِ مَرَّة أمامَ حقيقة فِكْر الأشْعَري كامِلًا غير منقوص، والذي استمدَّه ابن فُوَرك من أكثر من ثلاثين كِتابًا للأشْعَري أحالَ لبعضها في أكثر من عَشْرِ مَوَاضِع.

وبذلك يستعيدُ الأشْعَري بصُورةٍ نهائيةٍ هُوِيَّته الحقيقية، لا بوَصْفِه تلميذًا إمَّعًا لابن حَنْبَل وإنَّما باعْتِبارِه متكلِّمًا حقيقيًّا من مُتكلِّمي عَصْرِه وتِلْميذًا خَليقًا بشَيْخِه أبي علي الجُبَّائي [٢]. واعتمادًا على ما وَرَدَ في كتاب «المُجَرَّد» لابن

---

[١] راجع لتفاصيل أكثر مقال دانيال جيماريه D. GIMARET, «Un document majeur pour l'historie de kalam: *Le Mugarrad maqalat al-Ash'ari* d' Ibn Furak», *Arabica* XXXII (1985), pp.185-218؛ ونَشَرَ جيماريه نَصَّ كتاب ابن فورك بعنوان: مجرَّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشْعَري، بيروت ـ دار المشرق ١٩٨٧م؛ وانظر كذلك عمّار الطالبي: «نظراتٌ في كتاب مجرَّد مقالات الأشْعَري» في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السُّنَّة والجماعة ١: ٣٥٣ـ ٣٧٦؛ وحسن الشافعي: «قراءة جديدة في إمام أهل السُّنَّة أبي الحسن الأشعري ـ نهاية إشكالية فكرية»، المرجع السابق ٢: ١٧٧ـ ٢٠٢.

[٢] دانيال جيماريه: مقدمة كتاب مجرَّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشْعَري، ٤ـ ٥.

فُورَك ، خَصَّص دانيال جيماريه دراسةً مُفْرَدَةً لمَذْهَبِ الأشْعَري نَشَرَها سنة ١٩٩٠م [١].

ونتيجةً لمَيْلِ الأشْعَري إلى التَّوَسُّطِ والتَّوفيق ، انْحَرَفَ عنه أَهَمُّ رؤساء مَذْهَبِه بعد ذلك وانْحازوا إلى رأي الخُصُوم العَقْلِيين ، وعلى الأخَصِّ الباقِلَّاني ، المتوفَّى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، وبعد ذلك إمامُ الحَرَمَيْنِ الجُوَيْني وحُجَّةُ الإسلام الغَزالي الذين نَجِدُ عندهم صُورَةً أخرى للمَذْهَبِ تُظْهِرُه كَمَذْهَبٍ عَقْلي يقولُ بالتَّنْزيه والكَسْب ، فلم يترك الأشْعَري عَقِيدَة الإمام أحمد في التَّنْزيه وإنَّما تركها أتْباعُه فحَصُلَ الخلافُ بينهم وبينه [٢].

وقد لا يعرفُ الكثيرون أنَّ قاضي القُضاة عبد الجبَّار بن أحمد الهَمَداني ، المتوفَّى سنة ٤١٥هـ/١٠١٤م ، كان في بدَاية أمْرِه يَذْهبُ في الأُصولِ مَذْهَبَ الأشْعَرِيَّة [٣] ، ثم ما لَبِثَ أنِ انْتَقَلَ إلى خُصومهم المُعْتَزِلَة حتى انتهت إليه الرِّئاسَةُ فِيهم وأصْبَحَ شَيْخَهُم وعالِمَهم غير مُدافِع ووَضَعَ كتابًا في «نَقْض كتاب اللُّمَع للأشْعَري» ، أهم مؤلَّفات الأشْعري الذي ذكره النَّديم على رأس قائمة مؤلَّفاته ، والذي شَرَحَه في الوَقْتِ نفسه اثْنان من كبار مَدْرَسَة الأشْعَرِيَّة : الباقِلَّاني وابن فُوْرَك ، وكان موضوعَ تَطْويرات مهمَّة في «كتاب الشَّامل» لإمام الحَرَمَيْن الجُوَيْني كَرَدٍّ على هجوم المُعْتَزِلَة (القاضي عبد الجبَّار في الأغْلَب) ، ومع ذلك وأيًّا كانت قِيمَةُ كتاب «اللُّمَع» فهو كِتابٌ مختصرٌ نِسْبيًّا ويقتصرُ فقط على المَسائِل الرَّئيسة لِعلْم الكلام ، أو جليل الكلام ، دون دَقائق الكلام .

---

[١] D. Gimaret, *La doctrine d' al-Ash'ari*, Paris - CERF 1990.

[٢] حمودة غرابة : الأشعري ص ٧٦، وقارن ابن خلدون : كتاب العبر ٢: ٢٤٢-٢٤٣.

[٣] الحاكم الجشمي : شرح عون المسائل في كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٣٦٦؛ ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ١١٢.

وعلى ذلك فنحن لا نعرفُ إلَّا القَليل عن أفْكارِ الأشْعَرِيَّة خلال النِّصْفِ قَرْنٍ الذي أعْقَبَ وَفاة مؤسِّسها حتى أنَّ مؤلِّفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مثل أبي الفرج محمد بن إسحاق النَّديم، لا يشيرون إليه باعْتبارِه صاحب مَذْهبٍ عَقَدِي مُسْتَقِلٍّ بل اعْتباره من مَدْرَسة عبد الله بن محمد بن كُلَّاب [1]. وظَلَّ الأمْرُ كذلك إلى أنْ تولَّى بعضُ مَنْ تَبَنَّى المدرسة الكلامية التي وَضَعَ أساسَها أبو الحَسَن الأشْعَرِي إذاعَة أفْكارِ الأشْعَرِيَّة ونَشْرها، وعلى الأخَصِّ أبو بكر محمد بن الطَّيِّب ابن محمد الباقلَّاني، المتوفىَّ ببغداد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، أبْرَزُ متكلِّمي المَدْرَسَة الأشْعَرِيَّة وأوَّلُ مَنْ أوْجَدَ لبعض أفكار الأشاعِرَة شَكْلَها الصَّحيح، وأبو بكر محمد ابن الحسن بن فُورَك الأنْصاري الأصْبَهاني، المتوفىَّ مقْتولاً سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، والذي جَمَعَ أفْكارَ أبي الحسن الأشْعَري في كتابه: «مجرَّد مقالات أبي الحسن الأشْعَري».

ويُعَدُّ أبو بكرٍ الباقلَّاني المؤسِّس الحقيقي للمَذْهَب، فهو الذي نَقَلَ الحِجاجَ مع المُخالِفين إلى مَيْدانِ العَقْل النَّظَري بعد أن كان مَنْ تقدَّمَه يَسْتَنِدُ إلى النُّصُوصِ بسبب نَقْصِ التكوين الفَلْسَفي وقِلَّة الاحْتِكام إلى المَنْطِق أو الغَوْص على الأصول العقلية. فلا نجدُ عند الباقِلَّاني سوى مُقَارَعَة الدَّليل بالدَّليل على الصُّورَة الجَدَلِيَّة الخالِصَة المستقلَّة عن النُّصُوص أو التي لا تَتَقَيَّد إلَّا بالمَنْطِق وتَمْحِيص أُصُولِ الآراء من النَّاحية العَقْلية [2].

---

[1] النديم: كتاب الفهرست ١: ٦٤٨-٦٤٩.

[2] محمود الخضيري وعبد الهادي أبو رِيدة: مقدمة كتاب التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، القاهرة ـ دار الفكر ١٩٤٧م، ٢٧.

انْتِصَارُ الأشْعَريَّة

رَغْم أنَّ المُعْتَزِلَةَ تَمَتَّعوا بدعمٍ قويٍ طَوال الفَتْرَة التي مَدَّ فيها البُوَيْهِيون الشِّيعَةُ هيمنتَهم علي الخِلافَة العبَّاسِيَّة في بغداد (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م) وشَغَلَ العَديدُ من رجالهم مراكز عالية في القضاء، مثل القاضي عبد الجبار بن أحمد الهَمَداني قاضي قضاة الرَّيّ وأعمالها، المتوفَّى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، والذي كان لِمَوْقِفِ الصَّاحِب بن عَبَّاد وزير فخْر الدَّوْلة البُوَيْهي (٣٦٧-٣٨٥هـ/٩٧٧-٩٩٥م) منه دَوْرٌ مهم في التَّرْويج لهم. فقد تَحَوَّلَ المَوْقِفُ تمامًا مع ظُهورِ السَّلاجِقَة، القُوَّة الفَتِيَّة الجديدة في الإسلام الآخِذَة في النَّماء والقُوَّة والمُدافِعة عن مَذاهِب أهْلِ السُّنَّة في مُواجَهة الفاطِميين الشِّيعَة، والتي حَلَّت مَحَلَّ البُوَيْهيين في الدِّفاع عن الخِلافَة العبَّاسية اعْتبارًا من عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. وبالرَّغم من الاضطهاد الذي لَقِيَه عُلَماءُ المَذْهَب الأشْعَري في أوَّلِ عَهْدِهِم بتحْريضٍ من الوزير عميد المُلْك أبي نَصْر محمد بن منصور الكُنْدُري (٤١٦-٤٥٦هـ/١٠١٥-١٠٦٤م)، وزير السُّلْطان طُغْرُلْبك أول السلاطين السَّلاجِقَة، الذي كان يميلُ إلى رأي المُعْتَزِلَة [1]؛ فقد قَضَى خَلَفُهُ الوزيرُ السَّلْجوقِي الشهير نِظامُ المُلْك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطُّوسي (٤٥٦-٤٥٨هـ/١٠٦٤-١٠٩٢م) [2]، الذي كان يَعْتَنِقُ مَذْهَبَ الأشْعَري، علي هذا الاضْطِهاد، وكان وصُولُه إلى مَنْصِبِ الوزارة للسَّلاجِقَة انِتصارًا للمَذْهَب

---

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ١٣٨-١٤٣؛ G. MAKDISI, EI² art. Al-Kunduri V, p. 389.

[2] انظر على الأخص، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٤: ٣٠٩-٣٢٨؛ عبد الهادي محمد محبوبة: نظام الملك، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩م، C. E. BOSWORTH, EI² art. Nizam al-Mulk VIII, pp.71-74.

الأشْعَري ؛ فمن الثَّابت أنَّ الأشْعَرِيَّة حَقَّقَت نَصْرَها في بَغْداد في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأنهَّا تَدينُ بهذا النَّصْر إلي المدارِس النِّظامية (نسْبَةً إلى نِظام المُلْك) مِمَّا مَكَّنَ للمَذْهَب الأشْعَري أنْ يُعَلَّمَ رَسْمِيًّا ويُصْبِحَ بالتالي مَقْبولًا لدى أهْلِ السُّنَّة .

ولا شَكَّ أنَّ الفَهْمَ الصَّحيح للتاريخ الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يجب أنْ يأخُذَ في الاعْتبار «انْتِصار الأشْعِريَّة» وتأييد ودَعْم السَّلاجِقَة لهم ، بحيث أصبحت «المدارِسُ النِّظاميَّةُ»[1] مؤسَّسَةً سياسيةً تَخْضَعُ للإشْرافِ الرَّسْمي للدَّوْلَة لتَدْريس المَذهَب الأشْعَري[2] ، ولم يَرْتَبِط هذا النَّصْر وهذه المدارس فقط باسم الوزير نِظام المُلْك ولكن أيْضًا بأعْلام المَذْهَبِ الأشْعَري الكبار الذين كانوا المُدَرِّسين الرَّئيسيين في هذه المدارس (أبو إسحاقِ الشِّيرازي وإمامُ الحَرَمَيْن الجُوَيْني وأبو إسحاقِ الأسْفَرايِيني وحُجَّةُ الإسلام أبو حامد الغَزالي) والذين كان لهم دَوْرٌ كبيرٌ في نَشْرِ المَذْهَب وإذاعَته وفي قبول المسلمين السُّنَّة له .

هنا انْتَصَرَ المَذْهَبُ الأشْعَري في كِفاحِه ضِدَّ المُعْتَزِلَةَ من جهَةَ وضِدّ أهْلِ الحَديث والحنابِلَة الذين لا يتساهلون من جِهَةٍ أخرى .

---

[1] بَلَغَت المدارِسُ النِّظاميَّة تسع مدارس في المَوْصِل والبَصْرة وأصْبَهان وآمُل وطَبَرِسْتان ومَرْو ونَيْسابور وهَراة وبَلْخ إضافةً إلى نظاميَّة بغداد . وانظر كذلك L. MASSIGNON, «Les Medressehs de Baghdad», *BIFAO* VII (1910), pp.77-86; A. TALAS, *La madrasa Nizamiyya et son histoire*, Paris 1939؛ مصطفى جواد : «المدرسة النظامية ببغداد» ، سومر ٩ (١٩٥٣) ، ٣١٢-٣٤٣؛ أيمن فؤاد سيد : «المدارس في مصر قبل العصر الفاطمي» ، في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٣م ، ٨٧-١٣٦.

[2] راجع G. MAKDISI, «Muslim Institutions of Learning in Eleventh Century», *BSOAS* XXIV (1961) pp.1-56; ID, «Ash'ari and the Ash'arites in Islamic Religious History», *SI* 17 (1962), pp. 37-80, ID, *The Rise of Collage - Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981; J. PEDERSEN & G. MAKDISI, EI^2 art. *Madrasa* V, pp. 1129-1144; G. LEISER, «Notes on the Madrasa in Medieval Islamic Society», *MW* LXXVI (1986), pp. 29-47.

المَذْهَبُ الأشْعَري في مصر

كان هذا هو الوَضْعُ في مَشْرِق العالم الإسلامي وفي مقرّ الخِلافَة العبّاسية في بَغْداد، أمّا في مصر فكان الوَضْعُ مختلِفًا تمامًا حيث دَخَلَت مصر منذ سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م في ظِلّ الدَّوْلَة الفاطمية بعد نجاح الفَتْح الفاطمي لها في هذه السَّنَة. ورَغْم المقاومَة السُّنِّيّة الشديدة لهذه الدَّوْلَة الشِّيعية الإسماعيلية والتي تركَّزت على الأخَصّ في الفُسْطاط والإسكندرية، كان المَذْهَبُ الرَّسْمي للبلاد ونظام القضاء فيها يقوم طوال هذا العَصْر وِفْق ما يراهُ المَذْهَبُ الإسماعيلي الذي تَعْتَقِدُه الدَّوْلَةُ الفاطمية [١].

وشَهِدَت الخمسون سنة الأخيرة من عُمْر الدَّوْلَة الفاطمية في مصر تطوُّرَات متلاحقة قادت إلى التحوُّل السُّنِّي النَّهائي لمصر على يد النَّاصر صلاح الدِّين يوسف ابن أيُّوب آخر وزراء الدَّوْلَة الفاطمية؛ ففي أثناء إمامَة الإمام الحافِظ لدين الله (٥٢٦ـ٥٤٤هـ/ ١١٣٢ـ١١٤٩م) تولَّى وزارة التَّفْويض وزيرٌ نَصْراني أرْمَنِّي الأصل، هو الوزير بَهْرام الأرْمَنِّي (٥٢٩ـ٥٣١هـ/ ١١٣٥ـ١١٣٧م) الذي استقوى بأهْلِه الأرْمَن وبَعَثَ يستقدمهم من تَلّ باشِر ومن بلاد الأرْمَن حتى صار منهم بالديار المصرية ـ كما يَذْكُر ابن مُيَسَّر ـ نحو ثلاثين ألف إنسان فاستطالوا على المسلمين وأصابَ المسلمين منهم جَوْرٌ عظيمٌ.

وبُنِيَت في أيَّامِه كنائِسُ وأدْيِرَةٌ كثيرة حتى صارَ كلُّ رئيسٍ من أهْلِه يَبْني له كنيسة، كما أنَّ أخاهُ المعروف بـ «الباساك» وَلَّاهُ الحافِظُ ولاية قُوص ـ وهي أهم ولايات الصَّعيد ـ وجارَ على أهْلِها جَوْرًا عظيمًا واستباحَ أمْوالَ النَّاس وَظَلَمَهم.

---

[١] راجع لتفاصيل أكثر لكاتب هذه السطور: الدولة الفاطمية في مصر ـ تفسيرٌ جديد، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٠م والهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م.

فخافَ أهْلُ مصر منهم أن يُغيِّروا مِلَّة الإسلام وكَثُرَت الشَّكايات فيه وفي أهْلِه [١].

أثارَ هذا المَوْقِفُ رُؤساءَ المصريين فبَعَثوا إلى رِضْوان بن وَلَخْشي والي الغربية يستحثُّونه على السَّيْر إليهم وإنقاذهم ممَّا هم فيه، وهو أحد الأمراء الموصوفين بالشَّجاعَة والإقدام، كان بَهْرامُ عندما تولَّى الوزارة أبْعَدَه عن مصر ووَلَّاه عَسْقَلان في جنوبي فِلَسْطِين، فقام بإبعاد ورَدّ عددٍ من الأرْمَن الذين كانوا يتواصلون إليها في البحر قاصِدين مصر، ممَّا أغْضَب بَهْرام فعَزله عن عسقلان واستدعاه إلى مصر وولَّاه وِلايَة الغربية، في صفر سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧م. فلمَّا وَصَلَه اسْتِدْعاءُ أمَراء المصريين له خَطَبَ في النَّاس خُطْبَةً بليغةً حَرَّضَهُم فيها على «الجِهاد»، وحَشَدَ نحو ثلاثين ألْفًا من العُرْبان وغيرهم وسَارَ بهم قاصدًا القاهرة لمحاربة بَهْرام. فلمَّا قَرُبَ منها خَرَجَ إليه بَهْرامُ بعَساكِر مصر، فلمَّا تقاربا رَفَعَ رِضْوانُ المصاحِفَ على الرِّماح، فتَرَكَ عسكرُ المسلمين بَهْرام والتجأوا بأجْمعهم إلى رِضْوان باتِّفاقٍ منهم معه قبل قُدُومِه [٢].

وخافَ بَهْرامُ من عاقِبَة تَطَوُّر الأمور فَهَرَبَ بإشارةٍ من الحافِظ إلى أخيه الباساك، والي قُوص، ونَهَبَ العامَّةُ سائر ديار الأرْمَن بالحارَة الحُسَيْنِيَّة خارج باب الفُتُوح ونَهَبُوا كذلك كنيسة الزُّهْري (بحي السَّيِّدة زَيْنَب الآن) ونَبَشوا قبر البَطْرَك أخي بَهْرام الأرْمَنِّي.

كان رِضْوانُ سُنِّي المَذْهَب واضطرّ الحافِظ لدين الله إلى توليته وزارة التَّفْويض خَلَفًا لبَهْرام في سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧، فعَمِلَ على اسْتِخْدام المسلمين في المناصِب التي كانت بأيْدي النَّصارى واسْتَجدَّ «ديوان الجِهاد» [٣].

---

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٢؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/ ١: ٢٨-٢٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٨٩.

[٢] نفسه ١٢٤-١٢٥؛ المقريزي: اتعاظ الحفنا ٣: ١٩٠، ١٩٢.

[٣] ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٨-١٢٩؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٥٠.

وفي العام التالي شَدَّدَ رِضوان على النَّصارى أصْحابِ بَهْرام وصادَرَهُم وأصْدَرَ سِجلًّا أمَرَ فيه بمنعهم من إرْخاء الذَّوائِب ورُكوب البَغْلات ، وأنْ لا يَلْبَس أحَدٌ منهم طَيْلَسان ، وأنْ لا يَعْبُروا أمامَ المساجِدِ رُكْبانًا ، وإذا اضطرَّ أحَدُهُم إلى الجَوازِ نَزَلَ وقادَ دابَّته ، وأمَرَ كذلك أنْ لا تُسَلَّم الجِزْيَةُ إلاَّ على مَصاطِب وهم أسْفَلَها [١].

هكذا كان الوَضْعُ في مصر في أوائل العَقْد الرَّابع للقرن السادس الهجري : مُواجَهَةٌ بين المسلمين والنَّصارى من أهل الذِّمَّة ، ومُواجَهَةٌ بين أهل السُّنَّة والسُّلْطَة الفاطمية الحاكمة التي مُنِيَت بالانْقِسام الثَّاني في الدَّعْوَة في أعْقاب وفاة الآمِر بأحْكام الله سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م ، وتولِّي الإمامة إمامٌ مُسْتَوْدَعٌ لم يكن أبوه إمامًا هو الحافِظ لدين الله ابن عَمّ الآمِر وأكبر الأقارِب سِنًّا . وكان وُصولُ رِضْوان إلى منصب الوَزارَة كأوَّلِ وزيرٍ سُنِّيٍّ للفاطِميين ، بداية تحوُّلٍ سُنِّيٍّ بطيء قادَ إلى انتصار السُّنَّة النَّهائي في مصر بعد ذلك بنحو أربعين عامًا .

كانت أهم التحوُّلات التي قامَ بها الوزيرُ السُّنِّي رِضْوان بن وَلَخْشي هي بناء أوَّلِ مدرسةٍ في مصر في الإسكندرية ، سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م ، لتدريس المذهب المالِكي وقرَّر في تدريسها أبا الطاهر بن عَوْف ، إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى . وعُرِفَت هذه المدرسة باسم الإمام الذي أنشئت في عهده «المدرسة الحافِظِية» وأيضا باسم «المدرسة العَوْفِيَّة» نسبة إلى مدرِّسها الوحيد أبي الطَّاهر بن عَوْف [٢].

وبعد أربعة عشر عامًا من إنشاء المدرسة الحافِظِية أنشأ وزيرٌ سُنِّيٌّ آخر ، هو العادِلُ بن السَّلار ، مدرسةً في الإسكندرية ، ولكن في هذه المرة كانت لتدريس

---

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٤٩؛ ساويرس ابن المقفع : تاريخ البطاركة ٣/ ١: ٣١.

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ١٠: ٤٥٨-٤٥٩؛ جمال الدين الشيال : «أول أستاذ=

المذهب الشَّافِعي، وقَرَّرَ في تدريسها الحافظ الشهير أبا الطَّاهر السِّلَفِي، مما يعد انتصارًا للسُّنَّة الشَّافِعية كما كان إنشاءُ المدرسة الحافِظِية انتصارًا للسُّنَّة المالِكية.

ولكن التحوُّلَ الرئيس إلى السُّنَّة في مصر لم يبدأ إلَّا مع تولِّي صلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب الوزارة للإمام العاضِد آخر الأئمة الفاطِميين في مصر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م، خَلَفًا لعَمِّه أسدِ الدِّين شيركوه الذي تُوفِّيَ في العام نفسه، يقول المقريزي: «فشَرَعَ في تغْيير الدَّولة وإزالتها، وحَجَرَ على العاضِد، وَأَوْقَع بأمراء الدَّوْلَة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسةً للفقهاء الشَّافِعية ومدرسةً للفقهاء المالِكية، وَصَرَفَ قُضاةَ مصر الشِّيعَة كلَّهم، وفوَّضَ القضاءَ لصدر الدِّين عبد الملك ابن دِرْبَاس المارانِي الشَّافِعي، فلم يستنب عنه في إقليم مصر إلَّا مَنْ كان شافِعي المذهب. فتظاهَرَ الناسُ من حينئذ بمذهبي مالِك والشَّافِعي، واختفى مذهبُ الشِّيعَة والإسْماعيلية والإمامية حتى فُقِدَ من أرض مصر» ... «وأمَّا العَقَـــائِد فإنَّ السُّلْطانَ صلاح الدِّين حَمَلَ الكافَّة على عَقِيدَةِ الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشْعَري، تلميذ أبي علي الجُبَّائي، وشَرَطَ ذلك في أوقافِه التي بديار مصر: كالمدرسة النَّاصِرية بجوار قبر الإمام الشَّافِعي من القَرافَة[1]، والمدرسة النَّاصِرية التي عُرِفَت بالشَّرِيفِية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر، والمدرسة المعروفة بالقَمْحِيَّة

=لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية»، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ١١ (١٩٥٧)، ٣ـ٢٩.

[1] يحتفظُ متحفُ الفَنِّ الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ١١٨ بكتابة تاريخية محضرةٍ من هذه المدرسة تُعَبِّر بُوضوحٍ عن رَدِّ الفِعْلِ الأيُّوبي السُّنِّي الذي كان وراءَ إنْشاءِ المدارِس في مصر، يقولُ نَصُّ الكتابة: «بُنِيَت هذه المدرسةُ باسْتِدْعاء الشيخ الإمام [كلمة ساقطة] الزَّاهد نَجْم الدِّين رُكْنِ الإسلام قُدْوَة الإمام مُفْتِي الفِرَق أبو البركات بن المُوَفَّق الخَبُوشاني ـ أدامَ الله توفيقه ـ لفُقَهاء أصْحابِ الشَّافعي ـ رضوانُ الله عليه ـ الموصوفين بالأُصُولِيَّة المُوَحِّدَة: الأشْعَرية على الحَشَوية وغيرهم من المُبْتَدِعَة. وذلِك في شهر رمضان سنة خَمْسٍ وسَـ[ـبْعين وخمس مئة]» (G. WIET, *RCEA* IX, n° 3339).

بمصر ، وخانْكاه سعيد السُّعداء بالقاهرة . فاستمرَّ الحالُ على عقيدة الأشْعَري بديار مصر وبلاد الشَّام وأرض الحِجاز واليمن ، وبلاد المغرب أيضًا لإدْخال محمد بن تُومَرْت رأيَ الأشْعَري إليها ، حتى إنه صار هذا الاعتقادُ بسائر هذه البلاد ، بحيث إنَّ من خالَفَهُ ضُرِبَ عنقُه ، والأمر على ذلك إلى اليوم ، ولم يكن في الدَّوْلَة الأيُّوبية بمصر كثيرُ ذكرٍ لمذهبِ أبي حَنيفَة وأحمد بن حَنبَل ، ثم اشتهر مذهبُ أبي حَنيفَة وأحمد بن حَنْبَل في آخرها» .

«فلمَّا كانت سَلْطَنَةُ الملك الظَّاهِر بيبرس البُنْدُقداري ، ولَّى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافِعي ومالِكي وحَنَفي وحَنْبلي . فاستمرَّ ذلك من سنة خمس وستين وست مئة ، حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهبٌ يُعْرَفُ من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشْعَري»[١].

*

* *

ومنذ هذا التَّأريخ وحتَّى القرْنِ الثَّامن الهجري/ الرَّابع عشر الميلادي كان تدريسُ الـمَذْهَبِ الأشْعَري هو التَّعْليم العام السُّنِّي في أقاليم العالم الإسلامي النَّاطِقَة بالعربية ، ولم يكن لرَدّ الفِعْلِ الحَنْبلي الذي مَثَّله ابنُ تَيْمِيَّة ، المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ، إلَّا تأثيرًا مَحْدُودًا (فيما يلي ١٠٨) ، وظَلَّ الوَضْعُ كذلك إلى وَقْتِنا الحالي فيما عَدا استثناءات ضَئيلَة يمثِّلُها الـمَذْهَبُ الوَهَّابي في شرقي جزيرة العَرَب الذي تأثَّرَ بالمذهب الحَنْبَلي واستفادَ من مؤلَّفات رؤسائه المتأخِّرين وعلى الأخَصّ : ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن قَيِّم الجَوزِيَّة[٢].

---

[١] فيما يلي : ٤٩ـ ٥٠.

[٢] راجع على الأخصّ : H. LAOUST, *Essai sur les doctrines sociales et poletiques d'Ibn Taymiyya*, Le Caire - IFAO 1939;

ولا شَكَّ أنَّ الصِّراعَ بين أَهْلِ الحَدِيث والحَنابلَة من جانِبٍ والمَذْهَبِ الأشْعَري كما يمثِّله رُؤساءُ المَذْهَبِ في القرنين الخامس والسَّادس للهجرة/ الحادي عشر والثَّاني عشر للميلاد وما صاحبه من إدانةٍ فكريةٍ وعَقَدِيَّة ، وعلى الأخص مع ابن تَيْمِيَّة بعد ذلك في القرن الثَّامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، يمثِّلُ تراجُعًا حضاريًّا ودينيًّا عرفته البلادُ الإسلاميةُ بعد ذلك .

فما يَذْهَبُ إليه أَهْلُ الحَدِيث والحنابِلَةُ وابن تَيْمِيَّة وتَلامِيذُهُ هو اتِّباع القرآن والحديث بظاهر لَفْظِهما ، ودَفَعَ اتِّبَاعُ ابن تَيْمِيَّة للسَّلَفِ إلى تفضيلِه الآراءَ التي قال بها الصَّحابَةُ والتَّابِعون ؛ في الوقت نفسه الذي قام فيه بمهاجمة كلِّ الفرَقِ الإسْلامية : الخوارِج والمُرْجِئَة والرَّافِضَة والقَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة والكَرَّامِيَّة والأَشْعَرِية ، كما هَاجَمَ الإمامَ أبا حَامد الغَزالي بشدة وكذلك محيي الدِّين بن العَرَبي وعمر بن الفارِض والصُّوفِيَّة بوجهٍ عامٍ واعتبر المتكلِّمين والصُّوفِيَّة في وادٍ واحِدٍ ، وحارَبَ بحماسةٍ بالغةٍ الفلسفةَ اليونانيةَ ومُنْتَحِلِيها من المسلمين ، وعلى الأخصِّ ابن سينا وابن سَبْعِين لأنَّها تؤدي - في نَظَرِه - إلى الكُفْر ولأنَّها كانت في الغالِب مصدرَ الفِرَقِ المختلفة التي نشأت في صَدْرِ الإسْلام [١] .

وفي إطارِ هذا الصِّراعِ يمكن إدْراكُ أهمية المَدْرَسَتين الأشْعَرِيَّة والماتُرِيدية وطَبيعَة الإضافة الفكرية التي مثَّلها بعد ذلك سواء رؤساء المَذْهَب الأشعرِي في العالم الإسلامي النَّاطِق بالعَرَبية أو رؤساء المَذْهَب الماتُريدي في العالم الإسلامي غير النَّاطِق بالعربية في ما وراء النَّهْر وآسيا الوُسْطَى والهِنْد ، داخل الفَضاء السُّنِّي ، حيث أدْرَكَ رؤساءُ هاتين المدرستين ضرورَةَ الانْتِقالِ بالدِّين من مَرْحَلَة الإيمان

---

١ H. LAOUST, EI^2 art. *Ibn Taymiyya* III, pp. 976-79. ID., EI^2 art. *Ibn Taymiyya* III, pp. 976-79; D. P. LITTLE, «The Historical and Historiographical Significance of the Detention of Ibn Taymiyya», *IJMES* 4 (1973), pp. 311-27.

الأَوَّلي التَّأسيسي إلى الإيمان العَقْلي المؤسّس الذي يُعَبِّر عن بلوغ الفِكْر العربي الإسلامي مرحلةً جديدةً من مراحل التَّطَوُّر.

ونَرَى ممَّا تقدَّمَ أنَّ السُّلْطَةَ السِّياسِيَّة، لا الأَفْرادَ والجماعات، مَنْ قامَ بدَوْرٍ كبيرٍ في مُساندَةِ ونَشْرِ المذاهِبِ العَقَدِيَّة والفِكْرِيَّة منذ أنْ تَبَنَّى الخَليفَةُ المأمون العَبَّاسي وخَليفتاهُ المُعْتَصِمُ والواثِقُ أفْكَارَ وأصولَ المُعْتَزِلَة، ثم تَخَلِّي الخَليفَة المُتَوكِّل عنها لصالِح أهْلِ الحَدِيث والحَنابِلَة، ثم احْتِضانِ البُوَيْهِيين الشِّيعَة مَرَّةً أخرى لأصولِ وأفْكارِ المُعْتَزِلَة إلى أنِ انْتَصَرَ السَّلاجِقَةُ السُّنِّيون ووَزيرُهُم نِظَامُ المُلْك للمَذْهَبِ الأشْعَري. وما فَعَلَه كذلك النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أيُّوب في مصر، بعد قَضائِه على الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّة فيها وإعادَتِها مَرَّةً أخرى إلى مجموعِ الدُّوَلِ السُّنِّيَّة التي تدعو للخَليفَة العَبَّاسي في بَغْداد، من تَبَنِّيه للمَذْهَبِ الأشْعَري وتابَعَه فيه ابنُ تُومَرْت مَهْدي المُوَحِّدين في المغرب. ثم ما حَدَثَ بعد ذلك من الصَّفَويين وتَحْويلهم لأهْلِ فارِس (إيران) إلى المَذْهَب الشِّيعي الاثْنَى عَشْرِي في القرن السَّادس عَشَر، وتَبَنِّي الدَّوْلَة السَّعودِيَّة الأولى في نَجْد للمَذْهَبِ الوَهَّابي السَّلَفي في مَطْلَعِ القرن التَّاسِع عَشَر.

وهو أمرٌ ليس بجديد، فلا شَكَّ أنَّ الانْتِشارَ الكبيرَ للمَسيحِيَّة لم يتمّ إلَّا بعد اعْتِرافِ الإمبراطور (القِدِّيس) قُسْطَنْطِين في القرن الرَّابع الميلادي بالمَسيحِيَّة كدِيَانَةٍ رَسْمِيَّةٍ للإمبراطورية البِيزَنْطِيَّة؛ كما قامت دَوْلَةٌ لليهود - في نهاية القرن السَّابع الميلادي - في المنطقة الواقِعة بين بحر قَزْوين والبحر الأسْوَد، المعروفة حاليًا باسم القُوقاز؛ حيث كان يَسْكُنُها شَعْبُ الخَزَر الذي اعْتَنَق مُلُوكُه اليَهُودِيَّة وتَبِعَهم مُعظمُ أبناءِ شَعْبِهم.

مُؤلِّفُ الكِتَابِ

لن أستَعْرِضْ هنا سِيرَة مؤلِّف الكِتَاب، شَيْخِ مؤرِّخي مصر الإسلامية تقِي الدِّين أبي العَبَّاس أحمد بن علي بن عبد القادِر المقريزي (٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤٢م)، مكْتفِيًا بإحالَة القارئ الكريم إلى التَّرْجَمَة الجديدة التي كتبتها للمقريزي وقَدَّمْتُ بها لِكتابِه الرائد «المواعظ والاعْتِبار في ذِكْرِ الخِطَطِ والآثار» بعنوان «المَقْريزي وكِتابُه المواعظ والاعْتِبار في ذكر الخِطَط والآثار»، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٣م.

مَصَادِرُ الكِتَابِ

لا نستطيعُ أن نُحَدِّدَ مَصْدَرَ معلومات هذا الفَصْلِ المُهِمّ الذي اعتمدَ فيه المقريزي - دون شَكٍّ - على كُلِّ ما كُتِبَ في الموضوع واسْتَوْعَبَه وأعادَ عَرْضَه بأسْلُوبِه وطريقته مثل كتابات أبي الحَسَن الأشْعَري والشَّهْرِسْتَاني وعبد القادر البَغْدَادِي ومَكْحول النَّسَفي وغيرهم. وقد أدْرَكَ المَقْريزي قيمة العَرْض الرَّائع الذي قَدَّمَه في هذا الفَصْل، فكَتَبَ يقول:

«فهذا - أعَزَّكَ اللهُ - بَيانُ ما كانت عليه عَقَائِدُ الأُمَّة، من ابتداء الأمْر إلى وَقْتِنا هذا، قد فَصَّلْتُ فيه ما أجْمَلَه أهْلُ الأخبار وأجْمَلْتُ ما فَصَّلُوا فدُونَكَ، طالِب العِلْم، تَناوُلَ ما قد بَذَلْتُ فيه جُهْدي وأطَلْتُ بسَبَبِه سَهَرِي وكَدِّي في تَصَفُّح دَواوِين الإسْلام وكُتُبِ الأخْبَار. فقد وَصَلَ إليكَ صَفْوًا ونِلْتَه عَفْوًا بلا تَكَلُّفٍ ولا بَذْلِ مجهودٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]». (فيما يلي ١٠٩-١١٠).

نُسَخُ الكِتابِ

هذه الرِّسالَةُ المنشورَةُ هنا هي فَصْلٌ مَضَمَّنٌ في المجلَّد الرَّابع من كتاب «المَوَاعِظ والاعْتِبار» للمقريزي. وأَشَرْتُ في كتابي «المقريزي وكِتابُه المَوَاعِظ والاعْتِبار» (٣٤٤-٣٤٥) إلى النُّسَخِ التي اعْتَمَدْتُ عليها في إخْراجِ المجلَّد الرَّابع من الكتاب، وهي ستّ نُسَخٍ نُقِلَت جميعُها عن أَصْلِ المؤلِّف المكتوب بخَطِّه محفوظة في: مكتبة الدَّوْلَة بميونخ بألمانيا رقم Ar. 107 تَمَّت كِتابَةً سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م؛ ونسخة مكتبة آيا صوفيا بإستانبول رقم ٣٤٨٢ تمَّت كِتابَةً في حادي عشر شَعْبان سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م؛ ونسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ar. 7759 وهي بخَطِّ العالم والمحدِّث المصري المعروف شهاب الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القَسْطَلَّاني المصري، المتوفَّى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، فَرَغَ من كتابتها نَقْلًا عن خَطِّ المؤلِّف ليلة الخميس سادس عشر جمادى الآخر سنة ٨٨٧هـ/١٧٨٢م؛ ونسخة مكتبة حسين جلبي بمدينة بورصة التركية رقم ٧٩٢ كتبها علي بن عيسى بن علي الشهير بالمرحومي نَقْلًا عن خَطِّ المصنِّف يوم الجمعة الثامن من شهر شعبان المبارك سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م؛ ونسخة مكتبة الفاتح بإستانبول رقم ٤٥٠١ كتبت سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م؛ ونسخة مكتبة جامعة ليدن بهولندا رقم Or. 372 كتبها عبد الله ابن محمد بن عبد الله الشَّنْشوري الفَرَضي الشَّافِعي فَرَغَ من كتابتها في ثالث صَفَر الخير سنة ٩٦٦هـ/١٥٥٩م.

نَشَرَاتُ الكِتَابِ

سَبَقَ ونَشَرْتُ هذا الفَصْل في المجلَّد الرَّابع من كتاب «المَوَاعِظ والاعْتِبار» للمقريزي الذي أصْدَرَتْه لي مؤسَّسَةُ الفُرْقان للتُّراث الإسْلامي بلندن سنة ٢٠٠٤م ثم سنة ٢٠١٣م، وتَقَعُ فيه بين صفحتي ٣٦٢ـ ٤٥٠. كما جعلتها أحد مَلاحق كتاب «الإمام أبو الحسن الأشْعَري ـ إمام أهْل السُّنَّة والجَماعَة» الذي أشْرَفَ مركز تحقيق النُّصوص بجامعة الأزْهَر على إعْدادِهِ قبل أن يقوم بنَشْره، سنة ٢٠١٤م، مركز الأزهر للتأليف والترجمة والنشر، وهو يقع فيه في المجلد الرَّابع بين صفحتي ٤٦٧ـ ٥٢٦.

وكما ذَكَرْتُ في صَدْرِ هذا التَّقْديم فإنَّ كثيرًا من المُـتَخَصِّصين قد لا يَنْتَبِهون إلى وجودِ نَصٍّ مهمٍّ مثل نَصِّ «مَذاهِب أهْلِ مصر وعَقائدهم» في كتابِ عن «الخِطَط والآثار»، لذلك آثَرْتُ أنْ أُفْرِدَ هذا النَّصَّ بنَشْرَةٍ مستقِلَّةٍ معْ دراسةٍ عن تطوُّرِ الفِكْرِ العَقَدي في الدَّوْلَةِ الإسْلاميَّة حتى ظهور الأشْعَري ثم انتشار مَذْهَبِه وتَطَوّره والعوامِلِ التي ساعَدَت على ذلك.

وتوجَدُ دراستان نوقِشَتا كرسائِل جامعية في جامعات سُعودِيةٍ[1] اهْتَمَّت بمُناقَشَة ما أوْرَدَهُ المقريزي في هذا الفَصْلِ المهم بِغَرَضِ إثبات سَلَفِيَّة المقريزي وأنَّه عَرَضَ للمِلَلِ والنِّحَلِ على ضوءِ عَقيدَةِ السَّلَف، وأخَذَت على المقريزي أنه لم يَعْتَنِ بالرُّدود على المُخَالِفين ومُناقَشَتِهم، كما أنَّه لم يُهاجِم الأشْعَرِيَّة هجومًا مُباشِرًا ولم يعدُّهم من الفِرَقِ الهالِكة أو الضَّالَّة عن مَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالِح!

---

[1] إبراهيم بن مسعود المالكي: المقريزي وآراؤه الاعتقادية وموقفه من الفِرَقِ ـ دراسة ونقد في ضوء مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين ـ جامعة أم القرى ٢٠٠٤م؛ مُفْلِح بن علي الشَّمَّري: منهج المقريزي في تقرير المِلَل والنِّحَلِ من خلال كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ عرض ودراسة، الرياض ـ دار المنهاج ١٤٣٤هـ.

الحَقِيقَةُ أنَّ المقريزي في عَرْضِه لهذه الآراء التزم بالموضوعية في العَرْضِ دون تَدَخُّلٍ ، تمامًا مثل عَرْضِه لنَسَبِ الخُلَفاء الفاطميين ، وهو المنهج نفسُهُ الذي أخَذَ به شَيْخُهُ ابن خَلْدون .

* * *

وبعد ، فهذا الكتابُ باكورَة إنتاج «مركز تحقيق النُّصوص» بجامعة الأزهر الذي نَبَتَت فكرتُه في ذِهْنِ العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد الطَّيِّب ، شيخ الجامع الأزهر ، سنة ٢٠٠٧م ، وهو ما زال رئيسًا لجامعة الأزهر تطبيقًا لما جاء في قانون إصلاح الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ، من أنَّ «الأزهرَ هو الهيئة العلمية الكبرى التي تقوم على حِفْظِ التُّراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره» ، كما نصَّت المادَّةُ الثالثة والثلاثون من القانون نفسه على أن جامعة الأزهر :

> «تختصُّ بكل ما يتعلَّق بالتعليم العالي في الأزهر وبالبحوث التي تتَّصل بالتعليم أو تترتَّب عليه أو تقوم على حِفْظِ التُّراث الإسْلامي ودراسته وتجليته ونشره ... كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتُّراث العلمي والفكري والرُّوحي للأمة العربية».

وتبلوَّرت الفكرةُ على الأخصِّ بعد أن شارَكَ في حضور اجتماعات هيئة المخطوطات الإسْلامية TIMA ومقرّها كمبردج بالمملكة المتحدة والتي كنت أحْضُرها كذلك وأصبحت عضو مجلس إدارتها اعتبارًا من عام ٢٠٠٩م ، فطلب إليَّ فضيلتُه أن نؤسِّسَ في جامعة الأزهر مركزًا لتحقيق النُّصوص يقوم على إحياء التُّراث الإسْلامي ودراسته وتحقيقه ووضع معايير مُوَحَّدَة للنشر النَّقْدي للنُّصوص ، ويقوم بتدريب وتأهيل شبابِ الباحثين لهذه النوعية من الدِّراسات ، وعَهِدَ إليَّ مشكورًا بهذه المهمة . ولكن المشكلةَ التي واجهتني هي أنَّ نِظَامَ الجامعة يعتبر أمثالَ

هذه المراكز، مراكز ذات طبيعةٍ خاصةٍ بصرفِ النَّظَرِ عن الدَّوْرِ الذي تقومُ به، تتولَّى تمويلَ نفسها ذاتيًا، وهو ما لا يتَّفِقَ مع مركز بمواصفات ومهمة مركز تحقيق النُّصوص الذي يحتاجُ إلى توفير إمكانات أساسية مادِّية وبشرية حتى يُمْكِنَهُ تحقيقَ أهْدافِه، خاصَّةً وقد اكتشفتُ بعد عددٍ من الدَّوْرات التَّدْرِيبية، التي عقدها المركز مؤخرًا في مجال النَّشر النَّقْدِي للنُّصوص، أنَّ الفكرةَ نفسها والهدفَ منها غير واضحةٍ عند النسبة الكبيرة سواءً من الدَّارِسين أو المُشْرِفين عليهم، الأمر الذي يتطلَّب توفيرَ إمكانات مادِّية وبشرية وفنية تساعدُ المركزَ على القِيامِ بمهامِهِ في إعدادِ جيلٍ من المشتغلين بالنَّشر النَّقْدِي واخْتِيار النُّصوص المهمَّة التي يتم نَشْرُها.

والله وَلِيُّ التَّوْفِيق

أيمن فؤاد سيِّد

القاهرة فى ١٧ ذو القعدة سنة ١٤٣٦هـ

أول سبتمبر سنة ٢٠١٥م

مذاهب أهل مصر وعقائدهم

إلى أن انتشر مذهب الأشعرية



ذِكرُ مذاهِبِ أهْلِ مِصْر ونِحَلِهم منذ افْتَتَحَ عَمْرو بن العَاص ـ رضي الله عنه ـ أرضَ مِصْر إلى أن صَارُوا إلى اعْتِقادِ مذاهِبِ الأئمّة الأرْبَعَة[a] رحمهم الله تعالى وَمَا كانَ مِن الأحْداثِ في ذلك

اعْلَمْ أنَّ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لمَّا بَعَثَ « نبيَّنا محمَّدًا » ﷺ رَسُولًا إلى كافَّةِ النَّاسِ جَميعًا ـ عَرَبِهم وعَجَمِهم ـ وهم كلُّهم أهْلُ شِرْكٍ وعبادَةٍ لغَيْر الله تعالى إلَّا بقايا من أهْلِ الكِتابِ ، كان من أَمْرِه ﷺ مع قُرَيْش ما كان حتى هاجَرَ من مَكَّة إلى المدينَة . فكانتِ الصَّحـابَةُ ـ رِضْوانُ الله عليهم ـ حَوْلَه ﷺ يَجْتَمِعون إليه في كلِّ وَقْتٍ مع ما كانوا فيه من ضَنْكِ المعيشة وقِلَّةِ القُوت . فمنهم من كان يَحْتَرِفُ في الأسْواق ، ومنهم من كان يَقُومُ على نَخْلِه ، ويَحْضُر رَسُولَ الله ﷺ في كُلِّ وَقْتٍ منهم طائِفَةٌ عندما يَجد أدْنَى فَراغٍ مِمَّا هم بسَبيلِه من طَلَبِ القُوتِ . فإذا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن مسألَةٍ أو حَكَمَ بحُكْمٍ ، أو أَمَرَ بشيءٍ ، أو فَعلَ شيئًا ، وَعاهُ مَنْ حَضَرَ عنده من الصَّحابَة ، وفاتَ من غابَ عنه عِلْمُ ذلك ، ألَا ترىٰ أنَّ عُمَر بنِ الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قد خَفِيَ عليه ما عَمِلَه جمل بن مالِك بن النَّابِغَةِ ـ رَجُلٌ من الأعْراب من هُذَيْل ـ في دِيَةِ الجَنين ، وخَفِيَ عليه ؟

وكان يُفْتي في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ من الصَّحابة : أبو بَكْر وعُمَرُ وعُثْمانُ وعليٌّ وعبدُ الرَّحْمَن بن عَوْف ومُعاذُ بن جَبَل وعَمَّارُ بن يَاسِر وحُذَيْفَةُ بن اليَمان وزَيْدُ بن ثابِت وأبو الدَّرْدَاء وأبو مُوسَىٰ الأَشْعَري وسَلْمانُ الفارِسي ، رضي الله عنهم .

---

a) ساقطة من بولاق .

فلمَّا ماتَ رَسُولُ الله ﷺ ، واسْتُخْلِفَ « أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ » ـ رضي الله عنه ـ تَفَرَّقَتِ الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ : فمنهم من خَرَجَ لِقِتالِ مُسَيْلِمَة وأَهْلِ الرِّدَّة ، ومنهم من خَرَجَ لجِهادِ[a] أَهْلِ الشَّام ، ومنهم من خَرَجَ لِقِتالِ أَهْلِ العِراق ، وبقي من الصَّحابَةِ بالمَدينَة مع أبي بَكْر ـ رضي الله عنه ـ عِدَّةٌ . فكانتِ القَضِيَّةُ إذا نَزَلَت بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قَضَى فيها بما عنده من العِلْم بِكِتابِ الله أو سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ، فإنْ لم يكن عنده فيها عِلْمٌ من كِتابِ الله ولا من سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ، سأل مَنْ بحَضْرَتِه من الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ عن ذلك ، فإنْ وَجَدَ عندهم عِلْمًا من ذلك رَجَعَ إليه وإلَّا اجْتَهَدَ في الحُكْمِ .

ولمَّا ماتَ أبو بكر ووَلِيَ أَمْرَ الأُمَّة من بعده « عُمَـرُ بنُ الخَـطَّابِ » ـ رضي الله عنه ـ فُتِحَت الأَمْصَارُ وزادَ تَفَرُّقُ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ فيما افْتَتَحُوه من الأَقْطَار . فكانتِ الحُكومَةُ تنزل بالمَدينَة أو غيرها من البِلاد ، فإنْ كان عند الصَّحابَةِ الحاضِرين لها في ذلك أَثَرٌ عن رَسُولِ الله ﷺ حُكِمَ به ، وإلَّا اجْتَهَدَ أميرُ تلك المَدينَة[b] في ذلك . وقد يكون في تلك القَضِيَّة حُكْمٌ عن النَّبِيِّ ﷺ ، مَوْجُودٌ عند صاحِبٍ آخَرَ [c]في بَلَدٍ آخر[c] .

وقد حَضَرَ المَدَنيُّ ما لم يَحْضُر المِصْريُّ ، وحَضَر المِصْريُّ ما لم يَحْضُرِ الشَّامِيُّ ، وحَضَرَ الشَّامِيُّ ما لم يَحْضُرِ البَصْريُّ ، وحَضَرَ البَصْريُّ ما لم يَحْضُرِ الكُوفيُّ ، وحَضَرَ الكُوفيُّ ما لم يَحْضُرِ المَدَنيُّ ؛ كلُّ هذا موجودٌ في الآثار ، وفيما عُلِمَ من مَغيبِ بعضِ الصَّحابَة عن مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ في بعضِ الأَوْقات وحُضُورِ غَيْرِه ، ثم مَغيبِ الذي حَضَرَ أمس وحُضُور الذي غابَ ، فيَدْري كلُّ واحِدٍ منهم ما حَضَرَ ، ويَفُوتُه ما غابَ عنه . فمَضَى « الصَّـحابَةُ » ـ رضي الله عنهم ـ على ما ذَكَرْنا ، ثم خَلَفَ بعدهم التَّابِعون الآخِذون عنهم .

---

a) بولاق : لقتال . b) بولاق : البلدة . c-c) ساقطة من بولاق .

وكلُّ طَبَقَةٍ من « التَّـابِعِين » في البلاد التي تَقَدَّم ذِكْرُها ، فإنَّما تَفَقَّهوا مع مَنْ كان عندهم من الصَّحابةِ ، فكانوا لا يَتَعَدَّون فَتاويهم إلَّا اليَسير مِمَّا بَلَغهم عن غيْرِ مَنْ كان في بِلادِهم من الصَّحابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ : كاتِّباع أهْلِ المَدينَة ـ في الأكثر ـ فَتاوَىٰ عبد الله بن عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ واتِّباعِ أهْلِ الكُوفَة ـ في الأكثر ـ فَتاوَىٰ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ واتِّباعِ أهْلِ مَكَّة ـ في الأكثر ـ فَتاوَىٰ عبد الله بن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ واتِّباع أهْلِ مصر ـ في الأكثر ـ فَتاوَى عبد الله بن عَمْرو بن العَاص ، رضي الله عنهما .

ثم أَتَى من بَعْدِ التَّابِعين ـ رضي الله عنهم ـ « فُقَهاءُ الأَمْصَار » ، كأبي حَنيفَة وسُفْيان وابن أبي لَيْلَى بالكُوفَة ، وابن جُرَيج بمَكَّة ، ومالِك وابن الماجِشُون بالمَدينَة ، وعُثْمان البَتِّي وسُوار بالبَصْرة ، والأوْزَاعي بالشَّام ، واللَّيْثُ بنُ سَعْد بمصر ، فَجَروا على تِلك الطَّريق من أخْذِ كلٍّ واحِدٍ منهم عن التَّابِعين من أهْلِ بَلَدِه فيما كان عندهم ، واجْتِهادِهم فيما لم يَجِدُوا عندهم وهو مَوْجودٌ عند غيرهم[1] .

مَذاهِبُ أهلِ مِصْـر

وأمَّا مَذاهِبُ أهْلِ مصر ، فقال أبو سَعيد بن يُونُس : إنَّ عُبَيْدَ بن مِخْمَر المَعافِري[a] ـ يكنى أبا أُمَيَّة : رَجُلٌ من أصْحابِ النَّبِيّ ﷺ ، شَهِدَ فَتْحَ مصر و[b]رَوَى عنه أبو قَبِيل ـ يُقالُ إنَّه كان أوَّلَ من

a) بولاق : المغافري. b) الواو ساقطة من بولاق .

[1] سأشير هنا فقط إلى فقيه مصر أبي الحارث اللَّيْث بن سَعْد بن عبد الرحمن الفَهْمي المصري ، مولى عبد الرحمن بن خالد بن مُسافِر ، المتوفَّى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م ، الذي قال فيه الشَّافِعيّ : «اللَّيْثُ أفْقَه من مالِك ، إلَّا أنَّ أصْحابَه لم يقوموا به» . راجع عنه ، ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤١٨- ٤٢٠؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧: ٥١٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان=

أَقْرَأَ القُرْآنَ بمصر [١].

وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدِي ، أنَّ أبا مَيْسَرَة عبد الرَّحْمن بن مَيْسَرَة ، مَوْلَى المُلامِس الحَضْرَمِي ، كان فَقيهًا عَفيفًا شَريفًا ، وُلِدَ سنة عشرٍ ومائةٍ ، وكان أَوَّلَ النَّاس إِقْرَاءً بمصر بحَرْفِ نافِع قبل الخمسين ومائة ، وتوفّي سنة ثمانٍ وثمانين ومائةٍ [٢].

وذُكِرَ عن أبي قَبِيل وغيره ، أنَّ يَزيدَ بن أبي حَبيب أوَّل من نَشَرَ العِلْمَ بمصر في الحَلالِ والحَرام - وفي رواية ابن يُونُس : ومَسائلِ الفِقْه - وكانوا قَبْلَ ذلك إنَّما يَتَحَدَّثون في الفِتَن والتَّرْغيب [٣].

=١٢٧:٤- ١٣٢؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢٢:٨- ١٤٥؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤١٢:٢٤- ٤١٣؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٥٩:٨- ٤٦٥؛ A. Merad, *EI* [2] art. *al-Layth b Saʿd* III, pp. 716-17.

[١] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣٣٢.

[٢] في كتاب «المـوالي» (فيما يلي ١٥) ، وانظر ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣١٦.

[٣] أبو رجاء يَزيد بن أبي حبيب الأَزْدي مؤلاهم المصري ، كان مُفْتي أهْل مصر في أيّامه ، وهو أوّل من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام ، توفّي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م . (راجع ، ابن يونس: تاريخ (تاريخ المصريين) ٥٠٩- ٥١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣١:٦- ٣٣؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣١٨:١١)؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢٩٩:١).

أقول : كان اللَّيْث بن سَعْد وعبد الله بن لَهِيعَة ابن عُقْبَة المصري ، المتوفَّى سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م ، هما الحُجَّة والمرجعية الفقهية للمصريين . وقد وَصَلَت إلينا «صَحيفَةُ» عبد الله بن لَهِيعَة مكتوبةً على البَرْدي ، ويتناول الجزء المحفوظ منها الأحاديث الخاصَّة بيوم القيامة . (راجع ، C.H. Becker, *Papyrie Schott-Reinhardt*, Heidelberg 1906, I, p. 9; F. Sezgin, *GAS* I, p. 94; R. G. Khoury, «L'importance d'Ibn Lahiʿa et de son papyrus conservé à Heidelberg dans la tradition musulmane du deuxième siècle de l'hégire», *Arabica*, XXII (1975), pp.6-14; Id., *ʿAbd Allâh Ibn Lahiʿa (97-174/715-790) : Juge et grand maître de l'école égyptienne, avec l'édition critique de l'unique rouleau de papyrus arabe conservé à Heidelberg*, Codices Arabici Antiqui, vol IV, Otto Harrassowitz, Wiesbaden 1986، وعلى الأخصّ الصفحات ٢٤٣-٣٠٨) . =

وعن عَوْنِ بن سُلَيْم[a] الحَضْرَمي ، قال : كان عُمَرُ بن عبد العزيز قد جَعَلَ الفُتْيا بمصر إلى ثَلاثَةِ رِجال : رَجُلان من الموالي ، ورَجُلٌ من العَرَب ؛ فأمّا العَرَبي فجَعْفَر ابن رَبيعَة ، وأمّا المَوْليان فيَزيد بن أبي حَبيب وعبد الله بن أبي جَعْفَر ، فكأنَّ العَرَبَ أنْكَرُوا ذلك ، فقالَ عُمَر بن عبد العزيز : ما ذَنْبي إنْ كانتِ الموالي تَسْمُوا بأنْفُسِها صُعُدًا وأنتم لا تَسْمُون ؟!

وعن ابن أبي فُدَيْد : كانتِ البَيْعَةُ إذا جاءَت للخَليفَة ، أوَّلُ من يُبايع عبدُ الله بن أبي جَعْفَر ، ويَزيدُ بن أبي حَبيب ، ثم النَّاسُ بَعْد .

وقال أبو سعيدِ بن يُونُس في « تاريخ مصر » عن حَيْوَة بن شُرَيْح ، قال : دَخَلْتُ على حُسَيْن بن شُفَي بن ماتِع الأَصْبَحي وهو يقول : فَعَلَ الله بفُلانٍ ، فقلت : ما له ؟ فقال : عَمَد إلى كتابين كان شُفَي سَمِعَهُما من عبد الله بن عَمْرو بن العَاص - رضي الله عنهما - : أحَدُهُما قَضَى رَسُولُ الله ﷺ في كذا ، وقال رَسُولُ الله ﷺ في[b] كذا ؛ والآخَر ما يكون من الأحْداثِ إلى يوم القيامَة ، فأخَذَهُما فرَمَى بهما بين الخَوْلة والرَّباب . قال أبو سعيد بن يُونُس : يعني بقوله « الخَوْلَة والرَّباب » مَرْكِبَيْن كبيرَيْن من سُفُن الجِسْر ، كانا يكونان عند رأسِ الجِسْر ، ممَّا يلي الفُسْطاط ، يجوز من تحتهما - لِكِبَرِهما - المراكِبُ [1] .

---

a) بولاق : سليمان . b) في : ساقطة من بولاق .

= وانظر ترجمة ابن لهيعة عند ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧ : ٥١٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٨ - ٣٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨ : ١٠ - ٢٨ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧ : ٤١٥ - ٤١٦ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ - ٣٧٩ ؛ F. Rosenthal, *EI*² art. *Ibn Lahi 'a* III, pp. 877-78.

[1] ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ١٢٩ .

وذَكَرَ أبو عُمَر الكِنْدي أنَّ أبا سَعِيدٍ عُثْمان بن عَتيق، مَوْلَى غافِق، أوَّلُ من رَحَلَ من أهْلِ مصر إلى العِراقِ في طَلَبِ الحَديث، توفِّيَ سنة أربعٍ وثمانين ومائةٍ. انتهى [١].

وكان حَالُ أهْلِ الإسلامِ من أهْلِ مصر وغيرها من الأمْصَارِ، في أحْكامِ الشَّريعَة، على ما تَقَدَّم ذكره. ثم كَثُرَ التَّرَحُّلُ إلى الآفاقِ وتَداخَلَ النَّاسُ والْتَقوا، وانْتُدِبَ أقْوَامٌ لجَمْعِ الحَديثِ النَّبَوي وتَقْييده. فكان أوَّلَ من دَوَّنَ العِلْمَ محمدُ بنُ شِهاب الزُّهْري، وكان أوَّلَ من صَنَّف وبَوَّبَ سَعيدُ بنُ أبي عَروبَة[a] والرَّبيعُ بن صُبَيْح بالبَصْرَة، ومَعْمَرُ بنُ راشِد باليَمَن، وابنُ جُرَيْج بمَكَّة، ثم سُفْيانُ الثَّوْري بالكُوفَة، وحَمَّادُ بنُ سَلَمَة بالبَصْرَة، والوَليدُ بنُ مُسْلِم بالشَّام، وجَريرُ بن عبد الحَميد بالرَّيّ، وعبدُ الله بن المُبارَك بمَرْو وخُراسَان، وهُشَيْم بن بَشير بواسِط. وتَفَرَّدَ بالكُوفَة أبو بكر بن أبي شَيْبَة بتَكْثير الأبْوابِ وجَوْدَةِ التَّصْنيف وحُسْنِ التَّأليف [٢].

فوَصَلَت أحادِيثُ رَسُولِ الله ﷺ من البِلادِ البَعيدَة إلى مَنْ لم تكن عنده، وقامَتِ الحُجَّةُ على من بَلَغَه شيءٌ منها، وجُمِعَتِ الأحاديثُ المُبَيِّنَة لصِحَّةِ أحَدِ التأويلات المتأوَّلة من الأحاديث، وعُرِفَ الصَّحيحُ من السَّقيم، وزَيِّفُ الاجْتِهادِ المؤدِّي إلى خِلافِ كلام رَسُولِ الله ﷺ، وإلى تَرْكِ عَمَلِه، وسَقَطَ العُذْرُ عمَّن خالَف ما بَلَغَه من السُّنَن ببُلُوغِه إليه وقِيام الحُجَّةِ عليه.

---

a) بولاق: سعيد بن عروبة.

---

[١] في كتاب «المـوالي». وانظر كذلك، .A FU'ÂD SAYYID, *La capitale de l'Égypte*, pp. 569-70.

[٢] راجع أيضًا، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٣: ٧٧٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٣١٥.

وعلى هذا الطَّريق كان الصَّحابَةُ ـ رضي الله عنهم ـ وكثيرٌ من التَّابِعين يرحلون في طَلَبِ الحَديثِ الواحِد الأيَّامَ الكثيرة ، يَعْرِفُ ذلك من نَظَرَ في كُتُبِ الحَديث ، وعَرَف سِيَرَ الصَّحابَةِ والتَّابِعين [١] .

فلمَّا قامَ هارُونُ الرَّشيد في الخِلافَة ، ووَلَّى القَضَاءَ أبا يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم [٢] ـ أحَد أصْحابِ أبي حَنيفَة رَحِمَهُما الله تعالى ـ بعد سنة سبعين ومائةٍ . فلم يُقَلَّد بِلاد العِراق وخُراسَان و الشَّام ومِصْر إلَّا من أشارَ به القاضي أبو يوسُف ـ رَحِمَهُ الله ـ واعْتَنَى به .

وكذلك لمَّا قامَ بالأَنْدَلُس الحَكَمُ المُرْتَضَى بن هِشَام بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوِيَة بن هِشام ابن عبدِ الملك بن مَرْوان بن الحَكَم [٣] بعد أبيه ، وتلقَّب بالمُسْتَنْصِر في سنة ثمانين ومائةٍ ، اخْتَصَّ بيحيى بن يحيى بن كَثير الأَنْدَلُسي [٤] ـ و كان حَجَّ وسَمِعَ « المُوَطَّـأ » من مَالِكٍ إلَّا أبْوابًا ، وحَمَلَ عن ابن وَهْبٍ وعن ابن القاسِم وغيره عِلْمًا كثيرًا ، وعادَ

---

[١] راجع حول هذا الموضوع ، F. SEZGIN, *GAS* I, pp. 55-58 (الترجمة العربية ١:١١٩-١٢٣) .

[٢] أبو يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم بن حَبيب بن خُنَيْس الأنصاري الكوفي البغدادي ، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأوَّل من نَشَرَ مَذْهَبه ، المتوفَّى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م . (وكيع : أخبار القضاة ٣:٢٥٤-٢٦٤؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٤:٢٦٢-٢٦٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦:٣٧٨-٣٩٠؛ القرشـي : الجواهر المضية ٣:٦١١-٦١٣؛ F. SEZGIN, *GAS* I, 419-21) .

[٣] راجع ترجمة الحكم بن هِشام الرَّبَضي صاحب الأَنْدَلُس ، المتوفَّى سنة ٢٠٦هـ/٨٠٢م عند ، ابن الأبار : الحلة السيراء ١:٤٣-٥٠؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨:٢٢٥-٢٣١، ٩:٥٢١؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣:١١٧-١١٩.

[٤] أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وِسْلاس ابن شِمْلال اللَّيْثي المَصْمودي الأَنْدَلُسي القُرْطُبي ، المتوفَّى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م ، انظر ترجمته عند ، ابن الفَرَضي : تاريخ علماء الأندلس ٢:١٧٩-١٨١؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢:٥٣٤-٥٤٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦:١٤٣-١٤٦؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨:٥١٩-٥٢٥.

إلى الأَنْدَلُس ، فنالَ من الرِّياسَة والحُرْمَة ما لم يَنَلْه غيره ، وعادَتِ الفُتْيا إليه ، وانْتَهَى السُّلْطانُ والعامَّةُ إلى بابِه ـ فلم يُقَلَّد ، في سَائِر أعْمالِ الأَنْدَلُس ، قاضٍ إلَّا بإشارَتِه واعْتِنائِه . فصارُوا على رأي مالِك ، بعدما كانوا على رأي الأَوْزاعي .

وقد كان مَذْهَبُ الإمام مالِك أَدْخَلَه إلى الأَنْدَلُس زِيادُ بنُ عبد الرَّحْمَن ـ الذي يُقالُ له شَبَطُون[١] ـ قبل يَحْيَى بن يَحْيَى ، وهو أوَّلُ من أَدْخَلَ مَذْهَبَ مالِكٍ إلى الأَنْدَلُس . وكانت إفْرِيقِيَّةُ الغالِب عليها السُّنَن والآثار ، إلى أن قَدِمَ عبدُ الله بن فَرُّوج أبو محمد الفارسي ، بمَذْهَبِ أبي حَنيفَة ، ثم غَلَب أَسَدُ بنِ الفُرات بن سِنان ، قاضِي إفْرِيقِيَّة ، بمَذْهَبِ أبي حَنيفَة[٢] .

ثم لمَّا وَلِيَ سَحْنُون بن سَعيدِ التَّنُوخي قَضَاءَ إفْرِيقِيَّة بعد ذلك ، نَشَرَ فيهم مَذْهَبَ مالِك ، وصارَ القَضَاءُ في أصْحابِ سَحْنُون[٣] دُوَلًا يتصاوَلون على الدُّنيا

---

[١] حاشية بخطِّ المُؤَلِّف : «زيادُ بن عبد الرَّحْمَن ابن زُهَيْر ابن ناشِرَة بن لوزان بن حي بن أَخْطَب بن ربّه بن عمرو ابن الحارث بن وائل بن راشِد بن جزيلة ابن لَخْم بن عَدَي ابن أَشْرَس بن شبيب بن السَّكون ، يُعْرَف بشَبَطُون ، أَنْدَلُسي توفِّي بها سنة ثلاث وتسعين ومائة . كان فقيه الأَنْدَلُس على مَذْهَب مالِك ، وهو أوَّلُ من أَدْخَل مَذْهَب مالِك الأَنْدَلُس وكانوا قبله على مَذْهَب الأَوْزاعي» .

وانظر ترجمة شَبَطُون عند ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١٥٤-١٥٦؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٣٤٩:٢-٣٥١؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣١١:٩-٣١٢؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦:١٥-١٧.

[٢] حاشية بخطِّ المُؤَلِّف : «أَسَدُ بن الفُرات بن سِنان الفقيه أبو عبد الله قاضي إفريقية مَوْلَى بني سُلَيْم ، صاحِب الكُتُب في فِقْه مالِك التي تُعْرَفُ بالأَسَدِيَّة . وُلِدَ سنة أربعٍ وأربعين ، ومائة وماتَ في رَبيع الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وهو مُحاصِرٌ سَرَقُوسيَة من قِبَل زِيادَة الله بن الأَغْلَب» .

وراجع ترجمة أسد بن الفُرات عند ، المالكي : رياض النفوس ٢٥٤:١-٢٧٣؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢: ٤٦٥؛ الدَّباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٣:٢-٢٦؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٢٥:١٠-٢٢٨؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ٦؛ G. MARÇAIS, *EI*[2] art. *Asad ibn al-Furât* I, p. 706; F. SEZGIN, *GAS* I, p. 467 (الترجمة العربية ١٤٥:٣/١-١٤٦) .

[٣] عبد السَّلام بن سعيد بن حبيب التَّنُوخي ، الملقَّب بسَحْنُون (اسم طائر حديد بالمغرب يُسَمُّونه سَحْنونًا لحِدَّة ذهنه وذكائه) ، المتوفَّى سنة =

تَصاوُل الفُحُولِ على الشُّوَّل . إلى أن تَوَلَّى القَضَاءَ بها بنو هاشِم - وكانوا مالِكِيَّة - فتوارَثُوا القَضَاءَ كما تُتوارَث الضِّياعُ ، ثم إنَّ المُعِزَّ ابن بادِيس حَمَلَ جَميعَ أهْلِ إفْرِيقِيَّة على التَّمَسُّك بمَذْهَبِ مالِك وتَرْكَ ما عَداه من المذاهِب ، فَرَجَع أهْلُ إفْرِيقِيَّة وأهْلُ الأنْدَلُس كلُّهم إلى مَذْهَبِ مالِك إلى اليوم ، رَغْبَةً فيما عند السُّلْطان وحِرْصًا على طَلَبِ الدُّنْيا ، إذ كان القَضَاءُ والإفْتاءُ في جَميعِ تِلْكَ المُدُن وسَائِر القُرَى ، لا يكون إلَّا لمن تَسَمَّى بالفِقْهِ على مَذْهَبِ مالِك ، فاضْطُرَّتِ العامَّةُ إلى أحْكامِهم وفَتاواهُم ، ففَشَا هذا هناك فُشُوًّا طَبَّقَ تلك الأقْطار [١] .

كما فَشا مَذْهَبُ أبي حَنيفَة ببِلاد المَشْرِق ، حيث إنَّ أبا حَامِد [a]أحمد بن محمد بن أحمد[a] الإسْفَرايِيني [٢] ، لمَّا تَمكَّن من الدَّوْلَة في أيَّام الخَلِيفَة القادِر بالله أبي العَبَّاس أحمد ، قَرَّرَ معه اسْتِخْلافَ أبي العَبَّاس أحمد بن محمد البارَزِديّ[b]

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : البارزي .

= ٢٤٠هـ/٨٥٤م . (المالكي : رياض النفوس ٣٤٥:١- ٣٧٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٨٠:٣- ١٨٢؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٥٨٥:٢- ٦٢٦؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٦٣:١٢- ٦٩؛ الدباغ : معالم الإيمان ٧٧:٢- ١٠٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤٢٥:١٨- ٤٢٦؛ F. SEZGIN, *GAS* I, 468-71 (الترجمة العربية ١٤٨:٣/١-١٥٤)؛ M. TALBI, *EI*[2] (art. *Sahnûn* VIII, pp. 872-75) .

[١] راجع حَوْل قَطْع المُعِزّ بن باديس دَعْوَة الفاطميين ، وعَوْدَته إلى مَذاهِب أهْل السُّنَّة والمَذْهَب المالكي بوَجْهٍ خاص ، ابن عذاري : البيان المغرب ٢٦٧:١، ٢٧٣- ٢٧٤، ٢٧٨- ٢٧٩؛ H.R. IDRIS, *La Berbérie Orientale sous les Zirides X[e]-XII[e] siècles*, Paris 1962, pp. 142-203؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٨٩- ١٩١.

[٢] أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسْفَرايِيني ، شيخ الشَّافعية ببَغْداد ، المتوفَّى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م . (الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ٢٠:٦- ٢٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧٢:١- ٧٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٩٣:١٧- ١٩٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣٥٧:٧-٣٥٨) .

الشَّافِعِيّ ، عن أبي محمد بن الأَكْفاني الحَنَفي قاضي بَغْداد ، فأُجيبَ إليه بغَيْرِ رِضَا الأَكْفاني . وكَتَبَ أبو حَامِد إلى السُّلْطان محمود بن سُبُكْتُكين وأهْلِ خُراسان أنَّ الخَليفَةَ نَقَلَ القَضاءَ عنِ الحَنَفية إلى الشَّافِعِيَّة . فاشْتُهِرَ ذلك بخُراسان ، وصَارَ أهلُ بَغْداد حِزْبَيْن .

وقَدِمَ عَقيب[a] ذلك أبو العَلاء صَاعِد بن محمد ، قاضي نَيْسابور ورَئيس الحَنَفِيَّة بخُراسان ، فأتاه الحَنَفِيَّة ، فثارَت بينهم وبين أصْحابِ أبي حَامِد فِتْنَةٌ ارْتَفَعَ أمْرُها إلى السُّلْطان.

فجَمَعَ الخَليفَةُ القادِرُ الأشْرَافَ والقُضَاة ، وأخْرَجَ إليهم رِسالَةً تتضمَّن : أنَّ الإسْفراييني أَدْخَل على أمير المؤمنين مَداخِلَ أَوْهَمَه فيها النُّصْحَ و الشَّفَقَة والأمانة ، وكانت على أُصُولِ الدَّخَل والخِيانة . فلمَّا تَبَيَّنَ له أَمْرُه ، ووَضَحَ عنده خُبْثُ اعْتِقادِه ، فيما سأل فيه من تَقْليد الباوَرْدي[b] الحُكْم بالحَضْرَة ، من الفَسَادِ والفِتْنَةِ والعُدولِ بأميرِ المؤمنين عمَّا كان عليه أسْلافُه من إيثار الحَنَفِيَّة وتَقْليدهم واسْتِعمالِهم ، صَرَفَ الباوَرْدي[b] وأعادَ الأمْرَ إلى حَقِّه ، وأجْراه على قَديمِ رَسْمِه ، وَحَملَ الحَنَفِيِّين على ما كانُوا عليه من [c]العِنايَة والحِراسَة والإعْزاز والكَرامة[c]، وتَقَدَّم إليهم بأنْ لا يَلْقَوا أبا حامِد ، ولا يَقْضُوا له حَقًّا ، ولا يَرُدُّوا عليه سَلامًا . وخَلَعَ على أبي محمد [بن] الأكْفاني ، وانْقَطَع أبو حامِد عن دارِ الخِلافَة ، وظَهَر التَّسَخُّط عليه والانْحرافُ عنه ، وذلك في سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ ، واتَّصَلَ ببلاد الشَّام ومصر .

وأوَّلُ من قَدِمَ بعِلْم مالِك إلى مصر عبد الرَّحيم بن خالِد بن يَزيد أبو[d] يحيى ، مَوْلَى جُمَح ، وكان فَقيهًا ، رَوَى عنه اللَّيْثُ وابنُ وَهْب ورِشْدِينُ[e] بن سَعْد ،

---

a) بولاق : بعد . b) بولاق : البارزي . c-c) بولاق : من العناية والكرامة والحرمة . d) بولاق : بن .
e) بولاق : رشيد .

وتوفِّي بالإسْكَنْدَرية سنة ثلاثٍ وستين ومائةٍ. ثم نَشَرَه بمصر عبد الرَّحْمَن بن القاسِم ، فاشْتُهِرَ مَذْهَبُ مالِك بمصر أكثر من مَذْهَبِ أبي حَنيفَة ، لتَوَفُّر أصْحابِ مالِك بمصر. ولم يَكُن مَذْهَبُ أبي حَنيفَة ـ رَحِمَهُ الله ـ يُعْرَفُ بمصر. قال ابنُ يُونُس : وقَدِمَ إسماعيلُ بنُ الْيَسَع الكوفي قاضِيًا بعد ابن لَهِيعَة ، وكان من خَيْرِ قُضاتِنا ، غير أنَّه كان يَذْهَبُ إلى قَوْلِ أبي حَنيفَة ، ولم يَكُن أهْلُ مصر يَعْرِفُون مَذْهَبَ أبي حَنيفَة ، وكان مَذْهَبُه إبْطالَ الأحْبَاس ، فثَقُلَ أمْرُه على أهْلِ مصر ، وسَئِمُوه [١].

ولم يَزَلْ مَذْهَبُ مالِك مُشْتَهِرًا بمصر حتى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ محمد بن إدْريس إلى مصر ، مع عبد الله بن العَبَّاس بن مُوسَىٰ بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس ، في سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ . فصَحِبَه من أهْل مصر جَماعَةٌ من أعْيانِها ـ كبَني عبد الحَكَم ، والرَّبيع بن سُلَيْمان ، وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنيّ ، وأبي يَعْقُوب يُوسُف بن يحيىٰ البُوَيْطي ـ وكَتَبوا عن الشَّافِعي ما أَلَّفَه ، وعَمِلوا بما ذَهَبَ إليه . ولم يَزَل أَمْرُ مَذْهَبِه يَقْوَى بمصر ، وذِكْرُه يَنْتَشِر [٢].

---

[١] ابن يونس : تاريخ (تاريخ الغرباء) ٣٨- ٣٩؛ ابن حجر : رفع الإصر ٨٩.

[٢] الإمام محمد بن إدريس الشَّافِعي ، أحَدُ الأئِمّة الأربعة عند أهْل السُّنَّة ، المتوفَّى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م. وهو مُؤَسِّس عِلْم أصُول الفِقْه بكتابه الشهير «الرِّسالة» ، نشره أحمد محمد شاكر بالقاهرة سنة ١٩٣٩. وجاء مَذْهَبُه الفِقْهي وَسَطًا بين المذاهِب ، حيث أخَذَ بالقرآن والسُّنَّة وأخَذَ بالإجْماع في المسائل التي جرى العمل بها في كافَّة بلاد الإسلام ، كما ذَهَبَ كذلك إلى تَعْميم استعمال القِياس وإعْمال الرأي. (راجع ، ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه ، القاهرة ١٩٥٣؛ البيهقي : مناقب الشَّافعي ، تحقيق السَّيِّد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٧١؛ النديم : الفهرست ٢: ٣٧-٤١؛ الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ٢: ٣٩٢-٤١٤؛ المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٣٠٩-٤١٩ (ترجمة مطوَّلة ولكنها مبتورة في آخرها)؛ وانظر قائمةً بمصادر ترجمته وبمؤلَّفاته وأماكن وجودها عند F. SEZGIN, *GAS* I, pp.484-90 (الترجمة العربية ١/٣: ١٧٩-١٩١) ، ولمصطفى عبد الرازق : الإمام الشافعي ، القاهرة ١٩٤٥؛ ومحمد أبو زهرة : الشافعي ـ حياته =

قال أبو عُمَر الكِنْدي في كِتابِ « أُمَرَاءِ مِصْر » : ولم يَزَل أَهْلُ مصر على الجَهْرِ بالبَسْمَلَة في الجَامِع العَتيق إلى سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين[١]. قال : ومَنَعَ أَرْجُوز[a]، صاحِبُ شُرْطَةِ مُزاحِم بن خاقان أمير مصر ، مِنَ الجَهْرِ بالبَسْمَلَة في الصَّلوات بالمَسْجِد الجَامِع ، وأَمَر الحُسَين بن الرَّبيع إمام المَسْجِد الجَامِع بتَرْكها ، وذلك في رَجَب سنة ثلاثٍ وستين ومائتين . ولم يَزَل أَهْلُ مصر على الجَهْر بها في المسجد الجَامِع منذ الإسْلام إلى أن مَنَعَ منها أَرْجُوز[a] [٢].

قال : وأَمَرَ أَنْ تُصَلَّى التَّراويحُ في شهر رَمَضان خَمْسَ تَراويحَ ، ولم يَزَل أَهْلُ مصر يُصَلُّون سِتَّ تراويح ، حتى جَعَلَها أَرْجُوز[a] خمسًا في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين ، ومَنَعَ من التَّثْويب[٣]، وأَمَرَ بالأَذان يوم الجُمُعَة في مُؤَخَّرِ المَسْجِد ، وأَمَر بالتَّغْليس[٤] بصَلاةِ الصُّبْح ، وذلك أَنَّهم أَسْفَروا بها[٥].

وما زالَ مَذْهَبُ مالِك ومَذْهَبُ الشَّافِعيّ ـ رَحِمَهُما الله تعالى ـ يَعْمَلُ بهما أَهْلُ مصر ، و يُوَلَّى القَضاءُ من كان يَذْهَبُ إليهما أو إلى مَذْهَبِ أبي حَنيفَة ـ رَحِمَهُ الله ـ إلى أن قَدِمَ القائِدُ جَوْهَرٌ من بِلادِ إفْريقِيَّة ، في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، بجُيُوشِ مَوْلاه المُعِزِّ لدين الله أبي تميم مَعَدٍّ ، وبَنَى مَدينَةَ القاهِرَة ؛ فمن حينئذٍ فَشَا

a) بولاق : أرجون .

= وعصره ، آراؤه وفقهه ، القاهرة ١٩٤٥؛ CHAUMONT, *EI*² art. *al-Shâfi'î* IX, pp. 187-91; (ID., *EI*² art. *al-Shâfi'iyya* IX, pp. 191-95).

[١] المقريزي : المواعظ ٢ : ٧٩.

[٢] الكندي : ولاة مصر ٢٣٦؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٧٩.

[٣] التَّثويب : تكرير الأذان .

[٤] التَّغْليس : أي يُصَلُّوا في الغَلَس وهي ظُلْمَةُ آخر اللَّيْل .

[٥] الكندي : ولاة مصر ٢٣٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢:٣٣٧-٣٣٨، وأسْفَروا بها أي صَلُّوها في الضوء .

بديارِ مصر مَذْهَبُ الشِّيعَة، وعُمِلَ به في القَضَاءِ والفُتْيا، وأُنْكِرَ ما خالَفَه، ولم يَبْقَ مَذْهَبٌ سِواه.

وقد كان التَّشَيُّعُ بأرْضِ مصر مَعْرُوفًا قبل ذلك؛ قال أبو عُمَر الكِنْدي في «كِتاب الموالي» عن عبد الله بن لَهِيعَة أنَّه قال: قال يَزِيدُ بن أبي حَبيب: «نَشَأْتُ بمصر وهي عَلَوِيَّة، فقَلَبْتُها عُثْمانية».

وكان ابْتِداءُ التَّشَيُّع في الإسْلام أنَّ رَجُلًا من اليَهود، في خِلافَةِ أمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ أَسْلَم، فقيل له عبد الله بن سَبَأ، وعُرِفَ بابن السَّوْدَاء، وصار يَتَنَقَّل من الحِجَازِ إلى أمْصَارِ المسلمين يُرِيدُ إضْلالَهم، فلم يُطِق ذلك؛ فرَجَعَ إلى كَيْدِ الإسْلام وأهْله، ونَزَلَ البَصْرَة في سنة ثلاثٍ وثلاثين، فجَعَلَ يَطْرَح على أهْلِها مَسائِلَ ولا يُصَرِّح. فأقْبَل عليه جَماعَةٌ ومالُوا إليه، وأُعْجِبوا بقَوْلِه. فبَلَغَ ذلك عبد الله بن عامِر ـ وهو يومئذٍ على البَصْرَة ـ فأرْسَلَ إليه، فلمَّا حَضَرَ عنده سأله: ما أنت؟ فقال: رَجُلٌ من أهْلِ الكِتاب، رَغِبْت في الإسْلام وفي جِوارِك. فقال: ما شيءٌ بَلَغَني عنك؟ اخْرُج عَنِّي. فخَرَج حتى نَزَلَ الكُوفَة، فأُخْرِجَ منها، فسارَ إلى مِصْر واسْتَقَرَّ بها، وقال في النَّاسِ: العَجَبُ ممَّن يُصَدِّق أنَّ عيسىٰ يَرْجع، ويُكَذِّب أنَّ محمدًا يَرْجِع[1].

---

[1] كُتِبَت دراساتٌ كثيرةٌ حَوْل ابن سَبَأ والسَّبَئِيَّة، شَكَّكَ أغلبُها في الوجود التاريخي لابن سبأ وفي المصادر التي ذكرت أخباره، وعلى الأخصّ روايات سَيْف بن عمر التَّميمي الأُسدي. (راجع، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٥؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢٣٣-٢٣٦؛ L. FRIEDLANDER, «'Abd Allâh ibn Saba'», *ZA* 23 (1909), pp. 296-327, 24 (1910), pp.1-46؛ جواد علي: «عبد الله بن سبأ»، مجلة الرسالة ١٦ (١٩٤٨)، ٤٩٧-٤٩٨، ٥٢٣-٥٢٥، ٥٥٠-٥٥١، ٥٥٧-٥٥٩، ٥٨٢-٥٨٤، ٦٠٩-٦١١، وأعاد نشرها مع إضافاتٍ جديدة في مجلة المجمع العلمي العراقي ٥ (١٩٥٨)، ٦٦-١٠٠؛ مرتضى العسكري: عبد الله ابن سبأ، بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم، القاهرة ١٣٨١هـ؛=

وتَحَدَّث في الرَّجْعَة حتى قُبِلَت منه ، فقال بعد ذلك : إنَّه كان لكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيّ ، وعليٌّ بن أبي طالب وَصِيّ محمد ﷺ ، فمن أَظْلَم مِمَّن لم يُجِز وَصِيَّة رَسُولِ الله ﷺ في أنَّ عليّ بن أبي طالِب وَصِيُّه في الخِلافَة على أُمَّته . واعْلَمُوا أنَّ عُثْمان أَخَذَ الخِلافَة بغيرِ حَقٍّ ، فانْهَضُوا في هذا الأمْر ، وابدأوا بالطَّعْن على أُمَرائِكم ، فأَظْهِروا الأَمْرَ بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر تَسْتَميلوا به النَّاس . وبَثَّ دُعاتَه ، وكاتَبَ مَنْ مالَ إليه من أَهْلِ الأَمْصَار وكاتَبوه ، ودَعَوا في السِّرِّ إلى ما عليه رأيهم ، وصارُوا يَكْتُبون إلى الأَمْصَارِ كُتُبًا يَضَعونَها في عَيْبِ وُلاتهم ، فيكتب أَهْلُ كلِّ مصرٍ منهم إلى أَهْلِ المصر الآخر بما يَضَعون حتى مَلأوا بذلك الأَرْضَ إذاعَةً .

وجاءَ إلى أَهْلِ المَدينَة من جَميعِ الأَمْصَار ، فأَتَوْا عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ في سنة خمسٍ وثلاثين ، وأَعْلَموه ما أرْسَلِ به أَهْلُ الأَمْصَار من شَكْوى عُمَّالهم . فبَعَث محمد بن مَسْلَمَة إلى الكُوفَة ، وأُسامة بن زَيْد إلى البَصْرة ، وعَمَّار بن يَاسِر إلى مصر ، وعبد الله بن عمر إلى الشَّام لكَشْفِ سِيَر العُمَّال . فرَجَعُوا إلى عُثْمان ، إلَّا عَمَّارًا ، وقالوا : ما أَنْكَرْنا شيئًا . وتأخَّر عَمَّارٌ ، فوَرَدَ الخَبَرُ إلى المَدينَة بأنَّه قد اسْتَماله عبدُ الله بن السَّوْداء في جَماعَةٍ . فأَمَرَ عُثْمانُ عُمَّالَه أنْ يُوافُوه بالمواسِم ، فقدِموا عليه واسْتَشَاروه ، فكلٌّ أشارَ برأيٍ . ثم قَدِمَ المَدينَةَ بعد المَوْسِم ، فكان بينه وبين عليّ بن أبي طالِب كلامٌ فيه بعض الجَفَاءِ بسَبَبِ إعْطائِه أقاربه ، ورَفْعِه لهم على ما سِواهم .

وكان المُنْحَرِفُون عن عُثْمان قد تَواعَدوا يَوْمًا يَخْرُجون فيه بأَمْصَارِهم إذا سارَ عنها الأُمَرَاءُ ، فلم يَتَهَيَّأْ لهم الوُثُوب . وعندما رَجَعَ الأُمَرَاءُ من المَوْسِم ، تَكاتَب المخالِفُون في القُدُوم إلى المَدينَة ليَنْظُروا فيما يُرِيدُون .

M. G. S. Hodgson, *EI*[2] art. 'Abd Allâh=b. Saba' I, pp. 52-53؛ عبد العزيز صالح الهلابي : «عبد الله بن سبأ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة»، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ، الحولية الثامنة ، الرسالة الخامسة والأربعون ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٩- ٩٠؛ وفيما يلي ٩٨- ٩٩، ١١٩.

وكان أميرُ مصر من قِبَل عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ عبدَ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح العامِري ، فلمَّا خَرَجَ في شهر رَجَب من مصر في سنة خمس وثلاثين ، اسْتَخْلَفَ بعده عُقْبَة بن عامِر الجُهَني في قَوْلِ اللَّيْث بن سَعْد . وقال يَزِيدُ بنُ أبي حَبيب : بل اسْتَخْلَف على مصر السَّائِب بن هِشَام العامِري ، وجَعَلَ على الخَرَاج سليم بن عَنْز التُّجيبي .

[١] فانْتَزَى محمد بن أبي حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن رَبيعَة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف ، في شَوَّالٍ من السنة المذكورة ، وأَخْرَج عُقْبَةَ بن عامِر من الفُسْطاط ، ودَعا إلى خَلْعِ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ وأَسْعَر البِلادَ ، وحَرَّضَ على عُثْمان بكلِّ شيءٍ يَقْدر عليه . فكان يَكْتُب الكِتابَ على لِسانِ أَزْواجِ رَسُولِ الله ﷺ ويأْخُذ الرَّواحِل فيُضَمِّرُها ، ويَجْعَل رِجالًا على ظُهورِ البُيُوت ووُجوهُهم إلى وَجْهِ الشَّمْسِ لِتَلَوَّح وُجوهَهم تَلْويح المسافِر ، ثم يأمُرُهم أنْ يَخْرُجوا إلى طَريق المدينَةِ بمصر ، ثم يُرْسِلون رُسُلًا يُخْبِرُون بهم النَّاس ليَتَلَقَّوهم . وقد أَمَرَهُم إذا لقيهم النَّاسُ أنْ يقولوا : ليس عندنا خَبَرٌ ، الخَبَرُ في الكُتُب . فيجيء رَسُولُ أولئِك الذين دَسَّ فيذكر مَكانَهم ، فيَلْقاهم ابن أبي حُذَيْفَة ـ والنَّاسُ يقولون نَتَلقَّى رُسُلَ أَزْوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ ـ فإذا لَقُوهم قالوا لهم : ما الخَبَرُ ؟ قالوا : لا خَبَرَ عندنا ، عليكم بالمسْجِد ليُقْرأ عليكم كُتُب[a] أَزْواجِ النَّبيّ ﷺ . فيَجْتَمِع النَّاسُ في المَسْجِد اجْتِماعًا ليس فيه تَقصيرٌ ، ثم يَقُوم القارئُ بالكِتاب فيقول : إنَّا نَشْكو إلى الله وإليكم ما عُمِل في الإسْلام ، وما صُنِعَ في الإسْلام . فيقوم أولئك الشُّيوخ من نَواحي المَسجِد بالبُكاء فيَبْكون ، ثم يَنْزِل عن المِنْبَر ، ويَتَفَرَّقُ النَّاسُ بما قُرِئَ عليهم .

---

a) بولاق : كتاب .

---

[١] من هنا يَتْبَع المقريزي نَصَّ الكندي في كتاب «ولاة مصر» في الفصل الذي سَمَّاه «انْتِزاء محمد بن أبي حُذَيْفَة» .

فلمَّا رأت ذلك شِيعَةُ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ اعْتَزَلوا محمد بن أبي حُذَيْفَة ، ونابَذوه ـ وهم : مُعاوية بن حُدَيْج ، وخارِجَة بن حُذافَة ، وبُسْر بن أبي أَرْطاة [a]، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد ، وعَمْرو ابن قَحْزَم الخَوْلاني ، ومِقْسَم بن بَجْرَة ، وحَمْزَة بن سَرْح بن كِلال ، وأبو الكُنُود سَعْد بن مالِك الأَزْدي ، وخالِد بن ثابِت الفَهْمي ـ في جَمْع كثير ، وبَعَثوا سَلَمَة بن مَخْرَمَة التُّجيبي إلى عُثْمان ليُخْبِره بأمْرِهم ، وبصَنيعِ ابن أبي حُذَيْفَة [1].

فبَعَثَ عُثْمانُ ـ رضي الله عنه ـ سَعْدَ بن أبي وقَّاص ليُصْلِح أَمْرَهم . فبَلَغَ ذلك ابن أبي حُذَيْفَة ، فخَطَبَ النَّاسَ وقال : أَلَا إنَّ الكَذا[b] والكَذا قد بَعَثَ إليكم سَعْدَ ابن مالِك ليَفِلّ جَماعَتكم ، ويُشَتِّت كَلِمَتكم ، ويُوقِع التَّجادُل بينكم ، فانْفِروا إليه . فخَرَجَ منهم مائة أو نحوها ، وقد ضُرِبَ فُسْطاطُه وهو قائِل ، فقَلَّبوا عليه فُسْطاطَه ، وشَجُّوه وسَبُّوه . فرَكِبَ راحِلَتَه ، وعادَ راجِعًا من حيث جاءَ ، وقال : ضَرَبَكم الله بالذُّلّ والفُرْقَة ، وشَتَّتَ أَمْرَكُم ، وجَعَلَ بَأْسَكم بينكم ، ولا أَرْضاكم بأمير ، ولا أَرْضاه عنكم [2].

وأَقْبَلَ عبدُ الله بن سَعْد حتى بَلَغ جِسْر القُلْزُم ، فإذا بخَيْلٍ لابن أبي حُذَيْفَة ، فمَنَعُوه أنْ يَدْخُل ، فقال : وَيْلَكم ! دَعُوني أَدْخُل على جُنْدي فأُعْلِمهم بما جِئْتُ به ، فإنِّي قد جِئْتُهم بخَيْر فأَبَوا أن يَدَعوه ، فقال : والله لوَدِدْت أنِّي دَخَلْت عليهم ، فأُعْلِمُهم[c] بما جِئْتُ به ، ثم مُتّ . فانْصَرَفَ إلى عَسْقَلانَ [3].

---

a) بولاق : بسر بن أرطاة . b) عند الكندي : إلَّا إن الكذّاب كذا وكذا . c) بولاق : وأعلمنهم .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٣٨- ٣٩؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٢.
[2] نفسه ٤٠.
[3] نفسه ٤٠.

وأَجْمَع محمدُ بن أبي حُذَيْفَة على بَعْثِ جَيْشٍ إلى أمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ فقال : من يَتَشَرَّط في هذا البَعْث . فكَثُرَ عليه من يَتَشَرَّط ، فقال : إنَّما يَكْفينا منكم ستّ مائة رجل . فتَشَرَّط من أهْلِ مصر ستُّ مائة رَجُل ، على كلِّ مائة منهم رَئيسٌ ، وعلى جَماعَتهم عبد الرَّحْمن بن عُدَيْس البَلَوي ، وهم : كِنانَة بن بِشْر بن سَلْمَان[a] التُّجيبي ، وعُرْوَة بن شُيَيْم[b] اللَّيْثي ، وأبو عَمْرو ابن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي ، وسُوْدان بن رُومان[c] الأَصْبَحي ، وذَرْع بن يَشْكُر النَّافِعي [1] .

وسُجِنَ رِجالٌ من أهْلِ مصر في دُورِهم ، منهم بُسْر بن أبي أَرْطاة[d] ومُعاوية بن حُدَيْج . فبَعَثَ ابنُ أبي حُذَيْفَة إلى مُعاوية بن حُدَيْج ـ وهو أَرْمَد ـ ليُكْرِهه على البَيْعة . فلمَّا بلَغَ ذلك كِنانَة ابن بِشْر ـ وكان رأس الشِّيعَة الأولى ـ دَفَعَ عن مُعاوية ما كَرِه [2] .

ثم قُتِلَ عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ في ذي الحجَّة سنة خمسٍ وثلاثين [3] ، فدَخَلَ الرَّكْبُ إلى مصر وهم يَرْتَجِزون :

[الرجـز]

خُذْها إليكَ وَاحْذَرَنْ أبا الحَسَنْ
إنَّا نُمِرّ الحَـرْبَ إمْـرارَ الرَّسَـنْ
بالسَّيْفِ كَيْ تَخْمَدَ نِيرانُ الفِتَنْ

---

a) بولاق : سليمان . b) بولاق : سليم . c) بولاق : ريّان ، والكندي : ابن أبي رومان . d) بولاق : بسر ابن أرطاة .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٤٠ - ٤١؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٣.

[2] نفسـه ٤١.

[3] راجع عن الفِتْنَة ، دراستي مارتن هينز وهشام جعيت المذكورتين في المواعظ ٢ : ٤٣هـ [2] .

فلمَّا دَخلوا المَسْجِدَ صَاحُوا: إنَّا لَسْنَا قَتَلَة عُثْمان ، ولكن الله قَتَلَه . فلمَّا رأى ذلك شِيعَةُ عُثْمان ، قامُوا وعَقَدوا لمُعاوية بن حُدَيْج عليهم ، وبايَعوه على الطَّلبِ بدَمِ عُثْمان. فسارَ بهم مُعاويةُ إلى الصَّعيد ، فبَعَث إليهم ابن أبي حُذَيْفَة ، فالتقوا بدِقْناش[1] من كُورَة البَهْنَسا ، فهُزِمَ أصْحَابُ ابن أبي حُذَيْفَة ، ومَضَى مُعاوية حتى بَلَغ بَرْقَة ، ثم رَجَعَ إلى الإسْكَنْدَرية . فبَعَثَ ابن أبي حُذَيْفَة بجيشٍ آخر عليهم قَيْس ابن حَرْمَلٍ ، فاقتتلوا بخَرِبْتا أوَّل شهر رَمَضان سنة ستٍّ وثلاثين ، فقُتِلَ قَيْس [بن حَرْمَل وابن الحثما وأصحابهما][a] [2].

وسارَ مُعاويةُ بن أبي سُفْيان إلى مصر ، فنَزَل سَلَمْنْت من كورةِ عَيْن شمس في شَوَّال . فخَرَجَ إليه ابن أبي حُذَيْفَة في أهْلِ مصر ، فمَنَعوه أنْ يدخلَها . فبَعَثَ إليه معاوية : إنّا لا نُريدُ قِتالَ أَحَدٍ ، إنَّما جِئْنا نسأل القَوَد لعُثْمان ، ادْفَعُوا إلينا قاتِلَيه : عبد الرَّحمن بن عُدَيْس وكِنانَة بن بِشْر ، وهما رأس القَوْم . فامْتَنَعَ ابن أبي حُذَيْفَة وقال : لو طَلَبْت مِنّا جَدْيًا أَرْطَب السُّرَّة بعُثْمانَ ما دفعناه إليك ! فقال مُعاويةُ بن أبي سُفْيان لابن أبي حُذَيْفَة : اجْعَل بيننا وبينكم رَهْنًا ، فلا يكون بيننا وبينكم حَرْبٌ . فقال ابنُ أبي حُذَيْفَة : فإنِّي أَرْضَى بذلك[3].

---

a) زيادة من ولاة مصر .

---

[1] دِقْناش من القرى القديمة ، كانت تقع بين قاي بمركز بني سويف شمالًا وبين البَهْنَسا بمركز بني مَزار جنوبًا . وقد انْدَثَرَت الآن هذه القرية وأُضيف زمامُها إلى أراضي ناحية مَزْوَرَة ، ويَدُلّ على مكانها حَوْض دِقْناش بأراضي ناحية مزورة بمركز بيا بمحافظة بني سويف . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي : ١:٢٤٧) .

[2] الكندي : ولاة مصر ٤١ - ٤٢؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٣.

[3] الكندي : ولاة مصر ٤٢.

فاسْتَخْلَفَ ابن أبي حُذَيْفَة على مصر الحكَم بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة ، وخَرَج في الرَّهْن هو وابن عُدَيْس[a] وكِنانَة بن بِشْر وأبو شَمِر بن أَبْرَهة وغيرهم من قَتَلَة عُثْمان . فلمَّا بَلَغُوا لُدّ سَجَنَهم بها مُعاوية ، وسارَ إلى دِمَشْق . فهَرَبوا من السِّجْن ، غير أبي شَمِر بن أَبْرَهَة فإنَّه قال : لا أَدْخُله أسيرًا وأَخْرج منه آبِقًا ، وتَبِعَهم صاحِبُ فِلَسْطِين فقَتَلَهم . واتَّبع عبدَ الرَّحْمن بن عُدَيْس رَجُلٌ من الفُرْس ، فقال له عبد الرَّحمن بن عُدَيْس : اتَّق الله في دَمِي ، فإنِّي بايَعْتُ النَّبِيّ - ﷺ - تحت الشَّجَرة . فقال له : الشَّجَرُ في الصَّحْراء كثير . فقَتَلَه [1].

وقال محمد بن أبي حُذَيْفَة في اللَّيْلَة التي قُتِلَ في صباحِها : [b]هذه اللَّيْلَة التي قُتِلَ في صَباحِها[b] عُثْمانُ ، فإنْ يَكن القَصَاصُ لعُثْمان فسنُقْتَل في غد[c]. فقُتِلَ من الغَد . وكان قَتْلُ ابن أبي حُذَيْفَة وعبد الرَّحْمن بن عُدَيْس وكِنانة بن بِشْر ومَنْ كان معهم من الرَّهْن ، في ذي الحِجَّة سنة ستٍّ وثلاثين [2].

فلمَّا بَلَغَ عليَّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - مُصابُ ابن أبي حُذَيْفَة ، بَعَثَ قَيْسَ بنِ سَعْد ابن عُبَادَة الأَنْصاري على مصر ، وجَمَعَ له الخَراجَ والصَّلاة ، فدَخَلَها مستهلّ شهر رَبيع الأوَّل سنة سبع وثلاثين ، واسْتَمالَ الخارِجية بخَرِبْتا ، ودَفَعَ إليهم أُعْطياتهم ، ووفَد عليه وَفْدُهم فأكرمهم وأَحْسَنَ إليهم - ومصر يومئذٍ من جَيْش عليّ - رضي الله عنه - إلَّا أَهْل خَرِبْتا الخارجين بها .

فلمَّا وَلَّى عليّ - رضي الله عنه - قَيْس بن سَعْد - وكان من ذَوي الرأي [والبأس][d] - جَهِد مُعاوية بن أبي سُفْيان وعَمْرو بن العَاص ، على أَنْ يُخْرجاه من

---

a) بولاق : عيسى . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : من الغد . d) زيادة من ولاة مصر .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٤٣؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٣. [2] نفسه ٤٣.

مصر ليَغْلِبا على أَمْرِها ، فامْتَنَعَ عليهما بالدَّهاءِ والمُكايَدَة ، فلم يَقْدرا على أن يَلِجَا مصر حتى كادَ مُعاوية قَيْسًا من قِبَل عليّ - رضي الله عنه [١].

وكان[a] مُعاوِيَةُ يُحَدِّث رجالًا من ذوي رأي قُرَيْش[b] فيقول : ما ابْتَدَعْتُ من مُكايَدَةٍ قَطُّ أَعْجَبُ إليَّ من مُكايَدَةٍ كِدْتُ بها قَيْس بن سَعْد حين امتنع مِنِّي . قُلْت لأَهْلِ الشَّام : لا تَسُبُّوا قَيْسًا ولا تَدْعوا إليّ غَزْوِه ، فإنَّ قَيْسًا لنا شِيعَةٌ تأتينا كُتُبُه ونصيحتُه سِرًّا ، ألا تَرَوْن ماذا يفعل بإخْوانكم النَّازلين عنده بخَرِبْتا ؟ يُجْري عليهم أُعطياتهم وأرْزاقهم ، ويؤمِّن سِرْبَهم ، ويُحْسِن إلى كلِّ راكبٍ يأتيه منهم .

قال مُعاوِيَةُ : وطَفِقْت أَكْتُب بذلك إلى شِيعتي من أَهْلِ العِراقِ ، فسَمِعَ بذلك جَواسِيسُ عليّ بالعِراق ، فأَنْهاه إليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جَعْفَر فاتَّهم قَيْسًا ، فكَتَبَ إليه يأمُرُه بقِتالِ أَهْلِ خَرِبْتا ، وبخَرِبْتا يومئذٍ عشرة آلاف ؛ فأَبَى قَيْسٌ أن يقاتلهم ، وكَتَبَ إلى عليّ - رضي الله عنه -: « إنَّهم وُجُوهُ أَهْلِ مصر وأشْرافُهم ، وأَهْلُ الحِفاظِ منهم ، وقد رَضُوا مِنِّي أن أُؤَمِّن سِرْبَهم ، وأُجْرِي عليهم أُعْطياتهم وأَرْزاقهم وقد عَلِمْت أنَّ هَواهَم مع مُعاوية ، فلَسْتُ بكائِدهم بأمْرٍ أَهْوَن عليّ وعليك من الذي أَفْعل بهم وهم أُسُودُ العَرَب منهم : بُسْر بن أبي أرْطاة[c]، ومَسْلَمَة[d] بن مَخْلَد ، ومُعاوية بن حُدَيْج » . فأَبَى عليه إلَّا قِتالهم ، فأَبَى قَيْسٌ أن يُقاتِلهم ، وكَتَبَ إلى عليّ - رضي الله عنه -: « إن كنت تَتَّهمني فاعْزِلْني وابْعَث غَيْري » [٢].

وكَتَبَ مُعاوِيَةُ - رضي الله عنه - إلى بعضِ بني أُمَيَّة بالمَدينَة : « أن جَزَى الله قَيْسَ بن سَعْد خَيْرًا ، فإنَّه قد كَفَّ عن إخْواننا من أَهْلِ مصر الذين قاتَلوا في دَمِ

---

a) بولاق : فكان . b) ولاة مصر : من ذوي الرأي من قريش . c) بولاق : بن أرطاة . d) بولاق : سلمة .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٤٤. [٢] نفسه ٤٥؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٢ - ٤٣.

عُثْمان ، واكْتُموا ذلك فإنِّي أَخَافُ أنْ يَعْزِله عليٌّ إنْ بَلَغَه ما بَيْنَه وبين شِيعَتنا » .
حتى بَلَغَ عَليًّا ـ رضي الله عنه ـ ذلك ، فقال مَنْ معه من رُؤساءِ أَهْلِ العِراق وأَهْلِ المَدينَة : « بَدَّل قَيْسٌ وتَحَوَّل » . فقال عليٌّ : وَيْحَكُم ! إنَّه لم يَفْعَل ، فدَعُوني . قالوا : لتَعْزِلَنَّه فإنَّه قد بَدَّلَ . فلم يزالوا به حتى كَتَبَ إليه : «إنِّي قد احْتَجْتُ إلى قُرْبِك ، فاسْتَخْلِف على عَمَلِك واقْدَم » . فلمَّا قرأ الكِتابَ قال : هذا من مَكْرِ مُعاوِيَة ولَوْلا الكَذِب لمَكَرْتُ به مَكْرًا يَدْخُل عليه بيته .

فوَلِيها قَيْسُ بنُ سَعْد إلى أن عُزِلَ عنها أربعة أشهر وخمسة أيَّام ، وصُرِفَ لخمسٍ خَلَوْن من رَجَب سنة سبعٍ وثلاثين [1] .

ثم وَلِيَها الأَشْتَرُ مالِكُ بن الحارِث بن عبد يَغُوث النَّخَعي من قِبَل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه . وذلك أنَّ عبد الله بن جَعْفَر كان إذا أرادَ أَلَّا يمنعه عليٌّ شيئًا قال له : بحَقِّ جَعْفَر ، فقال له : أسألك بحَقِّ جَعْفَر أَلّا بَعَثْت الأَشْتَرَ إلى مصر ، فإن ظَهَرْتَ فهو الذي تُحِبّ ، وإلَّا اسْتَرَحْت منه .

ويُقالُ : كان الأَشْتَرُ قد ثَقُلَ على عليّ ـ رضي الله عنه ـ وأَبْغَضَه وقَلاه ، فوَلَّاه وبَعَثَه . فلمَّا قَدِمَ قُلْزُم مصر ، لُقِيَ بما يُلْقَى العُمَّالُ به هناك ، فشَرِبَ شَرْبَةَ عَسَلٍ فمات. فلمَّا أُخْبِر عليٌّ بذلك قال : لليدين وللفم [2] . وسَمِعَ عَمْرو ابن العَاص بمَوْتِ الأَشْتَر فقال : إنَّ لله ـ [a]عَزَّ وجَلَّ[a] ـ جنودًا من عَسَل ، أو قال : في[b] العَسَل [3] .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : من .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٤٥- ٤٦، المقريزي: فمه .
المواعظ ٢: ٤٣- ٤٤. [3] الكندي : ولاة مصر ٤٦- ٤٧، المقريزي :
[2] لليدين وللفم . دعاءٌ عليه بمعنى كبَّه الله على المواعظ ٢: ٤٤.

ثم وَلِيَها محمد بن أبي بكر الصِّدّيق من قِبَل عليّ - رضي الله عنهم - وجَمَعَ له صَلاتَها وخَراجَها. فدَخَلَها للنِّصْف من شهر رَمَضان سنة سبع وثلاثين، فلَقِيَه قَيْسُ بن سَعْد فقال له:

« إنَّه لا يَمْنَعُني نُصْحي لك [a]ولأمير المؤمنين[a] عَزْلُه إيَّاي، ولقد عَزَلَني عن غير وَهَنٍ ولا عَجْزٍ، فاحْفَظ ما أُوصِيكَ به يَدُم صَلاحُ حالِك: دَعْ مُعاوِيَة بن حُدَيْج ومَسْلَمَة بن مَخْلَد وبُسْر بن أبي أَرْطاة، ومن ضَوَى إليهم على ما هم عليه، و لا تكفهم عن رأيهم، فإن أتوك ولم يفعلوا فاقْبلهم، وإن تخلَّفوا عنك فلا تَطْلُبهم.

وانْظُر هذا الحَيّ من مُضَر فأنت أَوْلَى بهم مِنِّي: فأَلِن لهم جَنَاحَك، وقَرِّب عليهم مكانَك، وارْفَعْ عنهم حِجابَك. وانْظُر هذا الحَيّ من مُدْلِج، فدَعْهم وما غَلَبوا عليه يَكُفّوا عنك شأنهم، وأَنْزِل الناسَ مِن بعدُ على قَدْر منازلهم، فإنِ استطعت أنْ تَعودَ المَرْضَى، وتَشْهَد الجَنائِز، فافْعَلْ، فإنَّ هذا لا يُنْقِصُك، ولن تَفْعَل، إنَّك والله ما عَلِمْتُ لَتُظْهِرُ الخُيَلاء وتُحِبّ الرياسَة، وتُسارع إلى ما هو ساقِط عنك. والله مُوَفِّقُك ».

فعَمِلَ محمد بخِلافِ ما أَوْصَاه به قَيْس، فكَتَبَ[b] إلى ابن حُدَيْج والخارِجَة معه يَدْعُوهم إلى بَيْعَته، فلم يُجيبوه. فبَعَثَ إلى دُورِ الخارِجَة فهَدَمها، ونَهَبَ أموالَهم، وسَجَنَ ذَراريهم، فنَصَبُوا له الحَرْب، وهَمُّوا بالنُّهُوضِ إليه. فلمَّا عَلِمَ أنَّه لا قُوَّة له بهم أمسك عنهم، ثم صالَحَهم على أنْ يُسَيِّرهم إلى مُعاوِيَة، وأنْ يَنْصِبَ لهم

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: فبعث.

جِسْرًا بِنِقْيُوس يجوزون عليه، ولا يَدْخُلُون الفُسْطاط. ففَعَلوا ولَحِقُوا بمُعاوِيَة [١].

فلمَّا أَجْمَعَ عليّ - رضي الله عنه - ومُعاوية على الحَكَمَيْن، أَغْفَلَ عليٌّ أنْ يَشْتَرِطَ على مُعاوِيَة أَلَّا يُقاتِل أَهْلَ مصر. فلمَّا انْصَرَفَ عليٌّ إلى العِراق، بَعَثَ مُعاوِيَةُ - رضي الله عنه - عَمْرو بن العَاص - رضي الله عنه - في جُيوشِ أهْلِ الشَّام إلى مصر فاقْتَتَلُوا قِتالًا شَديدًا انْهَزَمَ فيه أهْلُ مصر، ودَخَلَ عَمْرو بأهْلِ الشَّام الفُسْطاط. وتَغَيَّبَ محمد بن أبي بكر [في غافِق] [a]، فأَقْبَلَ مُعاوِيَةُ بن حُدَيْج في رَهْطٍ ممَّن يُعينه على مَنْ كان يَمْشي في قَتْلِ عُثْمان، وطَلَبَ ابن أبي بكر، فدَلَّتهم عليه امرأةٌ، فقال: احْفَظوني في أبي بكر. فقال مُعاوِيَةُ بن حُدَيْج: قَتَلْت ثمانين رَجُلًا من قَوْمي في عُثْمان، وأتركك وأنت صاحِبه. فقتَلَه ثم جَعَلَه في جِيفَةِ حِمارٍ مَيِّت فأَحْرَقَه بالنَّار [٢]. فكانت ولايَةُ محمد بن أبي بكر خمسة أشهر، ومَقْتَله لأربع عشرة خَلَت من صَفَر سنة ثمانٍ وثلاثين [٣].

ثم وَلِيَ عمْرو بن العَاص مصر من بَعْدِه فاسْتَقْبَل بولايته هذه الثانية شهر رَبيع الأَوَّل، وجَعَلَ إليه الصَّلاةَ والخَراج - كانت مصر قد جَعَلَها مُعاوِيَةُ له طُعْمَةً بعد عَطاءِ جُنْدِها والنَّفَقَة على مَصْلَحتِها - ثم خَرَجَ إلى الحكومة، واسْتَخْلَفَ على مصر

---

a) زيادة من ولاة مصر.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٥٠- ٥١.

ونِقْيُوس Nikious من المُدُن المصرية القديمة، وذكر محمد بك رمزي أنَّ هذه المدينة زالت الآن وحَلَّ محلَّها الكوم الأثري الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز مُنُوف المعروف عند الأهالي باسم كوم مانوس أو دفيانوس المحرَّفين عن نقيوس التي اختفى اسمها من قديم. (القاموس الجغرافي ١:٤٦٣-٤٦٤).

[٢] الكندي: ولاة مصر ٥١- ٥٢؛ المقريزي: المواعظ ٢:٤٤ وتُعْرَفُ هذه الواقعة بـ «يَوْم المُسَنَّاة».

[٣] نفســه ٥٤.

ابنه عبد الله بن عَمْرو ، وقيل[a] خارِجَة بن حُذافَة ، ورَجَعَ عَمْرو إلى مصر فأقامَ بها .

وتَعاقَد بنو مُلْجم ـ عبد الرَّحْمن وقَيْس ويَزيد ـ على قَتْلِ عليّ ـ رضي الله عنه ـ وعَمْرو ومُعاوية ـ رضي الله عنهما ، و تواعَدُوا على لَيْلَةٍ من رَمَضان سنة أربعين ، فمَضَى كلٌّ منهم إلى صَاحِبِه[1] .

فلمَّا قُتِلَ عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ واسْتَقَرَّ الأَمْرُ لمعاوِيَة ، كانت مصر ـ جُنْدُها وأهْلُ شَوْكَتِها ـ « عُثْمانِيَّة » ، وكثيرٌ من أهْلِها « عَلَوِيَّة » .

فلمَّا ماتَ مُعاوِيَةُ وماتَ ابنُه يَزيدُ بن مُعاوية ، كان على مصر سَعيدُ بن يَزيد الأَزْدي على صَلاتِها فلم يَزَل أهْلُ مصر على الشَّنَآن له ، والإعْراضِ عنه والتَّكَبُّر عليه ، منذ وَلَّاه يَزيد بن مُعاوِيَة ، حتى ماتَ يَزيدُ في سنة أربعٍ وستين .

ودَعَا عبدُ الله بن الزُّبَيْر إلى نفسه ، فقامَتِ الخَوارِجُ بمصر في أمْرِه[2] ، وأظْهَرُوا دَعْوَتَه ـ وكانوا يَحْسَبُونه على مَذْهَبِهم ـ وأوْفدوا منهم وَفْدًا إليه ، فسارَ منهم نحو الألفين من مصر ، وسألوا أنْ يَبْعَثَ إليهم بأميرٍ يقومون معه ويُؤازِرُونَه . وكان

---

a) بولاق : وقتل .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٥٤– ٥٥.

[2] حاشية بخَطّ المُؤَلِّف : «إنَّما قيل لهم «خوارج» لقَوْله ـ عليه السَّلام ـ «يَخْرُج فيكم قَوْمٌ يَحْقِرون صَلاتَكم مع صَلاتهم» الحديث . ومعنى قَوْله : فيكم ، أي عليكم ، كقوله تعالى : ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم فى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [الآية ٧١ سورة طه] أي على جُذُوع النَّخْل . وكانَ خُرُوجُهم ومُروقُهم في زَمَنِ الصَّحابَة ، فسُمُّوا الخَوارِج وسُمُّوا المارِقَة بقوله ـ عليه السَّلام ـ : «يَمْرُقُون من الدِّين مُرُوق السَّهْم من الرَّمِيَّة» ، وبقوله : «تَقْتَتِل طائِفتان من أُمَّتي فتَمْرُق بينهما مارِقَة تقتلها أولى الطَّائفتين بالحَقّ» ، ثم اسْتَمَرَّ خُرُوجهم على السَّلاطين فأكَّدوا الاسم ، وهم فِرَقٌ وهم يُسَمُّون أنفسهم «الشُّراة» أي شَرَوا أنفسهم بمعنى باعوها لله ولا يسميهم بذلك غيرهم» .

كُرَيْبُ بن أَبْرَهَةَ الصَّبَّاح ، وَغيره من أَشْرافِ مصر يقولون : ماذا نَرَى من العَجَب أنَّ هذه الطَّائِفة المكتتمةَ تأمُرُ فينا وتَنْهي ، ونحن لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرُدَّ أَمْرَهم . ولَحِقَ بابن الزُّبَيْر ناسٌ كثيرٌ من أَهْلِ مصر [١] .

وكان أَوَّلَ من قَدِمَ مصر برأي الخَوارِج حُجْرُ بن الحارِث بن قَيْس المَذْحِجي [٢] ـ وقيل حُجْر بن عَمْرو ـ ويكنى بأبي الوَرْد ، وشَهِد مع عَليّ صِفِّين ، ثم صارَ من الخَوارِج ، وحَضَرَ مع الحَرورية النَّهْرَوان . فخَرَجَ وصارَ إلى مصر برَأْي الخَوارِج ، أقامَ بها حتى خَرَجَ منها إلى ابن الزُّبَيْر في إمارَة مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأَنْصاري على مصر .

فلمَّا ماتَ يَزيدُ بن مُعاوِيَة ، وبُويعَ ابنُ الزُّبَيْر بعده بالخِلافَة ، بَعَثَ إلى مصر بعبد الرَّحْمن بن جَحْدَم الفِهْرِيّ ؛ فقَدِمَها في طَائِفَةٍ من الخَوارِج ، فوَثَبُوا على سَعيد ابن يَزيد ، فاعْتَزَلَهم . واسْتَمَرَّ ابنُ جَحْدَم ، وكَثُرَت الخَوارِجُ بمصر منها ومِمَّن قَدِمَ من مَكَّة ، فأَظْهَرَوا في مصر « التَّحْكيم » [٣] ، ودَعَوا إليه ، فاسْتَعظَم الجُنْدُ ذلك .

---

[١] قامَ عبدُ الله بن الزُّبَيْر بثَوْرةٍ في مَكَّة على الحكْم الأُمَوي ودَعَا لنفسه بالخِلافَة بعد مَوْتِ يزيد ابن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وظَلَّ كذلك لمدَّة تسعة أعوام حتى قَضَى على ثَوْرَته الحَجّاجُ بن يُوسُف الثَّقَفي سنة ٧٣هـ/٦٩٢م . (راجع ، الطبري : تاريخ ٥: ٥٦٣، ٥٨٢؛ ٦٢٢، ٦:١٦٦- ١٨٧؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٤:١٢- ٦٢، ٥: ١٨٨- ٢١٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:٧١- ٧٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣:٣٦٣- ٣٨٠؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧:١٧٢- ١٧٨؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤:٣٥١- ٣٨٤؛ فلهوزن ، ي : تاريخ الدولة العربية ١٣٧- ١٩؛ H. A. R. GIBB, *EI*[2] art. ‘Abd Allâb b. al-Zubayr I, pp. 56-57؛ إبراهيم بيضون : الحجاز والدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٨٣م ، ٢٩١- ٣٤٨؛ عبد الشافي عبد اللطيف : العالم الإسلامي في العصر الأموي ، القاهرة ١٩٨٤م ، ٤٩٤- ٥٠٦؛ G. R. HAWTING, *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate 661-750*, London 2000, pp. 46-57.

[٢] انظر كذلك ، المقريزي : المقفى الكبير ٣: ٢٥٨.

[٣] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «أوَّلُ مَنْ حَكَم ولَفَظَ بـ «الحكومَة» الحَجّاجُ بن عبد الله المعروف بالبُرْك ، وهو الذي ضَرَب معاوية بن أبي سُفْيان على التِّيه ، وذلك أنَّه لما سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْن قال : «الحُكْمُ =

وبايَعَه النَّاسُ على غِلٍّ في قُلوبِ ناسٍ من شِيعَة بَني أُمَيَّة : منهم كُرَيْب بن أَبْرَهَة ، ومِقْسَم بن بَجْرَة ، وزِياد بن حِناطَة التُّجيبي ، وعابِس بن سَعيد وغيرهم [١]. فصارَ أَهْلُ مصر حينئذٍ ثلاث طوائف : عَلَوِيَّة ، وعُثْمانِيَّة ، وخَوارِج .

فلمَّا بُويعَ مَرْوان بن الحكَم بالشَّام في ذي القعدة سنة أربعٍ وستين ، كانت شِيعَتُه من أَهْلِ مصر مع ابن جَحْدَم ، فكاتَبُوه سِرًّا حتى أَتَىَ مصر في أَشْرافٍ كثيرة ، وبَعَثَ ابنه عبد العَزيز بن مَرْوان في جَيْشٍ إلى أَيْلَة ليَدْخُل من هناك مصر [٢].

وأَجْمَعَ ابنُ جَحْدَم على حَرْبِه ومَنْعِه ، فحَفَرَ الخَنْدَق في شهرٍ ـ وهو الخَنْدَق الذي بالقَرافَة [٣] ـ وبَعَث بمَراكِب في البَحْر ليُخالِف إلى عِيالات[a] أَهْلِ الشَّام ، وقطع بَعْثًا في البَرِّ ، وجَهَّزَ جَيْشًا آخَر إلى أَيْلَة لمنع عبد العزيز من المسير منها . فغَرِقَتِ المراكِبُ ، ونَجَا بعضُها ، وانْهَزَمَتِ الجُيُوش . ونَزَلَ مَرْوان عَيْنَ شَمْس ، فخَرَجَ إليه ابنُ جَحْدَم في أَهْلِ مصر ، فتَحارَبوا واسْتَحَرَّ القَتْلُ ، فقُتِل من الفريقين خَلْقٌ كثيرٌ [٤]. ثم إنَّ كُرَيْب بن أَبْرَهَة وعابِس بن سعيد وزِياد بن حُناطة وعبد الرَّحمن بن مَوْهَب المعافِري ، دَخَلوا في الصُّلْحِ بين أَهْلِ مصر وبين مَرْوان فتَمَّ ، ودَخَل مَرْوان إلى الفُسْطاط لغُرَّةِ جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ وستين [٥].

---

a) عند الكندي : عيال .

= في دين الله ولا حُكْم إلَّا لله» فسمعه سَامِعٌ فقال : طعن ولهفة فانتقد ، وصار شِعارُ الخَوارِج من حينئذٍ «ولا حُكْمَ إلَّا لله» ودَعَوْ إلى القَوْلِ بالتحكيم . ولمَّا سَمِعَ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ قَوْلَهم : «لا حُكْمَ إلَّا لله» ، قال : كَلِمَةٌ عادِلَةٌ يُرادُ بها جَوْر ، إنَّما يقولون : لا إمارَة ولا بُدّ من إمارَة بَرَّةٍ أو فاجِرَة» .

[١] الكندي : ولاة مصر ٦٤-٦٥؛ المقريزي : المواعظ ٢: ٤٧.

[٢] نفسه ٦٥، نفسه ٢: ٤٧.

[٣] انظر خَبَر هذا الخَنْدَق عند المقريزي : المواعظ ٢: ٤٥٨.

[٤] الكندي : ولاة مصر ٦٥-٦٦، مع تفصيلاتٍ كثيرة .

[٥] نفسه ٦٧؛ المقريزي : المواعظ ٤: ٨٩٦.

وكانت وِلايَةُ ابن جَحْدَم تسعة أشهر ، ووَضَعَ العَطَاءَ فبايعه النَّاسُ إلَّا نَفَرٌ من المعافِر قالوا : لا نَخْلَع بَيْعَة ابن الزُّبَيْر . فقَتَلَ منهم ثمانين رجلًا قَدَّمَهم رجلًا رجلًا فضَرَبَ أعناقَهم وهم يقولون : إنَّا قد بايَعْنا ابن الزُّبَيْر طَائِعين ، فلم نكن لننْكُث بَيْعَتَه . وضَرَبَ عُنُق الأَكْدَر بن حَمَام[a] بن عامِر ، سَيِّد لَخْم وشَيْخها [1] ، وحَضَرَ هو وأبوه فَتْح مصر ، وكانا مِمَّن ثارَ إلى عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ فتَنَادَى الجُنْدُ : قُتِلَ الأَكْدَرُ . فلم يَبْقَ أحَدٌ حتى لبس سِلاحَه ، فحَضَرَ باب مَرْوان منهم زِيادةٌ على ثلاثين ألفًا . وخَشِيَ مَرْوان ، وأَغْلَق بابَه حتى أتاه كُرَيْبُ بن أَبْرَهَة ، وألقى عليه رِداءَه ، وقال للجُنْد : انْصَرِفُوا ، أنا له جارٌ . فما عَطَف أحَدٌ منهم ، وانْصَرَفُوا إلى مَنازِلهم ، وكان للنِّصْف من جُمادَىٰ الآخرة . ويومئذ ماتَ عبد الله بن عَمْرو بن العَاصِ ، فلم يَسْتَطِع أحَدٌ أنْ يَخْرُجَ بجَنازَتِه إلى المَقْبَرَة لشَغْبِ الجُنْدِ على مَرْوان [2] . ومن حينئذٍ غَلَبَتِ العُثْمانِيَّةُ على مصر ، فتظاهَروا فيها بسَبِّ عليّ ـ رضي الله عنه ـ وانْكَفَّت أَلْسِنَةُ العَلَوِيَّة والخَوارج .

فلمَّا كانت وِلايَةُ قُرَّة بن شَريك العَبْسي على مصر من قِبَل الوَليد بن عبد الملك في سنة تسعين ، خَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية في سنة إحدى وتسعين . فتَعَاقَدَتِ الشُّراةُ من الخَوارج بالإسْكَنْدَرية على الفَتْكِ به ـ وكانت عِدَّتُهم نحوًا من مائة ـ فعَقَدوا لرئيسهم المُهاجِر بن أبي المُثَنَّى التُّجِيبي ، أَحَد بني فَهْم ، عليهم عند منارَة

---

a) بولاق : حسام .

---

[1] حاشية بخَطّ المؤلِّف : «الأَكْدَرُ بن حمام بن عامِر ابن شعب بن خَيْثَمَة اللَّخْمي ، شَهِدَ فَتْح مصر هو وأبوه ، وكان أحد من أَلَّب على عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ ووَلاه معاوية بحر مصر ، وقتله مَرْوان بن الحكم للنِّصْف من جُمادَى الآخرة سنة خمس وستين» .

[2] الكندي : ولاة مصر ٦٨؛ المقريزي : المواعظ ٢ : ٤٨ .

الإسْكَنْدَرية؛ وبالقُرْب منهم رجلٌ يكنى أبا سُلَيْمان، فبَلَّغَ قُرَّة ما عَزَموا عليه. فأتَى لهم قَبْل أنْ يَتَفرَّقوا، فأمَرَ بحَبْسِهِم في أصْلِ مَنارَة الإسْكَنْدَرية، وأحْضَرَ قُرَّة وُجُوهَ الجُنْد فسَألَهم فأقَرُّوا فقتَلَهم، ومَضَى رَجُلٌ ممَّن كان يَرَى رَأْيَهم إلى أبي سُلَيْمان فقَتَله. فكان يَزيدُ بن أبي حَبيب إذا أراد أن يتكلَّم بشيءٍ فيه تَقِيَّة من السُّلْطان تَلَفَّت وقال: احْذَروا أبا سليمان. ثم قال: النَّاسُ كلُّهم من ذلك اليوم أبو سُلَيْمان[1].

فلمَّا قامَ عبد الله بن يَحْيَى ـ الملقَّب بطَالِب الحَقّ ـ في الحِجَاز على مَرْوان بن محمد الجَعْدي[2]، قَدِمَ إلى مصر داعيَتُه ودَعَا النَّاس، فبايَع له نَاسٌ من تُجِيبَ وغيرهم. فبَلَغ ذلك حَسَّان بن عَتاهِيَة، صَاحِب الشُّرْطَة، فاسْتَخْرَجَهُم، فقَتَلَهُم حَوْثَرَةُ بن سُهَيْل الباهِلي أمير مصر من قِبَل مَرْوان بن محمد[3].

فلمَّا قُتِلَ مَرْوان، وانْقَضَت أيَّامُ بني أُمَيَّة ببَنِي العَبَّاس في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ، خَمَدَت جَمْرَةُ أصْحابِ المَذْهَب المَرْواني ـ وهم الذين كانوا يَسُبُّون عليّ بن أبي طالب ويتبرَّأون منه ـ وصارُوا منذ ظَهَر بنو العَبَّاس يَخافُون القَتْل، ويَخْشَوْن أنْ يَطَّلِعَ عليهم أحَدٌ، إلَّا طائِفَةٌ كانت بناحِية الوَاحات وغيرِها، فإنَّهم أقامُوا على مَذْهَبِ المَرْوانية دَهْرًا حتى فَنُوا، ولم يَبْق لهم الآن بديارِ مصر وُجُودٌ ألبتَّة.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٨٥.

[2] عبد الله بن يحيى الكِنْدي الإباضي، المعروف بطالِب الحَقّ خَرج باليمن سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م، وأقامَ فترةً في حَضْرَمَوت ثم قَصَدَ صَنْعاء، ولم يَلْبَث أن قُتِل سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. (راجع، الطبري: تاريخ ٧: ٣٤٨؛ المسعودي: مروج الذهب ٤: ٨٢؛ أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٣: ٢٢٤-٢٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢١: ٥٣٥-٥٣٦).

[3] الكندي: ولاة مصر ١١٤.

فلمَّا كان في إمارَة حُمَيْد بن قَحْطَبَة على مصر، من قِبَل أبي جَعْفَر المَنْصُور، قَدِمَ إلى مصر عليُّ بن محمد بن عبد الله بن الحَسَن بن الحَسَن[b] ابن علي بن أبي طالِب داعيةً لأبيه وعَمِّه، فذكر ذلك لحُمَيْد فقال: هذا كَذِب. ودَسَّ إليه أنْ تَغَيَّب، ثم بَعَثَ إليه من الغَدِ - فلم يجده، فكَتَبَ بذلك إلى أبي جَعْفَر المَنْصُور، فعَزَلَ حُمَيْدًا، وسَخِطَ عليه في ذي القعدة سنة أربعٍ وأربعين ومائة[1].

ووَلِيَ يَزِيدُ بن حاتِم بن قَبيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، فظَهَرَت دَعْوَةُ بني حَسَن بن عليّ بمصر، وتكلَّم النَّاسُ بها، وبايَعَ كثيرٌ منهم لعليّ بن محمد بن عبد الله - وهو أوَّلُ عَلَوي قَدِمَ مصر - وقامَ بأمْرِ دَعْوَتِه خالِدُ بن سعيد بن رَبيعة بن حُبَيْش الصَّدَفي. وكان جَدُّه رَبيعَة بن حُبَيْش من خاصَّةِ عليٍّ بن أبي طالب وشيعَته، وحَضر الدَّار في قَتْلِ عُثْمان، رضي الله عنه. فاسْتَشارَ خالِدٌ أصْحابَه الذين بايَعُوا له، فأشارَ عليه بعضُهم أنْ يُبَيِّت يَزيد بن حاتِم في العَسْكَر - وكان الأُمَرَاءُ قد صارُوا منذ قَدِمَت عَساكِرُ بني العَبَّاس يَنْزِلُون في العَسْكَر الذي بُنِيَ خارِج الفُسْطاط من شماليه - كما ذُكِرَ في مَوْضِعِه من هذا الكتاب[2] - وأشارَ عليه آخَرون أنْ يَحُوزَ بَيْتَ المال، وأنْ يكون خُروجُهم في الجَامِع. فكَرِهَ خالِدٌ أنْ يَبيتَ يَزيدُ بن حاتِم، وخشِيَ على اليَمانية. وخَرَجَ منهم رَجُلٌ [من الصَّدَف][c] قد شَهِدَ أَمْرَهم حتَّى أَتَى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن مُعاوِيَةَ بن حُدَيْج - وهو يومئذٍ على الفُسْطاط - فخَبَّرَه أنَّهم الليلة يَخْرُجُون. فمَضَى عبدُ الله إلى[d] يَزيد بن حاتِم

---

a) النص في ولاة مصر للكندي: مصدر النَّقْل: «ثم قال يوما من ذاك: النَّاسُ كلهم أبو سليمان». b) بولاق: الحسين. c) زيادة من ولاة مصر، مصدر النَّقْل. d) بولاق: بن.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٣٢-١٣٣. [2] المقريزي: المواعظ ٢: ٥٦.

وهو بالعَسْكر ، فكان من أمْرِهم ما كان لعَشْرٍ من شَوَّالٍ سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ ، فانْهَزَموا [١]..

ثم قَدِمَتِ الخُطَبَاءُ برأسِ إبراهيم بن عبد الله بن الحَسَن بن الحُسَيْن ، في ذي الحَجَّة من السنة المذكورة ، إلى مصر ونَصَبُوه في المَسْجِد الجَامِع ، وقامَتِ الخُطَبَاءُ فذكروا أَمْرَه . و حُمِلَ عليٌّ بن محمد إلى أبي جَعْفَر المَنْصُور ، وقيل إنَّه اخْتَفَى عند عُسَامَة بن عَمْرو بقرية طُوَّة[a] [٢] ، فمَرِضَ بها وماتَ فقُبِرَ هناك . وحُمِلَ عَسَّامة إلى العِراق ، فحُبِسَ إلى أنْ رَدَّه المَهْدي محمد بن أبي جَعفر إلى مصر [٣] .

وما زالَت شِيعَةُ عليّ بمصر إلى أن وَرَدَ كِتابُ المُتَوَكِّل على الله إلى مصر ، يَأْمُر فيه بإخْراجِ آل أبي طالبِ من مصر إلى العِراق . فأخْرَجَهم إسْحاقُ بن يحيى الخُتَّلي أمير مصر ، وفَرَّقَ فيهم الأمْوال ليَتَحَمَّلوا بها ، وأَعْطَى كلَّ رَجُلٍ ثلاثين دينارًا ، والمرأةَ خمسة عشر دينارًا . فخَرَجوا لعَشْرٍ خَلَوْن من رَجَب سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين ، وقَدِمُوا العِراق ، فأُخْرِجوا إلى المَدينَة في شَوَّالٍ منها [٤] .

واسْتَتَرَ مَنْ كان بمصر على رَأْيِ العَلَوِيَّة ، حتى إنَّ يَزيدَ بن عبد الله أمير مصر ضَرَب رَجُلًا من الجُنْد في شيءٍ وَجَب عليه ، فأَقْسَمَ عليه بحَقِّ الحَسَن والحُسَيْن إلَّا

---

a) بولاق : طرة .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ١٣٣- ١٣٤.

[٢] قال ياقوت الحموي في مادة طُوخ : وطُوخ الخَيْل : قرية أخرى بالصَّعيد في غربي النِّيل ، يقال لها طُوخ بَيّت يَمُون ، ويقال لها طُوَّة أيضًا ، وبها قَبْرُ علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . كان خَرَجَ بمصر في أيّام المنصور سنة ١٤٥ ، فلَّما ظَهَرَ عليه يزيد بن حاتم ، أخفاه عَسَّامَة بن عمر المعافري في هذه القرية وزَوَّجه ابنته ، إلى أن مات ودُفِنَ بها» . (معجم البلدان ٤ : ٤٦ ؛ المقريزي : المواعظ ٤ :٧٢٢) .

[٣] الكندي : ولاة مصر ١٣٦.

[٤] الكندي : ولاة مصر ٢٢٣- ٢٢٤.

عَفَا عنه ، فزادَه ثلاثين دِرَّة . ورَفَعَ ذلك صَاحِبُ البريد إلى المُتَوَكِّل ، فوَرَدَ الكِتابُ على يَزيد بضَرْبِ ذلك الجُنْديّ مائة سَوْطٍ ، فضُرِبَها وحُمِلَ بعد ذلك إلى العِراق في شَوَّالٍ سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين[١] .

وتَتَبَّعَ يَزيدُ الرَّوافِضَ فحَمَلَهم إلى العِراق ، ودُلَّ في شَعْبان على رَجُلٍ يُقالُ له محمد بن عليّ بن الحَسَن بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب ، [يُعْرَفُ بأبي حُدُري][a]، أنَّه بُويعَ له ، فأَحْرَق المَوْضِعَ الذي كان به ، وأُخَذَه فأَقَرَّ على جَمْعٍ من النَّاس بايَعُوه ، فضَرَبَ بعضَهم بالسِّياط ، وأُخْرِجَ العَلَويُّ هو وجَمْعٌ من آلِ أبي طالب إلى العِراق في شهر رَمَضان [سنة سبعٍ وأربعين][a] [٢] .

وماتَ المُتَوَكِّلُ في شَوَّالٍ ، فقامَ من بعده ابنُه محمد المُنْتَصِر[b]، فوَرَد كِتابُه إلى مصر : بألَّا يُقَبَّل عَلَوِيٌ ضَيْعَة ، ولا يَرْكَب فَرَسًا ، ولا يُسافِر من الفُسْطاط إلى طَرَفٍ من أطْرافِها ، وأن يُمْنَعوا من اتِّخاذِ العَبيد إلَّا العَبْد الواحِد . ومَنْ كان بينه وبين أحَدٍ من الطَّالِبيين خُصومَة من سائِر النَّاس ، قُبِلَ قَوْلُ خَصْمِه فيه ، و لم يُطالَب بَبيِّنَة ، وكَتَبَ إلى العُمَّالِ بذلك[٣] .

وماتَ المُنْتَصِرُ[b] في رَبيعِ الآخر [سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين][a]، وقامَ المُسْتَعينُ ، فأَخْرَجَ يَزيدُ ستّة رِجالٍ من الطَّالبيين إلى العِراق في رَمَضان سنة خمسين ومائتين ، ثم أَخْرَج ثمانية منهم في رَجَب سنة إحدى وخمسين[٤] .

وخَرَجَ جَابِرُ بن الوَليد المُدْلِجِي بأرْضِ الإسْكَنْدَرية في رَبيع الآخِر سنة اثنتين وخمسين ، واجْتَمَع إليه كثيرٌ من بَني مُدْلِج . فبَعَثَ إليه محمد بن عبيد الله بن

---

a) زيادة من ولاة مصر ، مصدر النقْل. b) بولاق : المستنصر .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٢٩.
[٢] نفسه ٢٢٩.
[٣] نفسه ٢٣٠.
[٤] نفسه ٢٣٠.

يَزِيد [a]بن مَزْيَدَ[a] بجَيْشٍ من الإسْكَنْدَرية ، فهَزَمَهم وظَفِر بما معهم ، وقَوِيَ أمْرُه ، وأتاهُ النَّاسُ من كلِّ ناحيةٍ ، وضَوَى إليه كلُّ من يُومِئُ إليه بشدَّة ونَجْدَة ، فكان ممَّن أتاه عبد الله المَرِيسي ـ وكان لِصًّا[b] خبيثًا ـ ولحِقَ به جُرَيْج النَّصْراني ، وكان من شِرارِ النَّصارىٰ وأولي بأْسِهم . ولحَِقَ به أبو حَرْمَلَة فَرَج النُّوبي ـ وكان فاتِكًا ـ فعَقَد له جَابر على سَنْهُور ، وسَخَا ، وشَرْقيون ، وبَنَا . فمَضَى أبو حَرْمَلَة في جَيْشٍ عَظيم ، فأَخْرَجَ العُمَّال ، وجَبَى الخَراج . ولحِقَ به عبدُ الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ الذي يُقالُ له ابن الأَرْقَط ـ فقَوَّدَه أبو حَرْمَلَة وضَمَّ إليه الأعْراب ، ووَلَّاه بنا وبُوصِير وسَمَنُّود [1] .

فبعَثَ يزيدُ أمير مصر بجَمْعٍ من الأتْراك في جُمادَى الآخِرة ، فقاتَلَهم ابن الأرْقَط ، وقَتَلَ منهم . ثم ثَبَتُوا له ، فانْهَزَمَ وقُتِلَ من أصْحابِه كثيرٌ ، وأُسِرَ منهم كثير . ولحِقَ ابنُ الأرْقَط بأبي حَرْمَلَة في شَرْقيون ، فصارَ إلى عَسْكَر يَزيد ، فانْهَزَمَ أبو حَرْمَلة ، وقَدِمَ مُزاحِمُ بن خاقان من العِراق في جَيْشٍ ، فحارَبَ أبا حَرْمَلَة حتى أُسِرَ في رَمَضان [2] .

واسْتَأْمَن ابنُ الأَرْقَط ، فأُخِذَ وأُخْرِجَ إلى العِراق في رَبيعِ الأوّل سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين ، ففَرَّ منهم ، ثم ظُفِرَ به وحُبِسَ ، ثم حُمِلَ إلى العِراق في صَفَرَ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين بكتابٍ وَرَدَ على أحمد بن طُولُون . وماتَ أبو حَرْمَلَة في السِّجْن لأربعٍ بقين من رَبيعِ الآخِر سنة ثلاثٍ وخمسين ، وأُخِذَ

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) ولاة مصر : رجلًا .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٣١- ٢٣٢. ملىء بالتفصيلات) .

[2] نفســه ٢٣٢-٢٣٣ (والنَّصّ عنه الكندي

جابِر بعد حُرُوبٍ ، وحُمِل إلى العراق في رَجَب سنة أربعٍ و خمسين [١].

وخرَجَ في إمْرَة أَرْجُوز[a] التُّرْكي رَجُلٌ من العَلَويين يُقالُ له بُغَا الأكبر ـ وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طَباطَبَا بن إسْماعيل بن إبراهيم بن حَسَن بن حُسَيْن بن عليّ ـ بالصَّعيد ، فحارَبه أصْحابُ أَرْجُوز[a]، وفَرَّ منهم فمات [٢].

ثم خَرَجَ بُغَا الأصْغر ـ وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طَبَاطَبا ـ فيما بين الإسْكَنْدَرية وبَرْقَة [في مَوْضِعٍ يُقَالُ له الكنائِس] [b]، في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين ـ والأميرُ يومئذٍ أحمد بن طُولُون ـ وسارَ في جَمْعٍ إلى الصَّعيد ، فقُتِلَ في الحرب ، وأُتِيَ برأسِه إلى الفُسْطاط في شَعْبان [١].

وخَرَجَ ابن الصُّوفي العَلَوي بالصَّعيد ـ وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عُمَر بن عليّ بن أبي طالب ـ ودَخَل إسْنَا في ذي القَعْدَة سنة خمسٍ وخمسين ، ونَهَبَها وقَتَلَ أَهْلَها . فبَعثَ إليه ابنُ طُولُون بجَيْشٍ فحارَبوه ، فهَزَمَهم في رَبيعٍ الأوَّل سنة ستٍّ وخمسين بهُو ، فبَعَثَ ابن طُولُون إليه بجَيْشٍ آخر ، فالتقَيا بإخْميم في رَبيعٍ الآخِر ، فانْهَزَم ابن الصُّوفي ، وتَرَكَ جَميعَ ما معه ، وقُتِلت رَجالَتُه .

فأقامَ ابن الصُّوفي بالوَاحِ سنتين ، ثم خَرجَ إلى الأُشْمونَيْن في المحرَّم سنة تسعٍ وخمسين ، وسارَ إلى أُسْوان لمحارَبَة أبي عبد الرحمن العُمَري ، فظَفِرَ به العُمَري وبجَميع جَيْشِه ، وقَتَلَ منهم مَقْتَلَةً عظيمةً ، ولَحِقَ ابن الصُّوفي بأُسْوان فقَطَعَ لأهْلِها ثلاث مائة ألف نَخْلَة . فبَعَثَ إليه ابن طُولُون بَعْثًا ، فاضْطَرَبَ أمْرُه

---

a) بولاق : أرجون ، وولاة مصر : أزجور.   b) زيادة من ولاة مصر ، مصدر النقل.

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٣٤.
[٢] نفســه ٢٣٨.
[٣] نفســه ٢٣٩.

مع أصْحابِه فتَرَكَهم ومَضَى إلى عَيْذَاب فرَكِبَ البَحْر إلى مَكَّة، فقُبِضَ عليه بها وحُمِلَ إلى ابن طُولُون فسَجَنَه ثم أَطْلَقَه، فصارَ إلى المَدِينَة وماتَ بها [1].

وفي إمارةِ هارُون بن خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولُون، أنْكَر رَجُلٌ من أهْلِ مصر أنْ يكون أحَدٌ خَيْرًا من أهْلِ البَيْت، فوَثَبَت إليه العامَّةُ، فضُرِبَ بالسِّياط يوم الجمعة في جُمادَىٰ الأولىٰ سنة خمسٍ وثمانين ومائتين [2].

وفي إمارَة ذَكا الأَعْوَر على مصر، كُتِبَ على أَبوابِ الجَامِع العَتيق ذِكْرُ الصَّحابَة والقُرْآن [بما لا يليق][a]، فرَضِيَه جَمْعٌ من النَّاس، وكرِهَه آخَرون. فاجْتَمَع النَّاسُ في رَمَضان سنة خمسٍ وثلاث مائةٍ إلى دارِ ذَكَا يَتَشَكَّرونه على ما أَذِنَ لهم فيه، فوَثَبَ الجُنْدُ بالنَّاسِ، فنُهِبَ قَوْمٌ وجُرِحَ آخَرون، ومحي ما كُتِبَ على أبْوابِ الجَامِعِ، ونُهِبَ النَّاسُ في المسجد والأسْواق، وأَفْطَرَ الجُنْدُ يومئذٍ [3].

وما زالَ أَمْرُ الشِّيعَة يَقْوَى بمصر، إلى أنْ دَخَلَت سنة خمسين وثلاث مائةٍ، ففي يومِ عاشُوراء كانت مُنازَعَةٌ بين الجُنْدِ وبين جَماعَةٍ من الرَّعِيَّة عند قَبْرِ كُلْثوم العَلَويَّة، بسَبَبِ ذِكْرِ السَّلَفِ والنَّوْح، قُتِلَ فيها جَمَاعَةٌ من الفريقين. وتَعَصَّبَ السُّودانُ على الرَّعِيَّة، فكانوا إذا لَقُوا أحَدًا قالوا له: مَنْ خَالُك؟ فإنْ لم يَقُل مُعاوية وإلَّا بَطَشُوا به وشَلَّحُوه. ثم كَثُرَ القَوْلُ: مُعاوية خالُ عليٍّ [4].

وكان على بابِ الجَامِع العَتيق شَيْخان من العامَّة يُناديان في كلِّ يوم جُمُعَة في وُجُوهِ النَّاسِ من الخَاصِّ والعامّ: مُعاوِيَة خالي وخَال المؤمنين، وكاتِب الوَحْي،

---

a) زيادة من ولاة مصر، مصدر النّقل.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٤٠-٢٤١.

[2] نفسه ٢٦٧، وسمَّاها الكندي: فِتنة ابن قُرَيْش.

[3] نفسه ٢٩٢؛ المقريزي: المواعظ ٢: ١١٦.

[4] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٤٦.

ورديف رَسُولِ الله ﷺ، وكان هذا أحسَن ما يَقُولُونه وإلَّا فقد كانوا يَقُولُون: مُعاوِيَة خالُ عليّ من هاهنا ـ ويُشيرُون إلى أصْلِ الأذُن ـ ويَلْقَون أبا جَعْفَر مُسْلِمًا الحُسَيْني، فيقولون له ذلك في وَجْهِه، وكان بمصرَ أسْوَدٌ يَصيحُ دائمًا: مُعاوِيَة خالُ عليّ، فقُتِلَ بِتِنِّيس أيَّام القائدِ جَوْهَر.

ولمَّا وَرَدَ الخَبَرُ بقِيام بني حَسَن بمكَّة، و مُحارَبَتهم الحاجّ ونَهْبِهم، خَرَجَ خَلْقٌ من المصريِين في شَوَّال، فلَقُوا كافُور الإخْشيدي بالمَيْدان ظاهِر مَدينَة مصر، وضَجُّوا وصاحُوا: مُعاوية خالُ عليّ، وسألوه أنْ يَبْعَث لنُصْرَةِ الحاج على الطَّالِبيين.

وفي شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مائةٍ، أُخِذَ رَجُلٌ ـ يُعْرَفُ بابن أبي اللَّيْث المَلَطي ـ يُنْسَبُ إلى التَّشَيُّع، فضُرِبَ مائتي سَوْط ودِرَّة، ثم ضُرِبَ في شَوَّال خمس مائةِ سَوْط ودِرَّة، وجُعِلَ في عُنُقِه غِلٌّ وحُبِسَ، وكان يُتَفَقَّد في كلّ يوم لئلا يُخَفَّف عنه، ويُبْصَق في وَجْهِه، فماتَ في مَحْبِسه فحُمِلَ لَيْلًا ودُفِن. فمَضَت جَماعَةٌ إلى قَبْرِه ليَنْبشوه، وبَلَغُوا إلى القَبْر، فمَنَعهم جَماعَةٌ من الإخْشيدية والكافُورية، فأَبَوْا وقالوا: هذا قَبْرُ رافِضي. فثارَت فِتْنَةٌ، وضُرِبَ جَماعَةٌ، ونَهَبوا كثيرًا حتى تَفَرَّق النَّاس.

وفي سنة ستٍّ وخمسين، كُتِبَ في صَفَر على المساجِد ذِكْرُ الصَّحابَة والتَّفْضيل. فأَمَرَ الأسْتاذُ كافُور الإخْشيدي بإزالَته، فحَدَّثَه جَماعَةٌ في إعادَة ذِكْر الصَّحابَة على المساجد، فقال: ما أُحْدِثُ في أيَّامي ما لم يكن، وما كان في أيَّام غيري فلا أُزِيله، وما كُتِبَ في أيَّامي أُزيلُه. ثم أَمَرَ مَنْ طافَ وأزالَه من المساجد كلِّها.

ولمَّا دَخَلَ جَوْهَرٌ القائِد بعَساكِر المُعِزّ لدين الله إلى مصر، وبَنَى القاهِرَة، أَظْهَرَ مَذْهَبَ الشِّيعَة، وأُذِّنَ في جَميع المساجِد الجَامِعَة وغيرها: «حَيّ على خَيْر العَمَل»، وأُعْلِنَ بتَفْضيل عليّ بن أبي طالِب على غَيْره، وجُهِرَ بالصَّلاةِ عليه وعلى الحَسَن والحُسَيْن وفاطِمَة الزَّهْراء، رِضْوان الله عليهم. فشَكَا إليه جَماعَةٌ من أهْلِ

المَسْجِد الجَامِع أَمَرَ عَجُوزٍ عَمْياء تُنْشِدُ في الطَّرِيق ، فأَمَرَ بها فحُبِست . فسُرَّ الرَّعِيَّةُ بذلك ، ونادَوا بذِكْر الصَّحابَة ، ونادوا : مُعاوية خالُ عليّ وخالُ المؤمنين . فأرْسَلَ جَوْهَرٌ حين بَلَغَه ذلك رَجُلًا إلى الجامِع ، فنادَى : «أيُّها النَّاسُ أَقِلُّوا القَوْلَ ودَعوا الفُضُول ، فإنَّما حَبَسْنا العَجُوزَ صِيانَةً لها ، فلا يَنْطِقَنّ أحَدٌ إلَّا حَلَّت به العُقُوبَةُ الموجعة» ؛ ثم أَطْلَق العَجُوز .

وفي رَبِيعِ الأوَّل سنة اثنتين وستين ، عَزَّرَ سليمان بن عَزَّة[a] المحْتَسِب جماعَةً من الصَّيارِفَة فشَغَبوا وصاحُوا : مُعاوية خالُ عليّ بن أبي طالب . فهَمَّ جَوْهَرٌ أنْ يَحْرِقَ رَحْبَة الصَّيارِفَة ، لكن خَشِيَ على الجَامِع [1].

وأَمَرَ الإمامَ بجَامِع مصر أنْ يَجْهَر بالبَسْمَلَة في الصَّلاة - وكانوا لا يَفْعَلُون ذلك - وزِيدَ في صَلاةِ الجُمُعَة القُنُوتُ في الرَّكْعَةِ الثانية ، وأَمَرَ في المَواريث بالرَّدِّ على ذَوي الأَرْحام ، وألَّا يَرِث مع البِنْت أَخٌ ولا أُخْتٌ ولا عَمٌّ ولا جَدٌّ ولا ابنُ أخٍ ولا ابنُ عَمَّة[b]، ولا يَرِثُ مع الوَلَدِ الذَّكَر أو الأنثى إلَّا الزَّوْجُ أو الزَّوْجَة والأَبَوان والجَدَّة ، ولا يَرِثُ مع الأُمّ إلَّا مَنْ يَرِث مع الوَلَد [2].

وخَاطَبَ أبو الطَّاهِر محمد بن أحمد قاضي مصر القائِد جَوْهَرًا في بنتٍ وأخٍ ، وأنَّه كان حَكَمَ قَدِيمًا للبنتِ بالنِّصْف ، وللأخ بالباقي . فقال : لا أَفْعَل . فلمَّا أَلَحَّ عليه ، قال : يا قاضي ، هذا عَدَاوَةٌ لفاطِمة - عليها السَّلام - فأَمْسَكَ أبو الطَّاهِر ، ولم يُراجعه بَعْدُ في ذلك [3].

---

a) بولاق : عروة . b) بولاق : عم .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٣٢ .

[2] راجع حول نظام الميراث عند الفاطميين ، القاضي النعمان : دعائم الإسلام ٢ : ٣٧٩-٣٨٠ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٨٩ ؛ A.A.A. Fyzee, «The Fatimid Law of Inheritance», *SI* IX (1958), pp. 61-69.

[3] قارن ، ابن حجر : رفع الإصر ١٩٩-٢٠٠ .

وصارَ صَوْمُ شهر رَمَضان والفِطْرُ على حِسابٍ لهم . فأشارَ الشُّهودُ على القاضي أبي الطَّاهِر ألَّا يَطْلُب الهلال ، لأنَّ الصَّوْمَ والفِطْر على الرُّؤْيَة قد زال . فانْقَطَعَ طَلَبُ الهِلالِ من مصر ، وصامَ القاضي وغيره مع القائِد جَوْهَر كما يَصُومُ ، وأَفْطَرُوا كما يُفْطِر [١] .

ولمَّا دَخَلَ المُعِزُّ لدين الله إلى مصر ، ونَزَل بقَصْره من القاهِرَة المُعِزِّيَّة ، أَمَرَ في رَمَضان سنة اثنتين وستين وثلاث مائةٍ ، فكُتِبَ على سَائِر الأماكِن بمَدينَة مصر « خَيْرُ النَّاسِ بعد رَسُولِ الله ﷺ أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام » [٢] .

وفي صَفَر سنة خمسٍ وستين وثلاث مائة ، حَضَرَ[a] عليُّ بن النُّعْمان القاضي بجَامِع القاهِرَة ـ المعروف بالجَامِع الأزْهَر ـ وأمْلى مُخْتَصَر أبيه في الفِقْه عن أهْلِ البَيْت ، ويُعْرَفُ هذا المُخْتَصَر بـ « الاقْتِصار » ، وكان جَمْعًا عَظيمًا ، وأثْبَتَ أسْمَاءَ الحاضِرين [٣] .

ولمَّا تَوَلَّى يَعْقُوبُ بن كِلِّس الوَزارَة للعَزيز بالله نِزار بن المُعِزّ ، رَتَّبَ في دَاره العُلَماء من الأُدَبَاء والشُّعَراء والفُقَهاء والمُتَكَلِّمين ، وأجْرَى لجَميعهم الأرْزاق ، وأَلَّف كِتابًا في الفِقْه ، ونَصَبَ له مَجْلِسًا ـ وهو يوم الثلاثاء ـ يَجْتَمِع فيه الفُقَهاءُ وجَماعَةٌ من المُتَكَلِّمين وأهْل الجَدَل ، ويُجْري[b] بينهم المناظَرات [٤] .

وكان يَجْلِسُ أيضًا في يوم الجُمُعَة ، فيقرأ مُصَنَّفاتِه على النَّاس بنفسه ، ويَحْضُر عنده القُضَاةُ والفُقَهاءُ والقُرَّاءُ والنُّحَاةُ وأصْحابُ الحَديث ، ووُجُوهُ أَهْلِ العِلْم

---

a) بولاق : جلس .   b) بولاق : تجري .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١١٦، المقفى الكبير ٣: ١٠١.

[٢] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٣٥.

[٣] نفســه ١: ٢٢٧. وكِتابُ «الاقْتِصار»، نَشَره د. ميرزا، وصَدَرَ عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق سنة ١٩٥٧.

[٤] المقريزي : المواعظ ٣: ١٦.

والشُّهود ، فإذا انْقَضَى المَجْلِسُ من القِرَاءَة ، قامَ الشُّعَراءُ لإنْشادِ مَدائِحِهم فيه ، وجَعَل للفُقَهاءِ في شهر رَمَضان الأطعمة [١].

وأَلَّفَ كِتابًا في الفِقْه يتَضَمَّن ما سَمِعَه من المُعزّ لدين الله ومن ابنه العَزيز بالله ، وهو مُبَوَّبٌ على أبْوابِ الفِقْه [٢]، يكون قَدْرُه مثل نِصْف « صَحيح البُخاري » ، مَلَكْتُه ووَقَفْتُ عليه ، وهو يَشْتَمِلُ على فِقْهِ الطَّائِفَة الإسماعيلية . وكان يجلسُ لِقِراءَة هذا الكِتاب على النَّاسِ بنَفْسه ، وبَيْن يَدَيْه خَواصُّ النَّاسِ وعَوامُّهم ، وسَائِرُ الفُقَهاء والقُضَاة والأدَباء وأَفْتَى النَّاسُ به ، ودَرَسُوا فيه بالجَامِع العَتيق .

وأَجْرَى العَزيزُ بالله لجَماعَةٍ من الفُقَهاء ، يَحْضُرون مَجْلِس الوَزير ويُلازِمُونه ، أرْزاقًا تَكْفيهم في كلِّ شهر ، وأَمَرَ لهم بِبناءِ دارٍ إلى جَانِب الجَامِع الأَزْهَر ، فإذا كان يومُ الجُمُعَة تَحَلَّقُوا فيه بعد الصَّلاة إلى أنْ تُصَلَّى صَلاةُ العَصْر . وكان لهم من مالِ الوَزير أيضًا صِلَةٌ في كلِّ سنة ، وعِدَّتُهم خمسة وثلاثون رجلًا ، وخَلَعَ عليهم العَزيزُ بالله في يَوْم عيد الفِطْر ، و حَمَلَهم على بِغال [٣].

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائةٍ ، أَمَرَ العَزيزُ بن المُعِزّ بقَطْع صَلاةِ التَّراويح من جميع البلادِ المصرية .

وفي سنة إحدى و ثمانين وثلاث مائةٍ ضُرِبَ رَجُلٌ بمصر وطِيف به المَدينَة ، من أجْلِ أنَّه وُجِدَ عنده « كِتابُ المُوَطَّـأ » لمالِك بن أَنَس ـ رَحِمَهُ الله [٤].

وفي شهر رَبيعِ الأوَّل سنة خمسٍ وثمانين وثلاث مائةٍ ، جَلَسَ القَاضِي محمد ابن النُّعْمان على كرسي بالقَصْر في القاهِرَة لِقراءةِ عُلُومِ أَهْلِ البَيْت على الرَّسْمِ المتقدِّم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب ، فماتَ في الزَّحْمَة أَحَدَ عشر رَجُلًا [٥].

---

[١] المقريزي : المواعظ ٣: ١٦.

[٢] نفسه ٣: ١٧.

[٣] نفسه ٤: ٩٥.

[٤] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ٢٧٣.

[٥] نفسه ١: ٢٨٥؛ المواعظ ٢: ٣٠٥.

وفي جُمادَىٰ الأولىٰ سنة إحدى وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على رَجُلٍ من أهْلِ الشَّام سُئِل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال : لا أعْرِفه . فاعْتَقَلَه قاضي القُضَاة الحَسَن بن محمد[a] بن النُّعْمان ، قاضي أمير المؤمنين الحاكِم بأمر الله على القاهِرَة المُعِزِّيَّة ومصر والشَّامات و الحَرَمَيْن والمغرب ، وبَعَثَ إليه وهو في السِّجْن أربعة من الشُّهُود وسألوه ، فأَقَرَّ بالنَّبيّ ﷺ وأنَّه نَبِيٌّ مُرْسَل ، وسُئِلَ عن عليّ بن أبي طالب فقال : لا أعْرِفه . فأَمَرَ قائِدُ القُوَّادِ الحُسَيْن بن جَوْهَر بإحْضارِه ، فخَلا به ورَفَقَ في القَوْلِ له ، فلم يَرْجِع عن إنْكارِه مَعْرِفَة عليّ بن أبي طالِب . فطُولِع الحاكِمُ بأمْرِه ، فأَمَرَ بضَرْبِ عُنُقِه ، فضُرِبَ عُنُقُه وصُلِب [1] .

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على ثلاثة عشر رجلًا ، وضُرِبُوا وشُهِروا على الجِمال وحُبِسُوا ثلاثة أيَّام من أَجْلِ أنَّهم صَلُّوا صَلاةَ الضُّحَى .

وفي مُحَرَّم[a] سنة خمسٍ وتسعين وثلاث ومائةٍ ، قُرِئَ سِجلٌّ في الجَوامِع بمصر والقاهِرَة والجَزِيرَة : بأنْ تَلْبَس النَّصارىٰ واليَهود الغِيار والزُّنَّار ، وغيارُهم السَّواد غِيارُ العاصِين العَبَّاسيين ، وأنْ يَشُدُّوا الزُّنَّار . وفيه قَذْعٌ[b] وفُحْشٌ في حَقِّ أبي بكر وعُمَر ، رضي الله عنهما [2] .

وقرئَ سِجلٌّ آخَر فيه مَنْعُ النَّاس من أكْلِ المُلوخية المُحَبَّبَة كانتِ لمعاوِيَة بن أبي سُفْيان ، ومَنْعهم من أكْلِ البَقْلَة المسمَّاة بالجَرْجير المنسوبة لعائِشة ـ رضي الله عنها ، ومن المُتَوَكِّلِيَّة المنسوبة إلى المُتَوَكِّل ، والمَنْع من عَجين الخُبْز بالرِّجل ، والمَنْع من أكْلِ الدُّلِينِس ، ومن ذَبْحِ البَقَرِ إلَّا ذا عاهَة ـ ما عَدا أيَّام النَّحْرِ فإنَّه يُذْبَح فيها البَقَر فقط ـ والوَعيد للنَّخَّاسين مَتَى باعوا عَبْدًا أو أَمَةً لِذِمِّي .

---

a) ساقطة من بولاق .   b) بولاق : وقوع .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٩.   [2] نفســه ٢ : ٥٣.

وقُرِئ سِجلٌّ آخَر بأنْ يُؤَذَّن بصَلاةِ[a] الظُّهْر في أوَّلِ السَّاعةِ السابعة ، ويؤذَّن بصَلاةِ[a] العَصْر في أوَّلِ السَّاعَة التاسعة [١].

وقُرِئ أيضًا سِجلٌّ بالمَنْع من عَمَلِ الفُقَّاع وبَيْعه في الأسْواق ، لما يؤثر عن علي بن أبي طالِب - رضي الله عنه - من كراهية شُرْبِ الفُقَّاع ، وضُرِبَ في الطُّرُقات والأسْواقِ بالجَرَس[b]، ونُودي ألَّا يَدْخُل الحَمَّام أحَدٌ إلَّا بِمِئْزَرٍ ، ولا تَكْشِف امرأةٌ وَجْهَها في طَريقٍ ولا خَلْفَ جِنازَةٍ ولا تَتَبَرَّج ، ولا يُباعُ شيءٌ من السَّمَك بغير قِشْر ، ولا يَصْطاده أحَدٌ من الصَّيَّادين . وقُبِضَ على جَماعَةٍ وُجِدوا في الحَمَّام بغير مِئْزَر ، فضُرِبوا وشُهروا [٢].

وكُتِبَ في صَفَر من هذه السَّنةِ على سَائِر المساجِد وعلى الجَامِع العَتيق بمصر من ظاهِرِه وباطِنِه من جَميع جَوانبِه ، وعلى أبْوابِ الحَوانيت والحُجَر ، وعلى المقابِرِ والصَّحْراء ، سَبُّ السَّلَف ولَعْنُهم ، ونُقِشَ ذلك ولُوِّنَ بالأصْباغ والذَّهَب ، وعُمِلَ ذلك على أبْوابِ الدُّور والقَياسِر ، وأُكْرِهَ النَّاسُ على ذلك .

وتَسارَعَ النَّاسُ إلى الدُّخولِ في الدَّعْوَةِ ، فجَلَسَ لهم قاضِي القُضاة عبد العزيز ابن محمد بن النُّعْمان ، فقَدِموا من سَائِر النَّواحي والضِّياع . فكان للرِّجال يَوْمُ الأحد ، وللنِّساء يَوْمُ الأربعاء ، وللأشْرافِ وذَوي الأقْدارِ يَوْمُ الثلاثاء . وازْدَحَم النَّاسُ على الدُّخُول في الدَّعْوَة فماتَ عِدَّةٌ من الرِّجال والنِّساء .

ولمَّا وَصَلَت قافِلَةُ الحاج ، مَرَّ بهم من سَبِّ العامَّة وبَطْشِهم ما لا يُوصَفِ . فإنَّهم أرادوا حَمْل الحاج على سَبِّ السَّلف فأَبَوا ، فحَلَّ بهم مكروهٌ شديد [٣].

---

a) بولاق : لصلاة . b) بولاق : الحرس .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٣ .

[٢] نفسه ٢ : ٥٣ - ٥٤ .

[٣] نفسه ٢ : ٥٤ .

وفي جُمادَىٰ الآخِرة من هذه السنة ، فُتِحَت « دارُ الحِكْمَةِ بالقاهِرَة » ، وجَلَس فيها القُرَّاءُ ، وحُمِلَتِ الكُتُبُ إليها من خَزائِن القُصُور ، ودَخَلَ النَّاسُ إليها ، وجَلَسَ فيها القُرَّاءُ والفُقَهاءُ والمُنَجِّمون والنُّحَاةُ وأَصْحابُ اللُّغَة والأطِبَّاءُ ، وحَصَلَ فيها من الكُتُب في سائِر العُلُوم ما لم يُر مثله مُجْتَمِعًا ، وأُجْري على مَنْ فيها من الخُدَّام والفُقَهاءِ الأَرْزاقُ السَّنيَّة ، وجُعِلَ فيها ما يُحْتاجُ إليه من الحِبْر والأَقْلام والمحابِر والوَرَق [١] .

وفي يوم عاشُوراء سنة ستٍّ وتسعين وثلاث مائةٍ ، كان من اجْتِماع النَّاسِ ما جَرَت به العادَة ، وأُعْلِن بسَبِّ السَّلَفِ فيه . فقُبِضَ على رَجُلٍ نُودي عليه : هذا جَزاءُ من سَبَّ عائِشَة وزَوْجَها ﷺ ، ومعه من الرِّعاع ما لا يَقَع عليه حَصْرٌ ، وهم يَسُبُّون السَّلَف ، فلمَّا تَمَّ النِّداءُ عليه ضُرِبَ عُنُقُه [٢] .

واستَهَلَّ شهرُ رَجَب من هذه السنة بيوم الأَربعاء ، فخَرَج أَمْرُ الحاكِم بأَمْرِ الله أن يُؤَرَّخ بيوم الثلاثاء [٣] .

وفي سنة سبعٍ وتسعين وثلاث مائةٍ ، قُبِضَ على جَماعَةٍ مِمَّن يَعْمَل الفُقَّاع ، ومن السَّمَّاكين ومن الطَّبَّاخين . وكُبِسَتِ الحَمَّاماتُ فأُخِذَ عِدَّةٌ مِمَّن وُجِدَ بغير مِئْزَر ، فضُرِبَ الجَميعُ لمخالَفَتهم الأمْر ، وشُهِروا [٤] .

وفي تاسع رَبيع الآخِر ، أَمَرَ الحاكِمُ بأَمْرِ الله بمَحْو ما كُتِبَ على المساجِد وغيرها من سَبِّ السَّلَف ، وطافَ مُتَوَلِّي الشُّرْطَة وأَلْزَمَ كلَّ أَحَدٍ بمَحْوِ ما كُتِبَ[a] من ذلك .

---

a) بولاق : ما كتب على المساجد .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٦؛ والمواعظ ٢ : ٥٠٢-٥٠٣ .

[٢] نفسه ٢ : ٦٧ .

[٣] نفسه ٢ : ٦٧ .

[٤] نفسه ٢ : ٦٩ .

ثم قُرِئَ سِجِلٌّ في رَبيعِ الآخر سنة تسعٍ وتسعين وثلاث مائةٍ : بألَّا يُحْمَل شيءٌ من النَّبيذ والمِزْر ، ولا يُتَظاهَر به ، ولا بشيءٍ من الفُقَّاع والدُّلينس والسَّمَك الذي لا قِشْرَ له والتُّرْمِس المُعَفَّن[a] [١].

وقُرِئَ سِجلٌّ في رَمَضان على سَائِر المنابِر بأنَّه : يَصُومُ الصَّائِمون على حِسابِهم ويُفطِرون ، ولا يُعارَض أهْلُ الرُّؤْيَة فيما هم عليه صَائِمون ومُفْطِرون . صَلاةُ الخمسين للذين بما[b] جاءَهم فيها يُصَلُّون ، وصَلاةُ الضُّحَى وصَلاةُ التَّراويح لا مانِع لهم منها ، ولا هم عنها يُدْفَعون . يُخَمِّس في التَّكْبير على الجَنائِز المُخَمِّسون ، ولا يُمْنَع من التَّرْبيع عليها المُرَبِّعون . يُؤَذِّن بـ « حيّ على خَيْر العَمَل » المؤذِّنون ، ولا يُؤْذَى مَنْ بها لا يُؤذِّنون . ولا يُسَبُّ أحَدٌ من السَّلَف ، ولا يُحْتَسَب على الواصِف فيهم بما وَصف ، والحالِفُ منهم بما حَلَف . لكلِّ مُسْلمٍ مُجْتَهِدٍ في دينه اجْتِهادُه[c]، وإلى الله رَبِّه مَعادُه ، عنده كِتابُه وعليه حِسابُه [٢].

وفي صَفَرَ سنة أربع مائةٍ ، شُهِرَ جَماعَةٌ بعدما ضُرِبوا بسَبَبِ بَيْع الفُقَّاع والمُلوخِيَّة والدّلينس والتُّرْمِس [٣].

وفي تاسِع عشر شهر شَوَّال ، أمَرَ الحاكِمُ بأمْرِ الله برَفْعِ[d] ما كان يُؤْخَذ من الخُمْسِ والزَّكاة والفِطْرَةِ والنَّجْوَىٰ ، وأبْطَلَ قِراءَة مَجالِس الحِكْمَة في القَصْر ، وأمَرَ بردِّ التَّثْويب في الأذان ، وأذِنَ للنَّاسِ في صَلاة الضُّحَى وصَلاةِ القُنُوتَ[e]، وأمَرَ المؤذِّنين بأسْرِهم في الأذان بألَّا يقولوا : « حَيّ على خَيْر العَمَل » ، وأنْ يقولوا في

---

a) بولاق : العفن . b) بولاق : صلاه الخمس الذين فيما . c) بولاق : واجتهاده . d) في اتعاظ الحنفا : بإبطال . e) بولاق : التراويح .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٧٧.
[٢] نفسه ٢ : ٧٨؛ والمواعظ ٤ : ١٤٠.
[٣] نفسه ٢ : ٨١.

الأذانَ للفَجْر : « الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم »[١].

ثم أَمَرَ في ثاني عشرين رَبيعٍ الآخَر سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ بإعادَة قَوْل « حَيّ على خَيْرِ العَمَل » في الأذان ، وقَطَع التَّثْويب ، وتَرَكَ قَوْلهم : « الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم » ، ومَنَعَ من صَلاةِ الضُّحى وصَلاةِ التَّراويح ، وفَتَحَ بابَ الدَّعْوَة ، وأُعيدَت قِراءَةُ المجالِس بالقَصْر على ما كانت . وكان بَيْن المَنْعِ من ذلك والإذْنِ فيه خمسةُ أشهر[٢].

وضُرِبَ في جُمادَىٰ من هذه السنة جماعَةٌ وشُهِروا بسَبَب بَيْع المُلوخِيَّة ، والسَّمَك الذي لا قِشْرَ له ، وشُرْب المُسْكِرات ، و تُتُبِّع السُّكارى فضُيِّقَ عليهم[٣].

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرين شَعْبان سنة إحدى وأربع مائةٍ ، وَقَّعَ قاضي القُضاة مالِك بن سعيد الفارِقي إلى سَائِر الشُّهود والأُمَناء ، بخُروجِ الأَمْرِ المُعَظَّم بأنْ يكون الصَّوْمُ يوم الجُمُعَة ، والعيدُ يوم الأحد[٤].

وفي شَعْبان سنة اثنتين وأربع مائة ، قُرئَ سِجلٌ يُشَدِّدَ فيه النَّكير على بَيْع المُلوخِيَّة والفُقَّاع والسَّمك الذي لا قِشْرَ له ، ومَنْعِ النِّساء من الاجْتِماع في المآتم ومن اتِّباع الجَنائز ، وأَحْرَق الحاكِمُ بأمْرِ الله في هذا الشهر الزَّبيب الذي في مَخازِن التُّجّار ، وأَحْرَق ما وُجِدَ من الشِّطْرَنج ، وجَمَعَ صَيَّادي السَّمَك وحَلَّفَهم بالأَيْمان المؤكَّدة ألَّا يَصْطادوا سَمَكًا بغير قِشْر ، ومَنْ فَعَل ذلك ضُرِبت عُنُقُه[٥].

وأَحْرَق في خمسة عشر يومًا ألفين وثمان مائةٍ وأربعين قِطْعة زَبيب : بَلَغ ثَمَن النَّفَقَة عليها خمس مائة دينار[a][٦].

---

a) في اتعاظ الحنفا : خمسة آلاف دينار .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٨٢.
[٢] نفسه ٢ : ٨٦.
[٣] نفسه ٢ : ٨٦.
[٤] نفسه ٢ : ٨٧.
[٥] نفسه ٢ : ٩٠.
[٦] نفسه ٢ : ٩٠.

ومَنَع من بَيْع العِنَب إلَّا أربعة أرْطالٍ فيما دونها ، ومَنَعَ من اعْتِصارِه ، وطَرَحَ عِنَبًا كثيرًا في الطُّرُقات وأَمَرَ بدَوْسِه . فامْتَنَعَ النَّاسُ من التَّظاهُرِ بشيء من العِنَب في الأسْواق ، واشْتَدَّ الأمْرُ فيه ، وغُرِّقَ منه ما حُمِلَ في النِّيل [١].

وأَحْصَى ما بالجِيزَة من الكُرُوم ، فقُطِفَ ما عليها من العِنَب ، وطُرِحَ بأجْمَعِه[a] تحت أرْجُل البَقَر لتَدُوسَه ، وفُعِلَ مثل ذلك في جهاتٍ كثيرة [٢].

وخُتِمَ على مَخازِن العَسَل ، وغُرِّقَ منه في أربعة أيَّام خمسة آلاف جَرَّة وإحدى وخمسين جَرَّة فيها العَسَل ، وغُرِّق من عَسلِ النَّحْلِ قَدْرُ إحدى وخمسين زِيرًا [٣].

وفي جُمادَى الآخِرة سنة ثلاثٍ وأربع مائةٍ ، اشْتَدَّ الإنْكارُ على النَّاس بسَبَبِ بَيْع الفُقَّاع والزَّبيب والسَّمك الذي لا قِشْرَ له ، وقُبِضَ على جَماعَةٍ وُجِدَ عندهم زَبيبٌ فضُرِبَت أعْناقُهم وسُجِنَت عِدَّةٌ منهم وأُطْلِقوا [٤].

وفي شوَّال اعْتُقِلَ رَجُلٌ ، ثم شُهِرَ ونُودي عليه : هذا جَزاءُ من سَبَّ أبا بكرٍ وعُمَر ، ويُثير الفِتَنَ . فاجْتَمَعَ خَلْقٌ كثيرٌ بباب القَصْر ، فاسْتَغاثُوا : لا طاقَةَ لنا بمُخالَفَة المصريين ، ولا بمُخالَفَة الحَشَوِيَّة من العَوامّ ، ولا صَبْرَ لنا على ما جَرَى ، وكَتَبُوا قِصَصًا . فصُرِفُوا ، ووُعِدُوا بالمجيء في غَد . فباتَ كثيرٌ منهم ببابِ القَصْر ، واجتمعوا من الغَدِ فصَاحُوا وضَجُّوا . فخَرَجَ إليهم قائدُ القُوَّاد غَبْنٌ[b] فنَهاهُم ، وأَمَرَهم عن أمير المؤمنين الحاكِم بأمْرِ الله أنْ يَمْضوا إلى مَعايشهم . فانْصَرَفوا إلى قاضي القُضَاة مالِك بن سعيد الفارِقي وشَكَوا إليه ، فتَبَرَّم من ذلك ، فمَضوا وفيهم من يَسُبّ السَّلَف ، ويُعَرِّض بالنَّاس . فقُرئ سِجِلٌّ في القَصْر بالتَّرَحُّم على السَّلَفِ

---

a) بولاق : ما جمعه من ذلك . b) بولاق : عين .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩١.
[٢] نفسه ٢ : ٩١.
[٣] نفسه ٢ : ٩٣.
[٤] نفسه ٢ : ٩٥.

من الصَّحابَة ، والنَّهْي عن الخَوْضِ في ذلك . ورَكِبَ مَرَّةً فرأى لَوْحًا على قَيْسارِيَّة فيه سَبُّ السَّلَفِ ، فأنْكَرَه ، وما زالَ واقِفًا حتى قُلِع ، وضَرَبَ بالجَرَس[a] في سَائر طُرقاتِ مصر والقاهِرَة .

وقُرِئ سِجلٌّ بتَتَبُّع الأَلْواح المنصوبة على سَائِر أبْواب القَياسر والحَوانيت والدُّورِ والخاناتِ والأَرْباع ، المشتملة على ذِكْر الصَّحابَة والسَّلَف الصَّالِح - رَحِمَهُم الله - بالسَّبِّ واللَّعْن ، وقَلْع ذلك وكَسْره وتَقْفِيَةِ أَثَره ، ومَحْو ما على الحيطان من هذه الكتابة ، وإزالَة جَميعها من سائِر الجِهات حتى لا يُرَى لها أثَرٌ في جِدارٍ ولا نَقْشٌ في لَوْح ، وحَذَّرَ فيه من المخَالَفَة ، وهَدَّد بالعُقُوبَة . ثم انْتَقَضَ ذلك كلّه ، وعادَ الأَمْرُ إلى ما كان عليه [1] .

إلى أنْ قُتِلَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله أبو عليّ مَنْصور بن المُسْتَعْلي بالله أبي القاسم أحمد ابن المُسْتَنْصر بالله أبي تَميم مَعَدٍّ ، وثارَ أبو عليّ أَحْمَد المُلَقَّب كُتَيْفات ابن الأَفْضَل شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش ، واسْتَوْلَى على الوَزارَة في سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائةٍ وسَجَن الحافِظَ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسِم محمد ابن الخَليفَة المُسْتَنْصر بالله ، وأَعْلَنَ بمَذْهَبِ الإمامية ، والدَّعْوَة للإمام المُنْتَظَر ، وضَرَبَ دَراهم نَقْشَها « الله الصَّمَد . الإمامُ مُحَمَّد » [2] .

ورَتَّبَ في سنة خمسٍ وعشرين أربعة قُضَاة : اثنان : أَحَدُهما إماميّ والآخَر إسْماعيليّ ، واثنان : أحَدُهما مالِكيّ والآخَر شافِعيّ ، فحَكَمَ كلٌّ منهما بمَذْهَبِه ، ووَرَّثَ على مُقْتَضَاه ، وأَسْقَطَ ذِكر إسْماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق ، وأَبْطَلَ من الأَذان

---

a) بولاق : الحرس .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٨ . و٤ : ٢٠١ .

[2] نفسه ٣ : ١٤٠ - ١٤١ ، والمواعظ ٢ : ٦٤٩ .

«حيّ على خَيْر العَمَل»، وقَوْلَهم: «محمَّد وعليّ خَيْر البَشَر»[١]. فلمَّا قُتِلَ في المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين، عادَ الأَمْرُ إلى ما كان عليه من مَذْهَبِ الإسْماعيلية.

وما بَرِحَ حتى قَدِمَت عَساكِرُ الملك العادِل نُورِ الدِّين محمود بن زَنْكي من دِمَشْق عليها أَسَدُ الدِّين شيرْكوه، ووَلِيَ وَزارَة مصر للخَليفَة العاضِد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الأمير يُوسُف ابن الحافِظَ لدين الله، وماتَ. فقامَ في الوَزارَة بعده ابنُ أخيه السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِر صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، في جُمادَى الآخِرة سنة أربعٍ وستين وخمس مائة، وشَرَعَ في تَغْيير الدَّوْلَة وإزالَتها، وحَجَرَ على العاضِد، وأَوْقَع بأُمَرَاءِ الدَّوْلة وعَساكِرِها، وأنشأ بمَدينَة مصر مَدْرَسَةً للفُقَهاءِ الشَّافِعيَّة ومَدْرَسَةً للفُقَهَاءِ المالِكيَّة، وصَرَف قُضَاةَ مصر الشِّيعَة كلَّهم، وفَوَّضَ القَضَاءَ لصَدْرِ الدِّين عبد الملك بن دِرْباس المارانيِ الشَّافِعيّ[٢]، فلم يَسْتَنب عنه في إقْليم مصر إلَّا مَنْ كان شافِعيَّ المَذْهَب. فتَظاهَرَ النَّاسُ من حينئذٍ بمَذْهَبي[a] مالِك

a) بولاق: بمذهب.

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ١١٥-١١٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٧، المقريزي: المقفى الكبير ١: ٣٩٧، ٣٩٥، اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٢، ١٤٣؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٦٢؛ A. ALLOUCHE, «The Establishment of Four Chief Judgeshiphs in Fatimid Egypt», JAOS 105 (1985), pp. 317-20.

[٢] أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٦؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢: ١٥٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٤٢-٢٤٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٩٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٧٤-٤٧٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٩، السلوك ١: ١٧٠؛ ابن حجر: رفع الإصر ٢٥٢-٢٥٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥-٣٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٢٣٣.

والشَّافِعِي ، واخْتَفَى مَذْهَبُ الشِّيعَة والإسْماعيلية والإماميَّة حتى فُقِدَ من أرْض مصر[a] [١].

وكذلك كان السُّلْطانُ الملكُ العادِلُ نُورُ الدِّينِ محمود بن عمادِ الدِّين زَنْكِي بن آقْ سُنْقُر حَنَفِيًّا فيه تَعَصُّب . فنَشَرَ مَذْهَبَ أبي حَنيفَة ـ رَحِمَهُ الله ـ بِبِلادِ الشَّام ، ومنه كَثُرَتِ الحَنَفِيَّةُ بمصر ، وقَدِمَ إليها أيضًا عِدَّةٌ من بِلاد الشَّرْق ، وبَنَى لهم السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب «المَدْرسَة السُّيوفِيَّة» بالقاهِرَة [٢] ، وما زالَ مَذْهَبُهم يَنْتَشِر ويَقْوى ، وفُقهاؤهُم تَكْثُر بمصر والشَّام من حينئذٍ .

وأمَّا « العَقـائِدُ » فإنَّ السُّلْطانَ صَلاحَ الدِّين حَمَل الكافَّة على عَقيدةِ الشَّيْخ أبي الحَسَن عليّ بن إسْماعيل الأشْعَري ، تِلْميذ أبي عليّ الجُبّائي [٣] ، وشَرَط ذلك في أوْقافِه التي بديار مصر : كالمَدْرَسَةِ النَّاصِريَّة بجوارِ قَبْر الإمام الشَّافِعِيّ من القَرافَة ، والمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّة التي عُرِفَت بالشَّرِيفِيَّة بجوار جَامِع عَمْرو بن العَاص بمصر ، والمَدْرَسَةِ المعروفة بالقَمْحِيَّة بمصر ، وخانْكاه سَعيد السُّعداء بالقاهِرَة [٤] .

فاسْتَمَرَّ الحَالُ على « عَقيدَةِ الأَشْعَري » بديار مصر وبلاد الشَّام وأرْض الحِجَاز واليَمَن ، وبلادِ المَغْرِب أيضًا لإدْخالِ محمد بن تُومَرْت رَأْيَ الأَشْعَري إليها ، حتى إنَّه صارَ هذا الاعْتِقادُ بسَائِر هذه البِلاد ، بحيث إنَّ من خَالفَه ضُرِبَ عُنُقُه ، والأمْرُ على ذلك إلى اليوم .

ولم يَكُن في الدَّوْلة الأيُّوبِيَّة بمصر كثيرُ ذِكْرٍ لمَذْهَبِ أبي حَنيفَة وأحمد بن حَنْبَل ، ثم اشْتُهِرَ مَذْهَبُ أبي حَنيفَة وأحْمَد ابن حَنْبَل في آخِرِها .

---

a) بولاق : من أرض مصر كلها.

---

[١] المقريزي : المواعظ ٢ : ٢٠٥.

[٢] نفسه ٤ : ٤٦٠-٤٦١ .

[٣] نفسه ٤ : ٤٣٩- ٤٤٦.

[٤] نفسه ٤ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٦٣١ ، ٧٢٧.

فلمَّا كانت سَلْطَنَةُ الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس البُنْدُقداري ، وَلَّى بمصر والقاهِرَة أربعة قُضَاة وهم شَافِعي ومالِكيّ وحَنَفي وحَنْبلي [1] . فاسْتَمَرَّ ذلك من سنة خمسٍ وستين وستّ مائةٍ ، حتى لم يَبْقَ في مَجْمُوعِ أمْصَارِ الإسْلام مَذْهَبٌ يُعْرَفُ من مَذاهِبِ أهْلِ الإسْلام سوى هذه المذاهِب الأربعة وعَقيدَة الأَشْعَري .

وعُمِلَت لأهْلِها المدَارِسُ والخَوانِكُ والزَّوايا والرُّبَطُ في سَائِر مَمالِك الإسْلام ، وعُودي من تَمَذْهَبَ بغيرها وأُنْكِرَ عليه . ولم يُوَلّ قاضٍ ، ولا قُبِلَت شَهادَةُ أحَدٍ ، ولا قُدِّمَ للخَطابَة والإمامَة والتَّدْريس أحدٌ ، ما لم يَكُن مُقَلِّدًا لأحَدِ هذه المذاهِب . وأَفْتَى فُقَهاءُ هذه الأمْصَارِ في طُولِ هذه المُدَّة بوُجُوبِ اتِّباعِ هذه المذاهِبِ وتَحْرِيمِ ما عَداها ؛ والعَمَلُ على هذا إلى اليوم .

* * *

وإذْ قد بَيَّنَّا الحالَ في سَبَبِ اخْتِلافِ الأُمَّة منذ تُوفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ ، إلى أنِ اسْتَقَرَّ العَمَلُ على مَذْهَبِ مالِك والشَّافِعي وأبي حَنيفَة وأحْمَد بن حَنْبَل ـ رَحْمَةُ الله عليهم ـ فلنَذْكُر اخْتِلافَ عَقائِدِ أهْلِ الإسْلام منذ كان ، إلى أنِ الْتَزَمَ النَّاسُ عَقيدَةَ الشَّيْخ أبي الحَسَن الأَشْعَري ، رَحِمَهُ الله ورَضِي عنه .

---

[1] المقريزي : المواعظ ٤ : ٢٠١ .

ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها

اعْلَم أنَّ الذين تَكَلَّمُوا في أُصُولِ الدِّيانات قِسْمان، هما: مَنْ خَالَفَ مِلَّة الإسْلام، ومَنْ أَقَرَّ بها.

فأَمَّا «المخَالِفُون لِمِلَّةِ الإسْلام» فهم عَشْرُ طَوائِف:

الأولى: الدَّهْرِيَّة.

والثَّانِيَة: أَصْحَابُ العَناصِر.

والثَّالِثَة: الثَّنَوِيَّة وهم المجُوس، ويقولون بأَصْلَيْن هما النُّور والظُّلْمَة، ويَزْعُمُون أنَّ النُّورَ هو يَزْدان والظُّلْمَة هو أَهْرَمْن، ويُقِرُّون بنُبُوَّةِ إبراهيم - عليه السَّلام - وهم ثمانِ فِرَق:

«الكِيومَرْثِيَّة» أَصْحابُ كِيومَرْث الذي يُقالُ إنَّه آدَم. و«الزَّرْوانِيَّة» أَصْحابُ زَرْوان الكبير. و«الزَّرَادِشْتِيَّة» أَصْحابُ زُرادِشت بن بيورَسْت الحَكيم. و«الثَّنَوِيَّة» أَصْحابُ الاثنين الأَزَلِيين. و«المانَوِيَّة» أَصْحابُ ماني الحكيم. و«المَزْدَكية» أَصْحَابُ مَزْدَك[a] الخارِجي. و«الدَّيصانِيَّة» أَصْحابُ دَيْصان[b] القائل بالأَصْلَيْن القديمين. و«القَرْقُونية» القائلون بالأَصْلَيْن، وأنَّ الشَّرَّ خَرَجَ على أبيه، وأنَّه تَوَلَّدَ من فكرة فَكَّرَها في نفسه، فلمَّا خَرَجَ على أبيه - الذي هو الإله بزَعْمِهم - عَجَزَ عنه، ثم وقَعَ الصُّلْحُ بينهما على يد النُّدْمان وهم الملائِكة. ومنهم من يقول بالتَّناسُخ، ومنهم من يُنْكِر الشَّرائِع والأنبياء، ويُحَكِّمون العُقُول، ويَزْعُمُون أنَّ النُّفوسَ العُلْوية تُفيض عليهم الفَضائِل.

والطَّائِفَة الرَّابِعَة: الطَّبائِعيون.

---

a) بولاق: مزرك والمزركية. b) جميع النسخ: البيصانية... بيصان، وهو خطأ.

والطَّائِفَة الخَامِسَة: «الصَّابِئَة» القائِلون بالهَياكِل والأرْبابِ السَّماوية والأصْنام الأرْضية وإنْكارِ النُّبوَّات، وهم أصناف، وبينهم وبين الحُنَفَاء مُناظَرَاتٌ وحُروبٌ مُهْلِكَة، وتَوَلَّدَت من مَذاهِبهم الحِكْمةُ المَلْطية، ومنهم أصْحَابُ الرُّوحانيات، وهم عُبَّادُ الكَواكِب وأصْنامِها التي عُمِلَت على تِمْثالِها [١].

«والحُـنَفَاءُ» هم القائِلون بأنَّ الرُّوحَانيات منها ما وُجودُها بالقُوَّة، ومنها ما وجُودُها بالفِعْل، فما هو بالقُوَّة يَحْتاج إلى مَنْ يُوجِده بالفعل، ويُقِرُّون بنُبُوَّة إبراهيم وأنَّه منهم [٢]. وهم طَوائِف: «الكاظِمَة» أصْحاب كاظِم بن تارِح، ومنْ قوله: إنَّ الحَقَّ في الجَمْع بين شَريعَة إدْريس وشَريعَة نُوح وشَريعة إبراهيم - عليهم السَّلام. ومنهم «البَيْدانِيَّة» أصْحابُ بَيْدان الأصْغَر، ومن قَوْلِه: اعْتِقادُ نُبُوَّةِ من يَفْهَم عالَم الرُّوح، وأنَّ النُّبُوَّةَ من أسْرار الإلهية. ومنهم «القُنْطارية» أصْحابُ قُنْطار بن أرْفَخْشذ، ويُقِرّ بنُبُوَّة نُوح.

ومن فِرَقِ الصَّابِئَة «أصْحابُ الهياكِل»، ويَرَوْن أنَّ الشَّمْسَ إله كلِّ إله. و«الحَرَّانِيَّة» ومن قَوْلِهم: المَعْبود واحِد بالذات، وكثيرٌ بالأشْخاص في رأي العَيْن، وهي: المُدَبِّرات السَّبْع من الكَواكِب، والأرضية الجزئية، والعالِمَة الفاضِلَة.

والطَّائِفَة السَّادِسَة: اليَهُود.

والسَّابِعَة: النَّصَارَىٰ.

والثَّامِنَة: أهْلُ الهِنْد القائِلون بعِبادَة الأصْنام، ويَزْعُمُون أنَّها موضوعة قبل آدَم. ولهم حِكَمٌ عقلية وأحْكامٌ وَضَعَها الشَّلَم أعْظَم حُكَّامهم، والمُهَنْدَم

---

[١] راجع عن الصَّابئة أحمد العدوي: الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة - رؤية للنشر والتوزيع ٢٠١٢م؛ T. FAHD, EI^2 art. *al-Sâbi'a* VIII, pp. 694-98.

[٢] راجع عن الحُنَفاء، H.W. GLIDDEN, «The Development of the Meaning of the Koranic *Hanîf*», *JPOS* XIX (1939), pp. 1-3; M. MONTGOMERY, W. WATT, EI^2 art. *Hanîf* III, pp. 169-170 (نُقِل إلى العربية في مجلة الأبحاث ١٣ (١٩٦٠)، ٢٥-٤٢).

قبله ، والبَرَاهِمَة قبل ذلك ؛ فالبَراهِمَة أصحابُ بَرْهام أوَّل من أنكر نُبُوَّة البشر [١].

ومنهم «البَــرَدَة» : زُهَّادٌ عُبَّادٌ رجالُ الرَّماد الذين يهجرون اللَّذَّات الطَّبيعية ، وأصْحاب الرِّياضة التَّامَّة ، وأصْحاب التَّناسُخ . وهم أقسام : أصْحاب الرُّوحانيات [a]، والنَّهادرية ، والتَّاسُوتية ، والباهِرية ، والكابِلية أهل الجَبَل ، ومنهم الطَّبْسيون ، أصْحاب الرِّياضَة الفاعِلة ، حتى إنَّ منهم من يُجاهِد نَفْسَه حتى يُسَلِّطها على جَسَدِه ، فيَصْعَد في الهَوَاء على قَدْر قُوَّته تلك [b].

وفي الهُنُود [c]: عُبَّادُ النَّار ، وعُبَّادُ الشَّمْس والقَمَر والنُّجوم ، وعُبَّادُ الأوْثان .

والطَّائِفَةُ التَّاسِعَة : الزَّنادِقَة ، وهم طَوائِفُ منهم القَرامِطَة .

والعاشِرَةُ : الفَلاسِفَة أصْحابُ الفَلْسَفَة . وهذه الكلمة معناها مَحَبَّةُ الحِكْمَة [d]، فإنَّ «فيلو» مُحِبّ ، و«سوفيا» حِكْمَة ، والحِكْمَة قَوْلية وفِعْلية ، وعِلْمُ الحُكَماء انْحَصَر في أربعة أنْواع : الطَّبيعي ، والمَدَني ، والرِّياضي ، والإلٰهي . والمجموع ينصرفُ إلى : عِلْم ما ، وعِلْم كَيْف ، وعِلْم كَمّ . فالعِلْمُ الذي يُطْلَب فيه ماهِيَّة [e] الأشْياء هو الإلٰهي ، والذي يُطْلَب فيه كَيْفِيَّات الأشْياء هو الطَّبيعي ، والذي يُطْلَب فيه كَمِّيَّات الأشياء هو الرِّياضي [٢].

ووَضَعَ بعد ذلك أرِسْطو صَنْعَة المَنْطِق ، وكانت بالقُوَّة في كلام القُدَماء ، فأظهرها في ترتيبه .

---

a) بولاق : الروحانية . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : اليهود . d) بولاق : كلمة فيلسوف معناها مُحِبّ الحكمة . e) بولاق : ماهيات .

---

[١] راجع عن البَراهِمَة ، البيروني : آثار البلاد III, pp. 1062-63. ؛ ٥١ – ٥٢ F. RAHMÂN, *EI*[2] art. *Barâhima*

[٢] الشهرستاني : الملل والنحل ٢: ٦٢.

واسْم الفَلاسِفَة يُطْلَق على جماعةٍ من الهِنْد ـ وهم الطَّبْسيون والبَرَاهِمَة ـ ولهم رياضَةٌ شَديدَة، وينكرون النُّبُوَّة أصْلًا [١]. ويُطْلَقُ أيضًا على العَرَبِ بوَجْهٍ أنْقَص، وحِكْمَتُهم تَرْجِع إلى أفكارِهم وإلى مُلاحَظَةٍ طبيعية، ويُقِرُّون بالنُّبُوَّات، وهم أضْعَفُ النَّاسِ في العُلُومَ [٢].

ومن الفَلاسِفَة حُكَمَاءُ الرُّومِ وهم طَبَقات: فمنهم أساطِينُ الحِكْمَة وهم أقْدَمُهم، ومنهم المَشَّاءون، وأصْحابُ الرِّواق، وأصْحابُ أرِسْطو، وفَلاسِفَة الإسْلام [٣].

فمن فَلاسِفَة الرُّوم: الحُكَمَاء السَّبْعَة أساطين الحِكْمَة ـ أهْل مَلَطْية وقُونْيَة ـ وهم: تاليس المَلَطي، وإنْكساغُورَس، وإنَكْسِيمانِس وإنْبَادُقْلِيس، وفيثاغُورَس، وسُقْراط، وأفْلاطُون. ودون هؤلاء: فُلوطَرْخيس، وبُقْراط وديمُقْراطيس، والشُّعَراء، والنُّسَّابُ[a] [٤].

ومنهم حُكَماءُ الأُصُول من القُدَماء، ولهم القَوْلُ بالسِّيْمياء، ولهم أسْرارُ الخَواصّ والحِيَل والكِيْمياء والأسْماء الفَعَّالة والحُرُوف، ولهم عُلُومٌ تُوافِق عُلوم الهِنْد وعُلُوم اليونانيين. وليس من مَوْضوع كِتابنا هذا ذِكْرُ تَراجِمهم، فلذلك تَرَكْناها [٥].

القسْمُ الثَّاني: «فِرَقُ أهْلِ الإسْلامِ» الذين عَناهُم النبيُّ ﷺ بقَوْله: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي ثَلاثًا وسَبْعينَ فِرْقَةً: اثْنَتان وسَبْعون هالِكَةٌ، وواحِدَةٌ ناجِية». وهذا الحَدِيثُ

a) بولاق: وأسعر والنساس.

[١] الشهرستاني: الملل والنحل ٢: ٢٥٨.

[٢] نفسه ٢: ٢٤٢.

[٣] نفسه ٢: ٦٤.

[٤] نفسه ٢: ٦٥.

[٥] تناول هذا الموضوع بالتَّفصيل الشَّهْرستاني: الملل والنِّحل ٢:٦٢-١٢٧، وما أورده المقريزي هنا هو تلخيصٌ لما ذكره الشَّهْرِسْتاني مَصْدَرُ النَّقْل.

أَخْرَجَه أبو داود والتِّرمِذِيّ وابنُ مَاجَه ، من حَديثِ أبي هُرَيْرَة - رضي الله عنه - قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « افْتَرَقَتِ اليَهُودُ على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فِرْقَةً ، وتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فِرْقَةً ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة » . قال البَيْهَقِي : حَسَنٌ صَحيح .

وأَخْرَجَه الحَاكِمُ وابنُ حِبّان في «صَحيحِه» بنَحْوه . فأَخْرَجَه في « المُسْتَدْرَك » من طَريق الفَضْلِ بن مُوسَىٰ ، عن محمد بن عَمْرو ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُرَيْرَة ، وقال : هذا حَديثٌ كثيرٌ في الأُصُول . وقد رُوي عن سَعْدِ بن أبي وَقَّاص ، وعبد الله بن عُمَر ، وعَوْف بن مالِك ، عن رَسُولِ الله ﷺ . وقد احْتَجَّ مُسْلِمٌ بمحمد بن عَمْرو عن أبي سَلَمَة عن أبي هُرَيْرَة ، واتَّفَقا جَميعًا على الاحْتجاجِ بالفَضْلِ بن مُوسَىٰ ، وهو ثِقَة [1] .

واعْلَمْ أنَّ فِرَقَ المسلمين خَمْسٌ : « أَهْلُ السُّنَّة » ، و« المُرْجِئَةُ » ، و« المُعْتَزِلَةُ » ، و« الشِّيعَةُ » ، و« الخَوارِجُ » . وقد افْتَرَقَت كلُّ فِرْقَةٍ منها على فِرَقٍ : فأكثَرُ افْتِراقِ أَهْلِ السُّنَّة في الفُتْيا ، ونُبَذٍ يَسيرةٍ من الاعْتِقادات . وبَقِيَّةُ الفِرَق الأَرْبَع : منها ما[a] يُخالِفُ أَهْلَ السُّنَّة الخِلافَ البَعيد ، ومنها من يُخالِفهم الخِلافَ القَريب .

فأَقْرَبُ «فِرَقِ المُرْجِئَة» من قال : الإيمانُ إنَّما هو التَّصْدِيقُ بالقَلْبِ واللِّسانِ مَعًا فقط ، وإنَّ الأَعْمالَ إنَّما هي فَرائِضُ الإيمان وشَرائِعُه فقط ، وأبعدُهم أصْحابُ جَهْم ابن صَفْوان ومحمد بن كَرَّام .

---

a) بولاق : من .

---

[1] راجع مناقشة هذا الحديث وأسانيده عند البغدادي : الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد ، القاهرة د.ت ، ٤- ١١.

وأَقْرَبُ «فِرَقِ المُعْتَزِلَة» أصْحابُ الحُسَيْن النَّجَّار وبِشْر بن غَيَّاث المَرِيسي ، وأبعدهم أصْحابُ أبي الهُذَيْل العَلَّاف .

وأَقْرَبُ «مَذاهِب الشِّيعَة» أصْحابُ الحَسَن بن صَالِح بنِ حَيّ ، وأبعدُهم الإمامِيَّة . وأمَّا الغالِيَة فلَيْسوا مُسْلمين ، ولكنَّهم أَهْلُ رِدَّة وشِرْك .

وأَقْرَبُ «فِرَقِ الخَوارِج» أصْحابُ عبد الله بن يَزيد الإباضي ، وأبعدهم الأزارِقَة . وأمَّا البَطِّيخِيَّة ومَنْ جَحَدَ شيئًا من القُرْآن ، أو فارَق الإجْمَاعَ من العَجارِدَة وغيرهم ، فكُفَّارٌ بإجْماعِ الأُمَّة .

وقد انْحَصَرَتِ الفِرَقُ الهالِكَة في عَشْرِ طَوائِف :

الفِرقَةُ الأولى
المُعْتَزِلَة[1]

الغُلاةُ في نَفْي الصِّفَات الإلٰهية ، القائِلون بالعَدْلِ والتَّوْحيد ، وأنَّ المعارِفَ كلَّها عَقْلية حُصُولًا ووجُوبًا قبل الشَّرْعِ وبعده ، وأكثرهم على أنَّ الإمامَة بالاخْتيار . وهم عشرون فِرقَة:

---

[1] المُعْتَزِلَة . إحدى أهَمّ الفِرق الكلامية ، نشأت في البَصْرَة في النصف الأوّل من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي على يد واصِل بن عَطَاء ، المتوفّى سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م . ويُعَدّون أصحاب النَّزعَة العقلية في الإسلام . ويقوم مَذْهَبُهم على أصُولٍ خمسة هي : التَّوحيد ، والعَدْل ، والمنزلة بَيْن المنزلتين ، والأمْر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر ، والوَعْد والوَعيد . وظَلَّ تأثيرهم قائمًا حتى انتشر المَذْهَبُ الأشْعَري وتَبَنَّاه السَّلاجِقَةُ السُّنِّيُّون في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .

وقد تَطَوَّرَت دراسةُ تاريخ المُعْتَزِلَة في النصف قرن الأخير بفَضْلِ ظهور مصادر جديدة بأقلام شيوخ الاعتزال ، كَشَفَ عنها في اليمن سنة ١٩٥١-١٩٥٢ والدي المرحوم فؤاد سيد ، ومنها : «المُغْني في أبواب التوحيد والعَدْل» للقاضي عبد الجبار بن أحمد و«فَضْلُ الاعتزال وطبقات المعتزلة» له أيضًا ، و«مقالاتُ الإسلاميين» لأبي القاسم البَلْخي ، و«شَرْحُ الأصُول الخمسة»=

إحْداها : « الواصِلِيَّةُ » ، أصْحابُ واصِل بن عَطَاء أبي حُذَيْفَة الغَزَّالَ ـ مَوْلَى بني ضَبَّة ، وقيل مَوْلَى بني مَخْزُوم ـ (a وُلِدَ بالمَدِينَة سنة ثمانين ، ونَشَأ بالبَصْرَة ، ولقي أبا هاشِم عبد الله بن محمد ابن الحَنَفِيَّة ، ولازَم مَجْلِس الحَسَن بن أبي(b) الحَسَن(c) البَصْري ، وأكثر من الجُلُوس بسُوق الغَزْل ليَعْرِف النِّساءَ المُتَعَفِّفات ، فيَصْرِف إليهن صَدَقَته ، فقيل له الغَزَّال من أجْلِ ذلك .

وكان طَوِيلَ العُنُق جدًّا ، حتى عابَه عَمْرو بن عُبَيْد بذلك ، فقال : مَنْ هذه عُنُقُه لا خَيْرَ عنده . فلمَّا بَرَعَ واصِلُ قال عَمْرو : رُبَّما أخْطأْت الفَراسَةِ . وكان يَلْثَغُ بالرَّاء ، ومع ذلك فكان فَصِيحًا لَسِنًا مُقْتَدِرًا على الكلام قد أَخَذَ بجَوامِعِه ، فلذلك أمكنه أن أَسْقَط حَرْفِ الرَّاء من كلامِه ، واجْتِنابُ الحُرُوف صَعْبٌ جِدًّا ، سِيَّما(d) مثل الراء ؛ لكثرة اسْتِعْمالِها .

وله رِسالَةٌ طَويلةٌ لم يَذْكُر فيها حرف الرَّاءِ ، أَحد بدائِع الكَلام ، وكان لكثرة صَمْتِه يُظَنُّ به الخَرَس ، توفِّي سنة إحدى وثلاثين ومائة . وله « كِتابُ المَنْزِلَة بَيْن المَنْزِلَتَيْن » ، و « كِتابُ الفُتْيا » ، و « كِتابُ التَّوْحيد » ، وعنه أَخَذَ جماعَةٌ ، وأخبارُه كثيرة a)، ويُقالُ لهم أيضًا « الحَسَنِيَّة » نسبة إلى الحَسَن البَصْري .

---

a-a) هذه الفَقْرَة حتى نهاية العلامة ، موجودة في هامش نسختي ميونخ وآياصوفيا . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الحسين . d) بولاق : لاسيما .

=لابن مانكديم ، إضافةً إلى الفَصْل الذي عَقَده النَّديمُ في «الفِهْرِست» والشَّهْرِسْتاني في «المِلَل والنِّحل» والأشْعَري في «مقالات الإسلاميين» .

ومن الدِّراسات الحديثة كتاب زهدي حسن جار الله : المعتزلة ، القاهرة ١٩٤٧ (الذي مازال يحتفظ ببعض قيمته) ؛ أحمد محمود صبحي : المعتزلة ، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٧٥؛ D. GIMARET, *EI*² *Mu'tazila* VII, pp. 785-95، وما ذكر من مراجع .

وأَخَذَ واصِلُ العِلْم عن أبي هاشِم عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّة ، وخالَفَه في الإمامَة . واعْتِزالُه يَدُورُ على أرْبَعِ قواعِد هي : « نَفْيُ الصِّفات» ، و« القَوْلُ بالقَدَرِ » ، و« القَوْلُ بمَنْزِلَةٍ بَيْن مَنْزِلَتَيْنْ » ، وأَوْجَب الخُلُودَ في النَّار على مَنِ ارْتَكَبَ كبيرة .

فلمَّا بَلَغَ الحَسَن البَصْري عنه هذا ، قال : هؤلاء اعْتَزَلوا ، فسُمُّوا من حينئذٍ « المُعْـتَزِلَة » . وقيل إنَّ تسميتهم بذلك حَدَثَت بعد الحَسَن ، وذلك أنَّ عَمْرو بن عُبَيْد لمَّا ماتَ الحَسَن ، وجَلَسَ قَتادةُ مجلِسَه ، اعْتَزَلَه في نَفَرٍ معه ، فسَمَّاهم قَتادَة « المُعْتَزِلَة » .

القاعِدةُ الرَّابِعَة : القَوْلُ بأنَّ إحدى الطَّائِفَتَيْن من أصْحابِ الجَمَلِ وصِفِّين مُخْطِئَةٌ لا بعينها . وكان في خِلافَة هِشَام بن عبد الملك .

والثَّانية : « العَمْرَوِيَّة » ، أصْحابُ عَمْرو بن عُبَيْد [a]، ومن قَوْلِه : تَرْكُ قَوْل عليّ ابن أبي طالِب وطَلْحَة والزُّبَيْر - رضي الله عنهم . وقال ابن قُتَيْبَة [b]: اعْتَزَلَ عَمْرو ابن عُبَيْد وأصْحابه الحَسَن ، فسُمُّوا المُعْـتَزِلَة .

والثَّالِثَة : « الهُذَيْلِيَّة » : أتْبَاعُ أبي الهُذَيْل محمد بن الهُذَيْل العَلَّاف شَيْخُ المُعْتَزِلَة ، أَخَذَ عن عُثْمان بن خالِد الطَّويل ، عن وَاصِل بن عَطَاء ، ونَظَرَ في الفَلْسَفَة ، ووافَقَهم في كثيرٍ ، وقال : جَميعُ الطَّاعات من الفَرائِض والنَّوافِلَ إيمان .

وانْفَرَدَ بعَشْرِ مَسائِل وهي : أنَّ عِلْمَ الله وقُدْرَتَه وحَياتَه هي ذاته ، وأَثْبَتَ إرادات لا مَحَلَّ لها يكون الباري مُرِيدًا بها [c]. وقال : بَعْضُ كلامِ الله لا في مَحَلّ وهو قوله كُنْ ، وبعضه في مَحَلّ كالأمر والنَّهْي . وقال في أُمورِ الآخِرَة كمَذْهَب الجَبْرِيَّة . وقال : تَنْتَهي مَقْدوراتُ الله حتى لا يَقْدِر على إحْداثِ شيءٍ ، ولا على إفْناءِ شيءٍ ، ولا إحْياءِ [d] ولا إماتَة [e]، وتَنْقَطِعُ حَرَكاتُ أهْلِ الجَنَّة والنَّار ، ويَصيرُون إلى سُكونٍ دائم .

---

a) ساقط من بولاق . b) بولاق : ابن منبه . c) بولاق : لها . d) بولاق : إحياء شيء . e) بولاق : إماتة شيء .

وقال : الاسْتِطاعَةُ عَرَضٌ من الأَعْراض نحو السَّلامَة والصِّحَّة[a]، وفَرَّق بين أفْعال[b] القُلوب وأعْمال الجَوارِح . وقال : تَجِبُ مَعْرِفَةُ الله قَبْل وُرُود السَّمْع ، وأنَّ المَرْءَ المقتول إنْ لم يُقْتَل ماتَ في ذلك الوَقْت ، ولا يُزادُ العُمْر[c] ولا يَنْقُص بخِلافِ الرِّزْق . وقال : إرادَةُ الله عَيْن المُراد ، والحُجَّةُ لا تقوم فيما غابَ إلَّا بخَبَر عشرين .

والرَّابِعَة : « النَّظَّامِيَّة » ، أتْباعُ إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام ـ بتشديد الظَّاء المعجمة ـ زَعيمُ المُعْتَزِلَة ، وأَحَد السُّفَهاء . انْفَرَدَ بعِدَّة مَسائِل ، وهي قوله : إنَّ الله تعالى لا يُوصَفُ بالقُدْرَة على الشُّرُور والمعاصِي ، وأنَّها غير مقدورة لله . وقال : لَيْس لله إرادَة ، وأَفْعالُ العِبادِ كلُّها حَرَكات ، والنَّفْس والرُّوح هو الإنْسَان ، والبَدَنُ إنَّما هو آلة فقط ، وإنَّ كلَّ ما جاوَزَ مَحَلّ[d] القُدْرَة من الفِعْل فهو من الله وهو فِعْله .

وأَنْكَرَ الجَوْهَر الفَرْدَ ، وأَحْدَثَ القَوْل بالطَّفْرَة ، وقال : الجَوْهَرُ مؤلَّفٌ من أعْراضٍ اجتمعت ، وزَعَمَ أنَّ الله خَلَقَ المَوْجودات دَفْعَةً واحِدَةً[d] على ما هي عليه ، وأنَّ الإعْجَازَ في القرآن من حَيْث الإخْبار عن الغَيْب فقط ، وأَنْكَرَ أنْ يكون الإجْماعُ حُجَّة ، وطَعَنَ في الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ وقال ـ قَبَّحَهُ الله ـ : أبو هُرَيْرَة أَكْذَبُ النَّاسِ ، وزَعَم أنَّه ضَرَبَ فاطِمَة ابنة رَسُولِ الله ﷺ .

ومَنَعَ مِيراثَ العِتْرَة ، وأَوْجَبَ معرفة الله بالفِكْر قبل وُرُود الشَّرْع ، وحَرَّم نِكاحَ الموالي العَرَبِيات ، وقال : لا تَجُوزُ صَلاةُ التَّراويح ، ونَهَى عن مِيقات الحَجّ ، وكذَّبَ بانْشِقاقِ القَمَر ، وأحالَ رُؤْيَة الجِنّ ، وزَعَمَ أنَّ من سَرَقَ مائتي دِرْهم فما دونها لم يَفْسُق ، وأنَّ الطَّلاقَ بالكِنايَة لا يَقَعُ وإنْ كان بِنِيَّةٍ ، وأنَّ مَنْ نامَ مُضْطِجعًا لا يُنْتَقَضُ وُضوؤه ما لم يَخْرُج منه الحَدَث ، وقال : لا يَلْزَم قَضَاءُ الصَّلوات إذا فاتَت .

والخامِسَة : « الأَسْوارية » ، أتْبَاعُ أبي عليّ عَمْرو بن قائِد الأَسْواري ، القائِل : إنَّ الله تعالى لا يَقْدِر أنْ يَفْعَل ما عَلِمَ أنَّه لا يفعله .

---

a) بولاق : الصحبة .   b) بولاق : أعمال .   c) بولاق : العلم .   d) ساقطة من بولاق .

والسَّادِسَة : « الإسْكافِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي جَعْفَر محمد بن عبد الله الإسْكافي ، ومن قَوْله : إنَّ الله تعالى لا يَقْدِر على ظُلْمِ العُقَلاء ، ويَقْدِر على ظُلْمِ الأَطْفال والمَجانين ، وإنَّه لا يُقالُ إنَّ الله خالِقُ المعازِف والطَّنابير ، وإنْ كان هو الذي خَلَق أجْسامَها .

والسَّابِعَة «الجَعْفَرِيَّة» ، أَتْبَاعُ جَعْفَر بن حَرْب بن مَيْسَرَة . ومن قَوْله : إنَّ في فُسَّاقِ هذه الأُمَّة من هو شَرٌّ من اليَهود والنَّصارَىٰ والمَجُوس ، وأَسْقَط الحَدَّ عن شارِبِ الخَمْر ، وزَعَمَ أنَّ الصَّغائِر من الذُّنوب تُوجِبُ تَخْليدَ فاعِلها في النَّار ، وأنَّ رُجُلًا لو بَعَثَ رَسُولًا إلى امْرَأةٍ ليَخْطِبها ، فجاءَته فوَطِئَها من غير عَقْدٍ لم يكن عليه حَدٌّ ، ويكون وَطْؤه إيَّاها طَلاقًا لها .

والثَّامِنَة : « البِشْرِيَّة » ، أَتْبَاعُ بِشْر بن المُعْتَمِر ، ومن قوله : اللَّوْنُ والطَّعْمُ[a] والرَّائِحَة والإدْراكات كلّها من السَّمْع [a]والبَصَر وغير ذلك[a] ، يجوز أنْ تَحْصُل مُتَوَلِّدَة ، وصَرَف الاسْتِطاعَة إلى سَلامَة البِنْيَة والجَوارِح وقال : لو عَذَّبَ الله الطِّفْلَ الصَّغير لكان ظالِمًا وهو يَقْدِر على ذلك ، وقال : إرادَةُ الله من جملة أفْعالِه ، ثم هي تنقسم إلى صِفَةِ فِعْل وصِفَةِ ذات ، وقال باللُّطْفِ المَخْزون ، وأنَّ الله لم يَخْلُقه لأنَّ ذلك يُوجِب عليه الثَّواب ، وأنَّ التَّوْبَة الأولى مُتَوَقِّفَة على الثانية ، وأنَّها لا تَنْفَع إلَّا بعدم الوُقوعِ في الذي وَقَعَ فيه ، فإنْ وَقَعَ لم تنفعه الأولى[c].

والتَّاسِعَةُ : « المِزْدارِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي مُوسَىٰ عيسَىٰ بن صُبَيْح ـ المعروف بالمِزْدار ـ تلميذ بِشْر بن المُعْتَمِر . وكان زاهِدًا ، وقيل له راهِبُ المُعْتَزِلَة ، وانْفَرَدَ بمَسائِل منها : قَوله : إنَّ الله قادِرٌ على أنْ يَكْذِب ويَظْلِم[d] ولا يَطْعَن ذلك في الرُّبوبِيَّة ، وجَوَّزَ وُقوعَ الفِعْل الواحِد من فاعلين على سَبيل التَّوَلُّد ، وزَعَمَ أنَّ القُرْآن مِمَّا يُقْدَر عليه ،

---

a) بولاق : الطعم واللون . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : لم تنفعه التوبة الأولى . d) بولاق : يظلم ويكذب .

وأنَّ بلاغَتَه وفَصاحَتَه لا تُعْجِز النَّاس، بل يقدرون على الإتْيان بِمِثْلِها وأَحْسَنَ منها. وهو أَصْلُ المُعْتَزِلَة في القَوْلِ بـ «خَلْقِ القُرْآن»، وقال: مَنْ أجازَ رُؤْيَةَ الله بالأَبْصار بلا كَيْفٍ فهو كافِر، والشَّاكّ في كفره كافِرٌ أيضًا.

والعاشِرَة: «الهِشَامِيَّة»، أَتْبَاعُ هِشَام بن عَمْرو الفُوطي الذي يُبالِغ في القَدَر، ولا يَنْسِبُ إلى الله فِعْلًا من الأَفْعال. حتى إنَّه أنكر أنْ يكون الله هو الذي أَلَّفَ بين قُلُوب المُؤْمنين، وأنَّه يُحِبُّ الإيمان للمُؤْمنين، وأنَّه أَضَلَّ الكافِرين. وعانَدَ ما في القُرآن من ذلك، وقال: لا تَنْعَقِدُ الإمامَة في زَمَنِ الفِتْنَة واخْتِلافِ النَّاس، وإنَّ الجَـنَّةَ والنَّار غير مَخْلوقتين، ومَنَع أنْ يُقال «حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيل»، وقال: لأنَّ الوَكيل دون المُوَكِّل.

وقال: لو أَسْبَغَ أَحَدٌ الوُضوءَ، ودَخَلَ في الصَّلاة بِنِيَّة القُرْبَة لله والعَزْم على إتْمامِها، ورَكَع وسَجَدَ مُخْلِصًا في ذلك كلِّه، إلَّا أنَّ الله عَلِمَ أنَّه يَقْطَعُها في آخرها، فإنَّ أوَّل صَلاتِه يكون[a] مَعْصِيَة. ومَنَعَ أنْ يكون البَحْرُ انْفَلَق لموسَىٰ، وأنَّ عَصاه انْقَلَبَت حَيَّة، وأنَّ عيسَىٰ أَحْيَا المَوْتَى بِإذْن الله، وأنَّ القَمَرَ انْشَقَّ للنَّبيّ ﷺ. وأَنْكَرَ كثيرًا من الأُمور التي تَواتَرَت، كحَصْر عُثْمان بن عَفَّان - رضي الله عنه - وقَتْله بالغَلَبَة، وقال إنَّما جاءَه شِرْذِمَةٌ قليلةٌ فشَكَوا عُمَّالَه، ثم دَخَلوا عليه وقَتَلوه فلا يُدْرَى قاتله.

وقال: إنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْر وعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ما جاءُوا للقِتال في حَرْبِ الجَمَل، وإنَّما بَرَزُوا للمُشاوَرَة، وتَقَاتَل أَتْباعُ الفريقين في ناحيةٍ أخرى. وإنَّ الأُمَّة إذا اجْتَمَعَت كلّها، وتَرَكَتِ الظُّلْمَ والفَسَاد، احْتاجَت إلى إمامٍ يَسُوسُها، فأمَّا إذا عَصَت وفَجَرَت وقَتَلَت واليـها فلا تَنْعَـقِدُ الإمامَةُ لأحَدٍ. وبَنَى على ذلك أنَّ إمامَةَ عليّ - رضي الله عنه - لم تَنْعَقِد [b]من أجْلِ[b] أنَّها

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) ساقطة من بولاق، وعِوَضها: لأنَّها.

كانت في حالِ الفِتْنَة بعد قَتْلِ عُثْمَان ـ وهو أيضًا مَذْهَبُ الأَصَمّ ـ وواصِل بن عَطَاء، وعَمْرو بن عُبَيْد ـ وأَنْكَرَ افْتِضاض الأبْكار في الجَنَّةِ، وأَنْكر أنَّ الشيطانَ يَدْخُل في الإنْسان، وإنَّما يُوَسْوِسُ له من خارِج، والله يُوَصِّل وَسْوَسَته إلى قَلْبِ ابنِ آدَم. وقال: لا يُقالُ خَلَقَ الله الكافِرَ لأَنَّه اسْم العَبْد والكُفْر جَميعًا، وأَنْكَر أنْ يكون في أَسْمَاءِ الله: الضَّار النَّافِع.

والحادِيَة عَشْرَة: « الحَائِطِيَّة »، أَتْبَاعُ أحمد بن حائِط، أَحَدُ أَصْحابِ إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام، وله بِدَعٌ شَنيعَة: منها أنَّ للخَلْق إلَهَيْنِ: أَحَدُهما خالِقٌ وهو الإله القَديم، والآخَر مَخْلوقٌ وهو عيسَىٰ بن مَرْيَم. وزَعَمَ أنَّ المسيحَ ابنُ الله، وأنَّه هو الذي يُحاسِبُ الخَلْقَ في الآخِرَة، وأنَّه المَعْني بقَوْلِ الله تعالى في القُرْآن: ﴿هَلْ يَنْظُرُون إلَّا أنْ يَأْتِيَهُمُ الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام﴾ [الآية ٢١٠ سورة البقرة]. وزَعَمَ في قَوْلِ النَّبيّ ﷺ: « إنَّ الله خَلَقَ آدَم على صُورَتِه »، أنَّ مَعْناه خَلْقُه إيَّاه على صُورَةِ نفسه، وأنَّ مَعْنَى قَوْله عليه السلام: (إنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كما تَرَوْن القَمَرَ ليلة البَدْر)، إنَّما أراد به عِيسَىٰ.

وزَعَم أنَّ في الدَّوابِّ والطُّيورِ والحَشَرات، حتى البَقّ والبَعُوض والذُّباب، أَنْبياءَ؛ لقَوْلِ الله سبحانه: ﴿وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية ٢٤ سورة فاطر]، وقَوْله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فى الأرْضِ ولا طَائِرٍ يَطِيرُ بجَنَاحَيْه إلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنا فى الكِتابِ من شَىء﴾ [الآية ٣٨ سورة الأنعام]، ولقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: « لوْلا أنَّ الكِلابَ أُمَّة من الأُمَم لأَمَرْتُ بقَتْلِها ».

وذَهَبَ مع ذلك إلى القَوْلِ بالتَّناسُخ، وزَعَمَ أنَّ الله ابْتَدأ الخَلْقَ في الجَنَّة، وإنَّما خَرَجَ مَنْ خَرَجَ منها بالمَعْصِيَّة. وطَعَن في النَّبيّ ﷺ من أَجْلِ تَعَدُّدِ نِكاحِه، وقال: إنَّ أبا ذَرٍّ الغِفاري أَنْسَكُ وأَزْهَدُ منه، قَبَّحه الله. وزَعَم أنَّ كلَّ مَنْ نالَ خَيْرًا في الدُّنْيا إنَّما هو بعَمَلٍ كان منه، ومَنْ نالَه مَرَضٌ أو آفَةٌ فبذَنْبٍ كان منه. وزَعَم أنَّ رُوحَ الله تناسَخَت في الأئمة.

والثَّانِيَة عَشْرَة : « الحمارية » ، أَتْبَاعُ قَوْمٍ من مُعْتَزِلَةِ عَسْكَر مُكْرَم . ومن مَذْهَبهم أَنَّ المَمْسوخَ إِنْسانٌ كافِرٌ مُعْتَقِد الكُفْر ، وأَنَّ النَّظَر أَوْجَبَ المَعْرِفَة وهو لا فاعِل له ، وكذلك الجِمَاعُ أَوْجَب الوَلَد فشَكُّ في خالِق الوَلد ، وأَنَّ الإِنْسَانَ يَخْلُق أَنْواعًا من الحَيوانات بطريق التَّعْفين . وزَعَمُوا أَنَّه يجوز أَنْ يُقْدِر الله العَبْدَ على خَلْقِ الحَياة والقُدْرَة .

والثَّالِثَة عَشْرَة : « المَعْمَرِيَّة » ، أَتْبَاعُ مَعْمَر بن عَبَّاد السُّلَمي [1] ، وهو أَعْظَمُ القَدَرِيَّة غُلُوًّا ، وبالغَ في رَفْعِ الصِّفات والقَدَر[a] بالجملة ، وانْفَرَدَ بَمسائِلَ منها : أَنَّ الإِنْسانَ يُدَبِّر الجَسَد وليس بحالٍّ فيه ، ولا ذي لَوْنٍ وتأْليف وحَرَكَة ، ولا حال ولا مُتَمَكِّن ، وأَنَّ الإنسان شيءٌ غير هذا الجَسَد ، وهو حَيٌّ عالِمٌ قادِرٌ مُخْتار ، وليس هو بمُتَحَرِّك ، ولا ساكِن ، ولا مُتَلَوِّن ، ولا يَرَى ، ولا يَلْمَس ، ولا يَحُلّ مَوْضِعًا ، ولا يحويه مكانٌ . فوَصَفَ الإِنْسانَ [b]بصفةَ إِلاهِه[b] عنده ، فإِنَّ مُدَبِّر العالَم مَوْصُوفٌ عنده كذلك .

وزَعَمَ أَنَّ الإِنْسانَ مُنَعَّمٌ في الحياة ، ومُوَزَّرٌ في النَّار ، وليس هو في الجَنَّة ولا في النَّار حالًّا ولا مُتَمَكِّنًا . وقال : إِنَّ الله لم يَخْلِق غير الأَجْسام ، وأَنَّ[c] الأَعْراضَ تابِعَة لها متولِّدة منها ، وأَنَّ الأَعْراضَ لا تَتَناهَى في كلِّ نَوْعٍ ، وأَنَّ الإِرادَة من الله للشَّيء غير الله وغير خَلْقه ، وأَنَّ الله ليس بقَديم ؛ لأَنَّ ذلك أُخِذَ من : قَدُم يَقْدُم فهو قَديم .

---

a) بولاق : القدرة . b-b) بولاق : بوصف الإلهية . c) ساقطة من بولاق .

---

[1] حاشية بخطّ المؤلِّف : «مَعْمَر بن عبَّاد ، أبو عَمْرو وقيل أبو المُعْتَمِر السُّلَمي ، من بني سُلَيْم سَكَنَ البَصْرَة ثم انْتَقَلَ إلى بَغْداد وله مُناظَرَة مع النَّظَّام ، وهَجَا بِشْر بن المُعْتَمِر . مات سنة خمس عشرة ومائتين» .

والرَّابِعَة عَشْرَة : « الثُّمامِيَّة » ، أَتْبَاعُ ثُمامَة بن أَشْرَس النُّمَيْري [١] . وجَمَعَ بين النَّقائِض ، وقال : العُلومُ كلُّها ضرورية ، فكلُّ من لم يُضْطرّ إلى مَعْرِفَةِ الله فليس بمأمورٍ بها ، وهو كالبَهائِم ونَحْوها . وزَعَمَ أنَّ اليَهودَ والنَّصَارَىٰ والزَّنادِقَة يصيرون يوم القِيامَة تُرابًا كالبَهائِم ، ولا ثَوَابَ لهم ولا عِقَابَ ألبتَّة ، لأنَّهم غير مَأْمُورين ، إذْ هم غير مُضطَرين إلى مَعْرِفَة الله . وزَعَمَ أنَّ الأفعالَ متولِّدة كلّها[a] لا فاعِلَ لها ، وأنَّ الاسْتِطَاعَة هي السَّلامة وصِحَّة الجَوارح ، وأنَّ العَقْلَ هو الذي يُحَسِّن ويُقَبِّح ، فتَجِبُ معرفةُ الله قبل وُرُود الشَّرْع ، وأنْ لا فِعْلَ للإنْسَانِ إلَّا الإرادَة وما عَداها فهو حَدَث .

والخَامِسَة عَشْرَة : « الجَاحِظِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي عُثْمان عَمْرو بن بَحْر الجَاحِظ [٢] ، وله مَسَائِلُ تَمَيَّزَ بها عن أصْحابِه : منها أنَّ المعارِفَ كلَّها ضرورية ، وليس شيءٌ من ذلك من أفْعالِ العِباد ، وإنَّما هي طبيعية ، وليس للعِباد كَسْبٌ سوى الإرادَة ، وأنَّ العِبادَ لا يُخلَّدون في النَّار بل يصيرون في[b] طبيعتها ، وأنَّ الله لا يُدْخِلُ أحَدًا النَّار ، وإنَّما النَّارُ تُحْدِثُ[c] أهْلَها بنفسها وطبيعتها ، وأنَّ القُرآن المُنْزَل من قبيل الأجساد ، ويمكن أنْ يصير مَرَّةً رَجُلًا ومَرَّةً حيوانًا ، وأنَّ الله لا يُريدُ المعاصِي ، وأنَّه لا يُرَى ، وأنَّ الله يريد ، بمعنى[d] لا يغلط ولا يَصِحّ في حَقِّه السَّهْو فقط ، وأنَّه يستحيل العَدَم على الجَواهِر من الأجْسامِ .

---

a) بولاق : كلها متولدة . b) بولاق : من . c) بولاق : تجذب . d) بولاق : بمعنى أنه .

---

[١] حاشية بخَطّ المؤلِّف : «ثُمامَة بن أشْرَس أبو بِشْر النُّمَيْري من جُلَّة مُتَكَلِّمي المُعْتَزِلة وبُلَغاء الكُتَّاب ، خَدَم الرَّشيد وبَلَغَ من المأمون مَنْزِلَةً جليلَةً . مات ».

توفِّي ثُمامة بن أشْرَس سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م . (القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٢- ٢٧٧؛ الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ٨: ٢٠-٢٣) .

[٢] أبو عمرو عُثْمان بن بَحْر الجاحِظ الأديب المشهور المتوفَّى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩هـ . (النديم : الفهرست ١: ٥٧٨- ٥٨٨؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٥- ٢٧٧؛ الخطيب البغدادي :=

والسَّادِسَة عَشْرَة : « الخَيَّاطِيَّة » ، أَصْحابُ أبي الحُسَيْن بن أبي عَمْرو الخَيَّاط [١] ، شَيْخ أبي القاسِم الكَعْبي ، من مُعْتَزِلَة بَغْداد . زَعَم أنَّ المعدومَ شيءٌ ، وأنَّه في العَدَم جِسْمٌ إنْ كان في حُدوثِه جسمًا ، وعَرَضٌ إنْ كان في حدوثه عَرَضًا .

والسَّابِعَة عَشْرَة : « الكَعْبِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي القاسِم عبد الله بن أحمد بن محمود البَلْخي ، المعروف بالكَعْبي [٢] ، من مُعْتَزِلَة بَغْداد . انفرد بأشياءَ ، منها : إرادَة[a] الله لَيْسَت صِفَة قائِمة بذاتِه ، ولا هو مُريدٌ[b] لذاتِه ، ولا إرادَته حادِثة في مَحَل ، وإنَّما يَرْجِع ذلك إلى العِلْم فقط ، والسَّمْع والبَصَر يَرْجِع إلى ذلك أيضًا . وأَنْكَرَ الرُّؤْيَة ، وقال : إذا قُلْنا إنَّه يَرى المَرْئيات ، فإنَّما ذلك يرجع إلى عِلْمِه بها وتَمْييزها قبل أن تُوجَد .

---

a) بولاق : أن إرادة . b) بولاق : مدبر .

=تاريخ مدينة السلام ١٤ : ١٢٤ - ١٣٢؛ ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ٧٤ - ١١٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ : ٥٢٦ - ٥٣٠؛ طه الحاجري : الجاحظ - حياته وآثاره ، القاهرة ١٩٦٩؛ CH. PELLAT, *Al-Gâhiz et le milieu Basrien*, Paris 1953) .

[١] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «أبو الحسين عبد الرَّحيم ابن أبي عمرو محمد بن عثمان الخَيَّاط من مُعْتَزِلة بَغْداد ، كان رئيسًا مُقَدَّمًا عالمًا بالكلام فقيهًا صاحِب حَديث واسِع الحِفْظ لمذاهِب المتكلِّمين يتَقَدَّم سائر البَغْداديين ، ومن أهْل الدِّين والوَرَع والعِلْم بَلَغَ من العِلْم ما جاوَزَ فيه نظراءه ، وتَقَدَّم كثيرًا ممَّن سَلَف ، وكُتُبُه بعيدةٌ من السَّقْط ، إمامًا في الفرائض قد كتب في الحَديث وجالَس الفُقَهاء» .

لم نعرف تأريخ وفاته على التدقيق ، راجع النديم : الفهرست ١ : ٦١٠ - ٦١١؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٦ - ٢٩٧؛ الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ١٢ : ٣٧٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ٢٧٤؛ مقدمة نيبرج لكتاب «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد» ، القاهرة ١٩٢٥م .

[٢] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «أبو القاسم عبد الله بن أحمد ابن محمود البَلْخي يُعْرَفُ بالكَعْبي ، عالِمٌ مُتَكَلِّم رئيسُ أهْلِ زمانِه ، كَتَبَ لأحمد بن سَهْل أحد قُوَّادِ نَصْر بن أحمد لمَّا قام بنَيْسابور ، فلمَّا ظَفِرَ بأحمد أُخِذَ الكَعْبي واعْتُقِل ، فأمَرَ أحمد ابن عيسى بإشْخاصه إلى بَغْداد ، فأُشْخِص إليها في وزارة حامد ابن العَبَّاس ، فعَظُم ورفع . وتوفِّي أوَّل يوم من=

والثَّامِنَة عَشْرَة : « الجُبَّائِيَّة » ، أَتْبَاعُ أبي عليّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائي [١]، من مُعْتَزِلَة البَصْرَة ، تَفَرَّدَ بمَقالات منها : أنَّ الله تعالى يُسَمَّى مُطيعًا للعَبْد إذا فَعَل ما أراد العَبْدُ منه ، وأنَّ الله مُحَبِّل للنِّساء بخَلْقِ الوَلَد فيهن ، وأنَّ كلامَ الله عَرَضٌ يوجد في أمكنة كثيرة ، وفي مكان بعد مكان ، من غَيْر أنْ يُعْدَم عن[a] مكانِه الأوَّل ، ثم يَحْدُث في الثَّاني . وكان يقف في فَضْلِ عليّ على أبي بكر ، وفَضْل أبي بكر على عليّ ، ومع ذلك يقول : إنَّ أبا بكر خَيْرٌ من عُمَر وعُثْمان ، ولا يقول إنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ من عُمَر وعُثْمان .

---

[a] بولاق : من .

=شَعْبان سنة تسع عشرة وثلاث مائة ، وله عِدَّةُ مُصَنَّفَات» .

(راجع ترجمته عند ، النديم : الفهرست ١:٦١٣ - ٦١٥؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٧ - ٢٩٨؛ الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ١١:٢٥ - ٢٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٤٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤: ٣١٣، ١٥:٢٥٥ - ٢٥٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧:٢٥ - ٢٧؛ مقدمة فؤاد سيد لنشرة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

[١] حاشية بخطِّ المؤلِّف : أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سَلَّام بن يزيد بن أبي الشَّكَن الجُبَّائي . وُلِدَ سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين وهو من مُعْتَزِلة البَصْرَة ، وهو الذي ذَلَّلَ الكلام وسَهَّلَه ويَسَّرَ ما صَعُبَ منه . وإليه انتهت رِياسةُ المُعْتَزِلَة في زمانه لا يُدافعه أحَدٌ عن ذلك ، أَخَذَ عن أبي يعقوب يوسف ابن عبيد الله الشَّحَّام ، وتوفِّي سنة ثلاث وثلاث مائة فدُفِنَ بجُبَّى . وله خمسة وسبعون مُصَنَّفًا . وابنه أبو هاشم عبد السَّلام قَدِمَ بَغْداد سنة أربع عشرة وثلاث مائة ، وتوفِّي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة ، وكان ذكيًا حَسَنَ الفَهْم ثاقِب الفِطْنَة صانِعًا للكلام مُقْتَدِرًا عليه قَيِّمًا به ، له مُصَنَّفات» .

(راجع ، النديم : الفهرست ١:٦٠٦ - ٦٠٨؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٨٧ - ٢٩٣، ٣٠٤ - ٣٠٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:١٨٣ - ١٨٤، الخطيب البغدادي : تاريخ مدينة السلام ١٢:٣٢٧ - ٣٢٨؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤:٧٤ - ٧٥، ١٨:٤٣٤ - ٤٣٥؛ F. SEZGIN, *GAS* I, pp. 621-22, 623-24؛ ولعلي فهمي خشيم : الجُبَّائيان ، أبو علي وأبو هاشم ، طرابلس - دار الفكر ١٩٦٨) .

والتَّاسِعَة عَشْرَة : «البَهْشَمِيَّة» ، أتْبَاعُ أبي هاشِم عبد السَّلام بن أبي عليّ الجُبَّائي . وانفرد بِبِدَعٍ في مَقالاتِه ، منها : القَوْلُ باسْتِحْقاق الذَّمّ من غير ذَنْب . فزَعَمَ أنَّ القادِرَ مِنَّا يجوز أنْ يَخْلو عن الفِعْل والتَّرْك ، وأنَّ القادِرَ المأمورَ المَنْهي إذا لم يَفْعَل فِعْلًا ولا تَرَك ، ويكون عاصِيًا مستحقّ العِقاب والذَّمّ لا على الفِعْل لأنَّه لم يَفْعَل ما أُمِرَ به ، وأنَّ الله يعذِّب الكافِرين والعُصَاة لا على فِعْلٍ مُكْتَسَب ولا[a] مُحْدَثٍ منه .

وقال : التَّوْبَةُ لا تَصِحُّ من قَبيح ، مع الإصْرار على قُبْحٍ آخر يَعْمَلُه[b] أو يعتقده قَبيحًا وإن كان حَسَنًا ، وإنَّ التَّوْبَة لا تَصِحُّ مع الإصْرار على مَنْع حَسَنَةٍ واجِبَة عليه ، وإنَّ تَوْبَة الزَّاني بعد ضَعْفِه عن الجِماع لا تَصِح . وزَعَمَ أنَّ الطَّهارَة غير واجِبَة ، وإنَّما أُمِرَ العَبْدُ بالصَّلاةِ في حالِ كَوْنِه مُتَطَهِّرا ، وأنَّ الطَّهارَة تجزئ بالماء المَغْصوب ، ولا تُجْزِئ[c] في الأرْض المَغْصُوبة . وزَعَم أنَّ الزَّنْجَ والتُّرْكَ والهُنُود قادِرون على أن يأتوا بمِثْل هذا القُرْآن . وقال أبو علي وابنه أبو هاشِم : الإيمانُ هو الطَّاعات المَفْروضات[d] .

والفِرْقَةُ العِشْرون من المُعْتَزِلَة : «الشَّيْطانِيَّة» ، أتْبَاعُ محمد بن نُعْمان ـ المعروف بشَيْطان الطَّاق[1] ـ وهو من الرَّوافِض . شارَكَ كلًّا من المُعْتَزِلَة والرَّوافِض في بِدَعِهم ، وقَلَّما يُوجَد مُعْتَزِلي إلَّا وهو رافِضي إلَّا قليلًا منهم . وانْفَرَدَ بطامَّةٍ وهي[e] أنَّ الله لا يَعْلَم الشيء إلَّا ما قَدَّرَه وأرادَه ، وأمَّا قَبْل تَقْديره فيَسْتَحيلُ أن يَعْلَم ، ولو كان عالِمًا بأفْعالِ عِبادِه لاسْتَحالَ أن يَمْتَحِنهم ويَخْتَبِرَهم[f] .

---

a) بولاق : ولا على . b) بولاق : يعلمه . c) بولاق : ولا تجزئ الصلاة . d) بولاق : المفروضة .
e) النسخ : وهو . f) بولاق : ويختبرهم .

---

[1] انظر فيما يلي ٨٩.

وللمُعْتَزِلَة أَسامٍ أُخَر[a] منها : الثَّنَوِيَّة ؛ سُمُّوا بذلك لقولهم : الخَيْرُ من الله ، والشَّرُّ من العَبْد . ومنهم الكيسانِيَّة ، والمناكِتِيَّة ، والأَحْمَدِيَّة ، والوَهْمِيَّة ، والمُبْتَرِيَّة ، والواسِطِيَّة ، والوارِدِيَّة ؛ سُمُّوا بذلك لقَوْلِهم : لا يَدْخُل المؤمنون النَّار وإنَّما يَرِدُون عليها ، ومَنْ أُدْخِل النَّارَ لا يَخْرُج منها قَطّ . ومنهم الحَرْقِيَّة لقولهم : الكِعاب[b] لا تُحْرَق إلَّا مَرَّةً ، والمُفْنِيَّة القائلون بفَنَاء الجَنَّة والنَّار ، والواقِفِيَّة القائلون بالوَقْفِ في خَلْقِ القُرْآن . ومنهم اللَّفْظِيَّة القائِلون أَلْفاظُ القُرْآن غير مَخْلوقَة ، والمُلْتَزِقَة القائلون : الله تعالى[c] بكُلِّ مكان ، والقَبْرِيَّة القائلون: بإنْكارِ عَذابِ القَبْر .

الفِرْقَةُ الثانية
المُشَبِّهَة

وهم يَغْلون في إثْباتِ صِفاتِ الله تعالى ، ضِدّ المُعْتَزِلَة ، وهم سَبْعُ فِرَق :

الهِشامِيَّة : أَتْباعُ هِشام بنِ الحَكَم ، ويُقالُ لهم أيضًا الحَكَمِيَّة ، ومن قَوْلِهم : الإله تعالى كنُورِ السَّبيكَة الصَّافِيَة يَتَلألأ من جَوانِبِه . ويَرْمُون مُقاتِل بن سُلَيْمان بأنَّه قال : هو لَحْمٌ ودَمٌ على صُورَة الإنْسان ، وهو طَويلٌ عَرِيضٌ عَميقٌ ، وأنَّ طُولَه مثل عَرْضِه ، وعَرْضَه مثل عُمْقِه ، وهو ذو لَوْنٍ وطَعْمٍ ورائِحَة ، وهو سَبْعَة أَشْبارٍ بشِبْر نفسه . ولم يَصِحّ هذا القَوْل عن مُقاتِل .

والجَوْلَقِيَّة : أَتْباعُ هِشَام بن سالِم الجَوْلَقي ، وهو من الرَّافِضَة أيضًا . ومن شَنِيع أَقْوالِه : إنَّ الله تعالى على صُورَةِ الإنْسان ، نصفه الأعْلى مُجَوَّف ، ونصفه الأَسْفَل مُصْمَت ، وله شَعْرٌ أسْوَد ، وليس بلَحْمٍ ودَمٍ ، بل هو نُورٌ ساطِعٌ ، وله خَمْسُ حَواس كحَواسِّ الإنسان ، ويَدٌ ورِجْلٌ وفَمٌ وعَيْنٌ وأُذُنٌ وشعرٌ أسود ، إلَّا الفَرْج واللِّحْيَة .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : الكفار . c) ساقطة من بولاق .

والبَيانِيَّة : أَتْباعُ بَيان بن سَمْعان ، القائل : هو على صُورَة الإنْسَان ، ويَهْلِك كلّه إلَّا وَجْهُه ؛ لظاهِر الآية : ﴿كلُّ شيء هالِكٌ إلَّا وجْهُه﴾ [الآية ٨٨ سورة القصص] .

والمُغيرِيَّة : أتْباعُ مُغيرَة بن سَعيدِ العِجْلي ، وهو أيضًا من الرَّوافِض . ومن شَنائِعه قَوْله : إنَّ أعْضَاءَ مَعْبُودهم على صُورَةِ حُروفِ الهِجاء ، فالألف على صُورَة قَدَمَيْه . وزَعَمَ أنَّه رَجُلٌ من نُورٍ على رأسه تاجٌ من نُور ، وزَعَمَ أنَّ الله كَتَبَ بأَصْبُعه أعمالَ العِباد من طاعَةٍ ومَعْصِيَة ، ونَظَرَ فيهما وغَضِبَ من مَعاصيهم فعَرِقَ ، فاجْتَمَع من عَرَقِه بَحْران عَذْب ومالِح ، وزَعَمَ أنَّه بكلِّ مكانٍ لا يَخْلو عنه مَكان .

والمِنْهالِيَّة : أصْحَابُ مِنْهال بن مَيْمون .

والزُّرارِيَّة : أتْباعُ زُرارَة بن أَعْيَنَ .

واليُونُسِيَّة : أتْبَاعُ يُونُس بن عبد الرَّحْمن القُمِّي ، وكلُّهم من الرَّوافِض . وسيأتي ذكرهم إنْ شاءَ الله .

ومنهم أيضًا : السَّابِيَّة ، والشَّاكِيَّة ، والعملية والمُسْتَثنية ، والبِدْعِيَّة ، والحَشْرِية [a] ، والأثْرية .

ومنهم الكَرَّامِيَّة : أتْبَاعُ محمد بن كَرَّام السِّجْستاني [1] ، وهم طَوائِف : الهَيْصَمِيَّة ، والإسْحاقِيَّة ، والجُنْدِيَّة وغير ذلك . إلَّا أنهم يُعَدُّون فِرْقَةً واحِدة لأنَّ

---

a) بولاق : العشرية .

---

[1] توفِّيَ أبو عبد الله محمد بن كَرَّام السجستاني سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ، واختلف العلماء في ضَبْط كرام ، والأكثرون اتَّفَقُوا على أنَّه بفَتْح الكاف وتشديد الرَّاء (ابن الأثير : اللباب ٣: ٣٢؛ ابن حجر : لسان الميزان ٥: ٣٥٣؛ وانظر ترجمة ابن كَرَّام عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٤: ٣٧٥- ٣٧٧؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١: ٥٢٣- ٥٢٤؛ ابن حجر : لسان الميزان ٥: ٣٥٣- ٣٥٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٢٤؛ وفيما يلي ١٠٢) .

راجع كذلك الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٩٩- ١٠٤؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين=

بعضَهُم لا يُكَفِّر بعضًا وكلُّهم مُجَسِّمَة ، إلَّا أنَّ فيهم من قال : هو قائِمٌ بنفسه ، ومنهم من قال : هو أَجْزَاءٌ مؤتلفة ، وله جِهاتٌ ونهايات .

ومن قَوْلِ «الكَـرَّامِيَّة» : إنَّ الإيمان هو قَوْلٌ مُفْرَد ، وهو قَوْلُ « لا إله إلَّا الله » ، وسَوَاء اعْتَقَدَ أو لا . وزَعَمُوا أنَّ الله جِسْمٌ ، وله حَدٌّ ونهاية من جهة السُّفْل ، وتَجُوزُ عليه مُلاقاة الأجْسام التي تحته ، وأنَّه على العَرْشِ والعَرْش مُمَاسّ له ، وأنَّه مَحَلّ الحَوادِث من القَوْلِ والإرادَة والإدْراكات والمَرْئيات والمَسْمُوعات ، وأنَّ الله لو عَلِمَ أحدًا من عِبادِه لا يُؤمِن به لكان خَلْقُه إيَّاهُم عَبَثًا ، وأنَّه يجوز أنْ يَعْزِل نَبيًّا من الأنبياء والرُّسُل ، ويجوز عندهم على الأنبياءِ كلُّ ذَنْبٍ لا يوجب حَدًّا ولا يُسْقِط عَدالَة ، وأنَّه يَجِب على الله تَواتُرُ الرُّسُل ، وأنَّه يجوز أن يكون إمامان في وَقْتٍ واحِدٍ ، وأنَّ عَلِيًّا ومُعاوية كانا إمامَيْن في وَقْتٍ واحد ، إلَّا أنَّ عَلِيًّا كان على السُّنَّة ومُعاوية على خِلافِها .

وانْفَرَدَ ابنُ كَرَّام في الفِقْه بأشْياءَ ، منها : أنَّ المُسافِرَ يكفيه من صَلاةِ الخَوْفِ تكبيرتان ، وأجازَ الصَّلاةَ في ثَوْبٍ مستغرق في النَّجاسَة . وزَعَمَ أنَّ الصَّلاةَ والصَّوْمَ والزَّكاةَ والحَجَّ وسائِرَ العِبادات تَصِحُّ بغير نِيَّة ، وتَكْفِي نِيَّةُ الإسْلام ، وأنَّ النِّيَّةَ تَجِبُ في النَّوافِل ، وأنَّه يَجُوز الخُرُوجُ من الصَّلاةِ بالأكْلِ والشُّرْب والجِماع عَمْدًا ثم البِناءِ عليها . وزَعَمَ بعضُ الكَرَّامِيَّة أنَّ لله عِلْمَيْنِ : أحَدُهُما يَعْلَم به جَميع المعلومات ، والآخر يَعْلَم به العِلْمَ الأوَّل .

= ١٤١؛ C.E. Bosworth, *EI*[2] art. *Karrâmiyya* IV, pp. 694-96.

الفِرقةُ الثالثة
القـدريّـة

الغُلاةُ في إِثْبات القُدْرَة للعَبْدِ في إثباتِ الخَـلْقِ والإيجاد ، وأنَّه لا يَحْتاجُ في ذلك إلى مُعاوَنَةٍ من جِهَة الله تعالى .

الفِرقةُ الرابعة
المُـجْـبـرة

الغُلاةُ في نَفْيِ اسْتِطاعَةِ العَبْدِ قبل الفِعْل وبعده ومعه ، ونَفْيِ الاخْتيار له ، ونَفْيِ الكَسْب [١].

وهاتان الفِرْقَتان مُتَضادَّتان ، ثم افْتَرَقَتِ المُجْبِرَة على ثلاثِ فِرَق :

الجَهْمِيَّة : أَتْباعُ جَهْم بن صَفْوانِ التِّرْمِذي ، مَوْلَى راسِب ، وقُتِل في آخِر دَوْلَة بني أُمَيَّة . وهو يَنْفي الصِّفات الإلهية كلَّها ، ويقول : لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الباري تعالى بصِفَةٍ يُوصَف بها خَلْقُه ، وأنَّ الإنْسانَ لا يَقْدر على شيءٍ ، ولا يُوصَفُ بالقُدْرَة ولا الاسْتِطاعَة ، وأنَّ الجَنَّة والنَّار يَفْنيان وتَنْقَطِع حَرَكاتُ أَهْلِهِما ، وأنَّ من عَرَفَ الله ولم يَنْطِق بالإيمان لم يَكْفُر ؛ لأنَّ العِلْمَ لا يزول بالصَّمْتِ ، وهو مؤمن مع ذلك [٢].

---

[١] راجع عن المُجبِرَه W. Montgomery Watt, *EI*² art. *Djabriyya* II, p. 375.

[٢] راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٧ ، الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٨٦ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢١١ - ٢١٢ ؛ W. Montgomery Watt, *EI*² art. *Djahm b. Safwân, Djahmiyya* II, pp. 398-99.

وقد كَفَّره المُعْتَزِلَةُ في نَفْي الاسْتِطاعَة ، وكَفَّرَه أهْلُ السُّنَّة بنَفْي الصِّفَات وخَلْقِ القُرْآن ونَفْي الرُّؤْيَة . وانْفَرَد بجَوازِ الخُروج على السُّلْطانِ الجائِر ، وزَعَمَ أنَّ عِلْمَ الله حادِثٌ لا بصِفَةٍ يُوصَف بها غيره .

والبَكْرِيَّةُ : أَتْباعُ بَكْر ، ابن أخت عبد الواحِد [1] ، وهو يُوافِق النَّظَّام في أنَّ الإنسانَ هو الرُّوح ، ويزعم أنَّ الباري تعالى يُرَى في القِيامَة في صُورَةٍ يَخْلقها ويُكَلِّم النَّاسَ منها ، وأنَّ صاحِبَ الكبيرة مُنافِقٌ في الدَّرْك الأَسْفَل من النَّار ، وحالَه أسْوأ من حالِ الكافِر . وحَرَّمَ أكْل الثَّوم والبَصَل ، وأَوْجَب الوُضُوءَ من قَرْقَرة البَطْن .

والضِّرارِيَّة : أَتْباعُ ضِرار بن عُمَر . وانْفَرَدَ بأشياءَ منها : أنَّ الله تعالى يُرَى في القِيامَة بحاسَّةٍ زائدةٍ سادِسَة ، وأنكر قِراءَة ابن مَسْعُودٍ ، وشَكَّ في دِين عامَّة المسلمين وقال : لعلَّهم كُفَّار ، وزَعَم أنَّ الجِسْمَ أعْراض مجتمعة كما قالت النَّجَّارية [2] .

ومن جملة المُجْبِرَة البَطِّيخِيَّة أتْباعُ إسماعيل البَطِّيخي ، والصَّبّاحِيَّة أتْباعُ أبي صَبَّاح بن مَعْمَر ، والفِكْرية ، والخَوْفية .

الفِرقَةُ الخَامِسَة
المُرجِئَة

الإرْجاءُ إمَّا مُشْتَقٌّ من الرَّجاء ؛ لأنَّ المُرْجِئَة يَرْجُون لأصْحابِ المعاصي الثَّوابَ من الله تعالى ، فيقولون : لا يَضُرُّ مع الإيمان مَعْصِيَة ، كما أنَّه لا يَنْفَعُ مع الكُفْرِ

---

[1] راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٩ - ١١٠ ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٨٦- ٢٨٧ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ٢١٢- ٢١٣.

[2] راجع الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٥- ١٠٦ ؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٨١- ٢٨٢ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢١٣- ٢١٤.

طاعة . أو يكون مُشْتَقًّا من الإرْجاء ، وهو التأخير ، لأنَّهم أخَّروا حُكْمَ أصْحابِ الكَبائِر إلى الآخرة [١].

وحَقيقَةُ المُرْجِئة أنَّهم الغُلاةُ في إثْباتِ الوَعْدِ والرَّجاء ، ونَفْيِ الوَعيد والخَوْف عن المؤمنين . وهم ثَلاثَة أصْنافٍ : صِنفٌ جَمَعوا بين الرَّجاء والقَدَر ، وهم غَيْلان [٢] وأبو شَمِر من بني حَنيفَة . وصِنْفٌ جَمَعُوا بين الإرْجاء والجَبْر ، مثل جَهْم بن صَفْوان . وصِنْفٌ قال بالإرْجاءِ المَحْض .

وهم أرْبَعُ فِرَقٍ :

اليُونُسِيَّة : أتْباعُ يُونُس بن عَمْرو ، وهو غير يُونُس بن عبد الرَّحْمَن القُمِّي الرّافِضي . زَعَمَ أنَّ الإيمانَ معرفة الله والخُضوع له ، والمحبّة ، والإقْرار بأنَّه واحِدٌ ليس كمِثْلِه شيءٌ .

والغَسّانِيَّة : أتْباعُ غَسّان بن أبانِ الكُوفي ، المُنْكِر نُبُوَّة عيسىٰ عليه السَّلام ، وتَلْمَذَ لمحمدِ بن الحَسَن الشَّيْباني ، ومَذْهَبُه في الإيمان كمَذْهَب يُونُس ؛ إلّا أنَّه يقول : كلُّ خَصْلَةٍ من خِصالِ الإيمان تُسَمَّى بعض الإيمان ، ويُونُس يقول : كلُّ خَصْلَةٍ ليست بإيمانٍ ولا بَعْض إيمان .

وزَعَمَ غَسّان أنَّ الإيمانَ لا يَزيدُ ولا يَنْقُص . وعند أبي حَنيفَة ، رَحِمَهُ الله ، الإيمانُ مَعْرِفَةٌ بالقَلْب وإقْرارٌ باللِّسان ، فلا يَزيد ولا يَنْقُص كقُرْصِ الشَّمْس .

---

[١] راجع عن المُرْجِئة ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٣٢–١٥٤ ، الإسفراييني : التبصير في الدين ٩٧–٩٩ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٠٢–٢٠٧ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١٢٥–١٣٠. J. VAN ESS, «Das Kitâb al-Irgâ' des Hasan b. Muhammud b. al-Hanafiyya», *Arabica* XXI (1974), pp. 20-52; W. MADELUNG, *EI*[2] art. *Murdji'a* VII, pp. 605-7.

[٢] حاشية بخط المؤلف : «غيلان بن مُسْلِم أبو مروان ، أخذ عن الرَّبيع بن حطّان والوُضَيْن ... بن عطاء وهما من أهل اليمن ، وهو أوَّل من تكَلَّم في الأرض ، وكان يكتب لبني أُمَيَّة وهو من مواليهم وكان فصيحًا واعظًا ، وهو وعبد الحميد ابن يحيى طرقا للناس طريق البلاغَة في التَّرَسُّل والمواعظ ، وضَرَبَه هِشام وقَطَع يديه ورجليه فمات في سنة ....».

والثَّوْبانِيَّة : أَتْبَاعُ ثَوْبَان المُرجئ ، ثم الخَارِجي المُعْتزِلي ، وكان يُقالُ له جَامِعُ النَّقائِض ، هاجِرُ الخَصَائِص . ومن قَوْلِه : الإيمانُ هو المعرفة والإقْرار ، والإيمانُ فِعْلُ ما يجب في العَقْلِ فِعْله . فأَوْجَبَ الإيمانَ بالعَقْل قبل وُرُود الشَّرْع ، وفارَقَ الغَسَّانية واليُونُسية في ذلك .

والتُّوْمَنِيَّة : أَتْباعُ أبي مُعَاذ التُّوْمَني الفَيْلسوف . زَعَمَ أنَّ من تَرَكَ فَريضَةً لا يُقالُ له فاسِقٌ على الإطْلاق ، ولكنَّ تَرْكَ الفَريضَة فِسْقٌ . وزَعَمَ أنَّ هذه الخِصَال التي تكون جملتها إيمانًا ، فواحِدةٌ ليست بإيمان ولا بعض إيمان ، وأنَّ من قَتَلَ نَبِيًّا كَفَرَ لا لأَجْلِ القَتْلِ ، بل لاسْتِخْفافِه به وبُغْضِه له .

ومن فِرَقِ المُرْجِئَة : المَرِيسِيَّة أَتْباعُ بِشْر بن غَيَّاث المريسي [1]. كان عِراقِي المَذْهَب في الفِقْه ، تِلْميذًا للقاضي أبي يُوسُف يَعْقُوب الحَضْرَمي ، وقال بنَفْي الصِّفات وخَلْق القُرْآن ، فأكفرته الصِّفاتِيَّة بذلك . وزَعَمَ أنَّ أفْعالَ العِبادِ مَخْلوقَة لله تعالى ، ولا اسْتِطاعَة مع الفِعْل ، فأَكْفَرَتْه المُعْتَزِلَةُ بذلك . وزَعَمَ أنَّ الإيمانَ هو التَّصْديقُ بالقَلْب ، وهو مَذْهَبُ ابن الرِّيوَنْدي .

ولمَّا نَاظَره الشَّافِعِيُّ في مسألة خَلْق القُرْآن ونَفْي الصِّفات ، قال له : نِصْفُك كافِرٌ لقَوْلِك بخَلْقِ القُرْآن ونَفْي الصِّفات ، ونِصْفُك مُؤْمنٌ لقَوْلك بالقَضَاءِ والقَدَرِ وخَلْقِ اكْتِساب العِباد . وبِشْرٌ مَعْدُودٌ من المُعْتَزِلَة لنَفْيِه الصِّفات ، وقَوْلِه بخَلْقِ القُرْآن .

ومن فِرَقِ المُرْجِئَة : الصَّالِحِيَّة أَتْبَاعُ صَالِح بن عَمْرو بن صَالِح ، والجَحْدَرِيَّة أَتْباعُ جَحْدَر بن محمد التَّميمي ، والزِّيادِيَّة أَتْباعُ محمد بن زِيادِ الكُوفي ، والشَّبيبِيَّة أَتْباعُ محمد بن شبيب ، والنَّاقِضِيَّة ، والبَهْشَمِيَّة .

---

[1] حاشية بخَطِّ المُؤلِّف : «بِشْرُ بن غَيَّاث أبو عبد الرَّحْمَن المَرِيسي مَوْلى زَيْد بن الخَطَّاب ، وقيل مولى بني نَهْد ، توفِّي سنة ثمان عشر أو تسع عشر ومائتين . وله نحو عشرين مُصَنَّفًا ، وله شِعْرٌ ، وكان يتدَيَّن ويَتَوَرَّع ، وله قَدْرٌ عند الخُلَفَاء والملوك» وكان يَشْرَب النَّبيذ» .

ومن المُرْجِئة جماعةٌ من الأئِمّة : كسَعيدِ بن جُبَيْر ، وطَلْق بن حَبيب ، وعَمْرو ابن مُرّة ، ومُحارِب بن دِثار ، وعَمْرو بن ذَرّ ، وحَمّاد بن سليمان ، وأبي مُقاتِل . وخالَفُوا القَدَرِيّة والخَوارِج والمُرْجِئة في أنّهم لم يُكَفِّروا بالكَبائِر ، ولا حَكَمُوا بتَخْليدِ مُرْتَكِبها في النّار ، ولا سَبُّوا أحَدًا من الصَّحابَة ، ولا وَقَعُوا فيهم .

وأَوّلُ من وَضَعَ الإرْجاءَ أبو محمد الحَسَن بن محمد ـ المعروف بابن الحَنَفيّة ـ ابن علي بن أبي طالبٍ ، وتكلّم فيه [١]. وصارَتِ المُرْجِئةُ بعده أربعة أنْواع : الأوّلُ مُرْجِئةُ الخَوارِج ، الثّاني مُرْجِئةُ القَدَرِيّة ، الثّالِث مُرْجِئةُ الجَبْرِيّة ، الرّابع مُرْجِئةُ الصّالِحِيّة .

وكان الحَسَنُ بن محمد ابن الحَنَفِيّة يَكْتُب كُتُبَه إلى الأمْصار يَدْعُو إلى الإرْجاء . إلّا أنّه لم يُؤَخّر العَمَلَ عن الإيمـان كما قال بعضُهم ، بل قال : أداءُ الطاعاتِ وتَرْكُ المعاصي ليس من الإيمان ، [a]وأنّ الإيمان[a] لا يزول بزَوالِها .

وقال ابنُ قُتَيْبَة : أوّلُ من وَضَعَ الإرْجاءَ بالبَصْرَة حَسّانَ بن بِلال بن الحارِث المُزَني [٢]. وذَكَرَ بعضُهم أنّ أوّلَ من وَضَعَ الإرْجاءَ أبا سَلَمَة[b] السَّمّان ، وماتَ سنة اثنتين وخمسين ومائة .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : سلت .

---

[١] W. MADELUNG, «The Early Murji'a in Khurâsân and Transoxania and the Spread of Hanafism», *Der Islam* LIX (1982), pp. 32-39.

[٢] ابن قتيبة : المعارف ٢٩٨.

الفِرقَةُ السَّادِسَة
الحَرُورِيَّة

الغُلاةُ في إثْباتِ الوَعيد والخَوْفِ على المؤمنين، والتَّخْليد في النَّار مع وُجودِ الإيمان. وهم قَوْمٌ من النَّواصِب الخَوارِج، وهم مُضَادُّون المُرْجِئَة في النَّفْي والإثْبات، والوَعْدِ والوَعيد [١].

ومن مُفْرداتهم أنَّ مِن ارْتَكَبَ كبيرةً فهو مُشْرِكٌ؛ ومَذْهَبُ عامَّةِ الخَوارِج أنَّه كافِرٌ وليس بِمُشْرِك، وقال بعضُهم: هو مُنافِقٌ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النَّار. فعند الحَرُورِيَّة أنَّ الاسْم يَتَغَيَّر بارتكابِ الكبيرة الواحدة، فلا يُسَمَّى مُؤْمِنًا بل كافِرًا مُشْرِكًا، والحُكْمُ فيه أنَّه يُخَلَّد في النَّار، واتَّفَقُوا على أنَّ الإيمانَ هو اجْتِنابُ كلِّ مَعْصِيَة.

وقيل لهم الحَرُورِيَّة؛ لأنَّهم خَرَجُوا إلى حَرُورَاء لِقتالِ عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - وعِدَّتهم اثنا عشر ألفًا، ثم سارَ عليٌّ - رضي الله عنه - إليهم وناظَرَهم، ثم قاتَلَهم وهم أربعة آلاف، فانْضَمَّ إليهم جَمَاعَةٌ حتى بَلَغُوا اثني عشر ألفًا.

---

[١] الحَرورية نسبة إلى حَرُوراء (لا حَرَوْراء كما يذكر ياقوت) إحدى كُوَر مدينة الكوفَة (راجع، النوبختي: فرق الشيعة ٦، ١٤-١٥؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٢٧-١٢٨؛ L. Veccia Vaglieri, *EI*[2] art. *Harûrâ'* III, pp. 242-243).

الفِرْقَةُ السَّابِعَة
النَّجَّارِيَّة

أَتْبَاعُ الحَسَن بن محمد بن عبد الله النَّجَّار ، أبي عبد الله . كان حائِكًا ، وقيل إِنَّه كان يعمل المَوَازين ، وإِنَّه كان من أَهْلِ قُمّ ، كان من جُلَّة[a] المُجْبِرَة ومُتَكَلِّمِيهم ، وله مع النَّظَّام عِدَّةُ مُناظِرَات : منها أَنَّه ناظَرَه مَرَّةً ، فلمَّا لم يَلْحَن بحُجَّته رَفَسَه النَّظَّام ، وقال له : قُمْ أَخْزَى الله مَنْ يَنْسُبُك إلى شيءٍ من العِلْم والفَهْم . فانْصَرَفَ مَحْمُومًا ، واعْتَلَّ حتى مات [b]في [b].

وهم أكثر مُعْتَزِلَة الرَّيّ وجِهاتِها ، وهم يُوافِقون أَهْلَ السُّنَّة في مسأَلةِ القَضَاءِ والقَدَرِ ، واكْتِساب العِبادِ ، وفي الوَعْدِ والوَعيد ، وإمامَةِ أبي بَكْر - رضي الله عنه - ويُوافِقُون المُعْتَزِلَة في نَفْي الصِّفات ، وخَلْقِ القُرآن ، وفي الرُّؤْيَة ، وهم ثَلاثُ فِرَقٍ : البَرْغُوثِيَّة ، والزَّعْفَرانِيَّة ، والمُسْتَدْرِكَة [1].

الفِرْقَةُ الثَّامِنَة
الجَهْمِيَّة

أَتْبَاعُ جَهْم بن صَفْوان [2]، وهم يُوافِقون أَهْلَ السُّنَّة في مسأَلةِ القَضَاءِ والقَدَرِ مع مَيْلٍ إلى الجَبْر ، ويَنْفُون الصِّفات والرُّؤْيَة ، ويقولون بخَلْقِ القُرْآن .

---

a) بولاق : جمله . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[1] راجع عن النَّجَّارية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢١١ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٨١ - ٨٢ . الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠١ - ١٠٣ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٠٧ - ٢١١ ؛

[2] حاشية بخط المؤلِّف : «جَهْم بن صَفْوان أبو مُحْرِز ، كاتب الحارث بن سُرَيْج التَّميمي القائم=

وهم فِرْقَةٌ عَظيمَةٌ عِدادُهم في المُعَطِّلَة المُجْبِرَة .

الفِرْقَةُ التّاسِعَة
الـرّوافِـض

الغُلاةُ في حُبِّ عليّ بن أبي طالِب ، وبُغْضِ أبي بَكْر وعُمَر وعُثْمان وعائِشَة ومُعاوِيَة في آخَرين من الصَّحابة ، رضي الله عنهم أجمعين . وسُمُّوا رافِضَةً لأنَّ زَيْدَ ابن عليّ بن الحُسَيْنِ بن عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ امْتَنَعَ من لَعْنِ أبي بَكْر وعُمَر ـ رضي الله عنهما ـ وقال : هما وَزيرا جَدِّي مُحَمَّد ﷺ فرَفَضُوا رأيه . ومنهم من قال : لأنَّهم رَفَضُوا رأي الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ حيث بايَعُوا أبا بكرٍ وعُمَر ، رضي الله عنهما [١] .

=بخُراسان أيّام نَصْر ابن سَيّار ، وكان من أهْلِ تِرْمِذ خَرَج مع الحارِث بن سُرَيْج يَنْتحل الأمْرَ بالمعروف والنَّهي عن المُنْكر ، فقُتِل في آخِر مُلْك بني أُمَيَّة . له أرْبع مُصَنَّفات وتَوَلّى قَتْلَه سَلْمُ بن أحْوَز بن أربد ابن مُحْرِز بن لابي بن سحير بن خباب بن حَجَبة بن كاميه بعدما أسَرَه فَضَرَب عُنُقَه صَبْرًا» .

أقول : قُتِل سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م ، راجع ، الطبري : تاريخ ٧: ٣٣٠- ٣٣٢؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٧٩- ٨١؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦- ٢٧؛ W. MONTGOMERY WATT, *EI*² art. *Djahm b. Safwân* II, p. 398.

وراجع عن الجَهْمِيَّة ، أحمد بن حنبل : الرَّدّ على الزَّنادِقة والجهمية ، القاهرة د.ت ؛ أبو سعيد الدارمي : كتاب الرَّدّ على الجهمية ، نشره G. VITESTAM في ليدن سنة ١٩٦٠؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٧٩- ٢٨٠؛ الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٧- ١٠٨؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢١١- ٢١٢؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ٧٩- ٨١؛ W. MONTGOMERY WATT, *EI*² art. *Djahmiyya* II, pp. 398-99.

[١] راجع عن الرّافِضَة (الرّوافِض) ، الذين رَفَضوا إمامة أبي بَكْرٍ وعمر ، وهم كلُّ الشِّيعة عدا الزَّيْدِيَّة ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٦- ٦٤؛ الإسفراييني : التبصير في الدين ٢٧- ٤٣؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٧- ٧٢؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٤٤- ١٦٩؛=

وقد اخْتَلَفَ النَّاسُ في الإمامِ بعد رَسُولِ الله ﷺ : فذَهَبَ الجُمْهُورُ إلى أنَّه أبو بكرٍ الصِّدِّيق، رضي الله عنه. وقال العَبَّاسِيَّة والرِّيوَنْدِيَّة[a] أَتْباعُ أبي هُرَيْرَة الرِّيوَنْدي[b] ـ وقيل أَتْباعُ أبي العَبَّاس الرِّيوَنْدي[b] ـ هو العَبَّاسُ بن عبد المُطَّلِب ـ رضي الله عنه ـ لأنَّه العَمّ والوارِثِ، فهو أَحَقُّ من ابن العَمّ. وقال العُثْمانِيَّة وبنو أُمَيَّة : هو عُثْمانُ بن عَفَّان، رضي الله تعالى عنه. وذَهَبَ آخرون إلى غير ذلك. وقال الرَّافِضَةُ : هو عليُّ بن أبي طالب.

ثم اخْتَلَفُوا في الإمامَة اخْتلافًا كثيرًا حتى بَلَغَت فِرَقُهُم ثلاث مائة فِرْقَة [1]، والمشهور منها عشرون فِرْقَة أَمْثَلُها[c]: «الزَّيْدِيَّة» و«الصَّبَّاحِيَّة» ؛ لإقْرارهم[d] بإمامَة أبي بَكْر ـ رضي الله عنه ـ وأنَّه[e] لا نَصَّ في إمامَة عليّ ـ رضي الله عنه ـ واخْتَلَفُوا في إمامَة عُثْمان ـ رضي الله عنه : فأنْكَرَها بعضُهم، وأَقَرَّ بعضُهم أنَّه الإمام بعد عُمَر بن الخَطَّابِ، رضي الله عنه، لكن قالوا : عليٌّ أَفْضَل من أبي بَكْر، وإمامَةُ المَفْضُول جائِزَة.

وقال الغُلاةُ : الإمامُ[c] هو عليٌّ بالنَّصّ، ثم الحَسَن وبعده الحُسَيْن، وصارَ بعد الحُسَيْن الأَمْرُ شُورَى. وقال بعضُهم : لم يَرِد النَّصُّ إلَّا بإمامَة عليٍّ فقط، وقال آخرون : نُصَّ على عليٍّ بالوَصْف لا بالعَيْن والاسْم، وقال بعضُهم : قد جاءَ النَّصُّ على إمامَة اثْنَي عَشَر آخِرُهم المَهْدي المُنْتَظَر.

---

a) بولاق : الربوبدية . b) بولاق : الربوبدي . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : أقرُّوا . e) بولاق : ورأوا أنه .

=نشوان الحميري : الحور العين ١٥٤- ١٧٠، ١٧٨- ١٨٩؛ W. MONTGOMERY WATT, «The Rafidites. Preliminary Study», *Oriens* 16 (1963), pp. 110-121; E. KOHLBERG, *EI* [2] art. *Rafida/Rawâfid* VIII, pp. 400-2.

[1] راجع في الخلاف حَوْل الإمامة، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١- ٥؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٠- ١٥٤، ٢١٢- ٢١٥؛ W. MADELUNG, *EI* [2] art. *Imâma* III, pp.1192-98.

وفِرَقُهُم العِشْرون هي :

«الإمـامِيَّةُ» - وهم مُخْتَلِفُون في الإمامَة بعد رَسُولِ الله ﷺ. فزَعَمَ أكثرُهم أنَّ الإمامَة في عليّ بن أبي طالِب وأوْلادِه بنَصِّ النَّبي ﷺ، وأنَّ الصَّحابَة كلَّهم قد ارْتَدُّوا إلَّا عَلِيًا وابنيه الحَسَن والحُسَيْن وأبا ذَرّ الغِفاري وسَلْمان الفارِسي وطائِفة يَسيرة. وأَوَّلُ من تكلَّم في مَذْهَب الإماميَّة عليُّ بن إسْماعيل بن هَيْثَم[a] التَّمَّار، وكان من أصْحابِ عليِّ بن أبي طالِب [١].

وذَهَبَتِ «القَطْعِيَّة» منهم إلى أنَّ الإمامةَ في عليّ، ثم في الحَسَن، ثم في الحُسَيْن، ثم في عليّ بن الحُسَيْن، ثم في محمَّد بن علي، ثم في جَعْفَر بن محمَّد، ثم في مُوسَىٰ بن جَعْفَر، ثم في عليّ بن مُوسَىٰ. وقَطَعُوا الإمامَة عليه، فسُمُّوا «القَطْعِيَّة» لذلك، ولم يُثْبِتُوا[b] إمامَة محمَّد [c]بن علي[c] بن مُوسَىٰ ولا إمامَة الحُسَيْن بن محمَّد بن عليّ بن مُوسَىٰ [٢].

وقالتِ «النَّاووسِيَّة»: جَعْفَرُ بن محمَّد لم يَمُت، وهو حيٌّ يُنْتَظَر [٣].

وقالت «المُبَارَكيَّة» أتْباعُ مُبارَك: الإمامُ بعد جَعْفَر بن محمَّد ابنُه إسْماعيل بن جَعْفَر، ثم محمَّد بن إسْماعيل [٤].

وقالتِ «الشُّمَيْطيةُ» أتْباعُ يحيى بن شُمَيْط الأحْمُسي - كان مع المُخْتار قائِدًا من قُوَّاده، فأنْفَذَه أميرًا على جَيْشِ البَصْرَة يُقاتِل مُصْعَب بن الزُّبَيْر

---

a) بولاق: هيتم. b) بولاق: يكتبوا. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[١] راجع عن الإمامية، الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٤٤- ١٥٤؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٥٣- ٧١.

[٢] الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٧- ١٨؛ ٣٠- ٣١؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٦٤- ٦٥.

[٣] نفسه ٢٥.

[٤] نفسه ٢٦- ٢٧.

فقُتِل بالمَذار ـ الإمامَةُ بعد جَعْفَر في ابنه محمد وأوْلادِه [١].

وقالتِ « المَعْمَرِيَّة » أتبَاعُ مَعْمَر : الإمامَةُ بعد جَعْفَر في ابنه عبد الله بن جَعْفَر وأوْلادِه . ويُقالُ لهم « القَطْحِيَّة » [a]، لأنَّ عبد الله بن جَعْفَر كان أَفْطَح [b] الرِّجلين [٢].

وقالت « الواقِفِيَّة » : الإمامُ بعد جَعْفَر ابنه مُوسَىٰ بن جَعْفَر ، وهو حَيٌّ لم يَمُت ، وهو الإمامُ المُنْتَظَر . وسُمُّوا « الواقِفِيَّة » لوُقوفِهم على إمامَة مُوسَىٰ [٣].

وقالت « الزُّرارِيَّة » أتْبَاعُ زُرارَة بن أَعْيَن : الإمامُ بعد جَعْفَرَ ابنه عبد الله ، إلَّا أنَّه سأله عن مَسائِلَ فلم يُمْكِنه الجَواب عنها ، فادَّعى إمامَة مُوسَىٰ بن جَعْفَر من بعد أبيه [٤].

وقالت « المُفَضَّلِيَّة » أتْباعُ المُفَضَّل بن عَمْرو : الإمامُ بعد جَعْفَر ابنه مُوسَىٰ ، وأنَّه ماتَ فانْتَقَلَتِ الإمامَةُ إلى ابنه محمد بن مُوسَىٰ [٥].

وقالتِ « المُفَوِّضَةُ » من الإمامِيَّة : إنَّ الله تعالى خَلَقَ محمدًا ، ﷺ ، وفَوَّضَ إليه خَلْقَ العالم وتَدْبيره . وقال بعضُهم : بل فَوَّضَ ذلك إلى عليّ بن أبي طالِب .

والفِرْقَةُ الثانِيَةُ من فِرَق الرَّوافِض :

الكَيْسانِيَّة ـ أتْباعُ كَيْسان مَوْلَى عليّ بن أبي طالِب ، وأَخَذ عن محمَّد ابن الحَنَفِيَّة ـ وقيل بل كَيْسان اسم المُخْتار بن عُبَيْد الثَّقَفِي الذي قامَ لأَخْذ ثأر

---

a) بولاق : الفطحية . b) بولاق : أفطح .

---

[١] الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٧، وهو فيه يحيى بن أبي سُمَيْط ؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٦٣.

[٢] نفسه ٢٧ - ٢٨، وفيه «العَمَّارية» واسم رئيسهم عَمَّار .

[٣] نفسه ٢٨.

[٤] نفسه ٢٨.

[٥] نفسه ٢٩، وهو فيه : المُفَضَّل بن عمر ، ويدعون كذلك «الموسائية» لقولهم بإمامة موسى بن جعفر .

الحُسَيْن - رضي الله عنه - زَعَمُوا أنَّ الإمامَ بعد عليّ ابنه محمَّد ابن الحَنَفِيَّة ، لأنَّه أعْطاه الرَّايَة يوم الجَمَل ، ولأنَّ الحُسَيْن أَوْصَى إليه عند خُروجِه إلى الكُوفَة [1].

ثم اخْتَلَفُوا في الإمام بعد ابن الحَنَفِيَّة ، فقال بعضُهم : رَجَعَ الأَمْرُ بعده إلى أوْلادِ الحَسَن والحُسَيْن ، وقيل بل انْتَقَلَ إلى أبي هاشِم عبد الله بن محمد بن الحَنَفِيَّة . وقالتِ الكَرْبية أتباع أبي كَرِب بأنَّ ابن الحَنَفِيَّة حَيٌّ لم يَمُت ، وهو الإمام المُنْتَظَر . ومن قَوْلِ الكَيْسانِيَّة أنَّ البِدَا جائِزٌ على الله ، وهو كُفْرٌ صَريح .

والفِرْقَةُ الثَّالِثَة :

الخَطَّابِيَّة - أَتْباعُ أبي الخَطَّاب محمد بن أبي ثَوْر - وقيل محمَّد بن أبي يَزيد - الأَجْدَع . ومَذْهَبُه الغُلُوُّ في جَعْفَر بن محمد الصَّادِق ، وهو أيضًا من المُشَبِّهة ، وأتباعُه خمسون فِرْقَة ، وكلُّهم مُتَّفِقون على أنَّ الأئِمَّة - مثل عليّ وأوْلادِه - كلّهم أنْبياء ، وأنَّه لا بُدَّ من رَسُولَيْن لكلِّ أُمَّةٍ : أحَدُهُما ناطِقٌ ، والآخَر صَامِتٌ ، فكان محمَّدٌ ناطِقًا ، وعليٌّ صَامِتًا ، وأنَّ جَعْفَر بن محمَّد الصَّادِق كان نَبِيًّا ، ثم انْتَقَلَتِ النُّبُوَّةُ إلى أبي الخَطَّاب الأَجْدَع ، وجَوَّزُوا كلُّهم شَهادَة الزُّور لموافقيهم ، وزَعَمُوا أنَّهم عالمون بما هو كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة [2].

---

[1] راجع عن الكَيْسانية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٨– ٢٣؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٨– ٥٣؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٣١– ١٣٧؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٧– ١٦٢؛ وداد القاضي : الكيسانية في التاريخ والأدب ، بيروت - دار الثقافة ١٩٧٤؛ W. MADELUNG, *EI*² art. *Kaysâniyya* IV, pp. 869-71.

[2] راجع عن الخَطَّابِيَّة ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٠– ١٣؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٦٦– ١٧٠؛ W. MADELUNG, *EI*² art. *Khattabiyya* IV, pp. 1163-64.

وقالتِ «المَعْمَرِيَّةُ» منهم: الإمامُ بعد أبي الخَطَّاب رَجُلٌ اسمه مَعْمَر[a]، وزَعَمُوا أنَّ الدُّنيا لا تَفْنَى، وأنَّ الجَنَّة هي ما يُصيبُه الإنسانُ من الخَيْر في الدُّنْيا، والنَّارَ ضِدّ ذلك. وأباحُوا شُرْبَ الخَمْر والزِّنَى وسائِر المحَرَّمات، ودَانُوا بتَرْكِ الصَّلاة، وقالوا بالتَّناسُخ، وأنَّ النَّاسَ لا يَمُوتُون وإنَّما تُرْفَع أرْواحُهم إلى غيرهم.

وقالتِ «البَزِيغِيَّةُ» منهم: إنَّ جَعْفَر بن محمَّد إله، وليس هو الذي يراه النَّاسُ وإنَّما تَشَبَّه على النَّاسِ، وزَعَمُوا أنَّ كُلَّ مُؤْمِن يُوحَى إليه، وأنَّ منهم من هو خَيْرٌ من جِبْرِيل وميكائيل ومحمَّد ﷺ، وزَعَمُوا أنَّهم يَرَوْن أمْواتَهم بُكْرَةً وعَشِيًّا.

وقالت «العُمَيْرِيَّة» منهم، أتْباعُ عُمَيْر بن بَيَان العِجْلي، مثل ذلك كلّه، وخالفُوهم في أنَّ النَّاسَ لا يَمُوتُون.

وافْتَرَقَتِ «الخَطَّابِيَّةُ» بعد قَتْلِ أبي الخَطَّاب فِرَقًا: منها فِرْقَةٌ زَعَمَت أنَّ الإمامَ بعد أبي الخَطَّاب، عُمَيْر بن بَيَان العِجْلي، ومقالتهم كمقالة البَزِيغِيَّة، إلَّا أنَّ هؤلاء اعْتَرَفُوا بمَوْتِهم، ونَصَبُوا خَيْمَةً على كُناسَة الكُوفَة يجتمعون فيها على عِبادَة جَعْفَر الصَّادِق. فبَلَغَ ذلك يَزِيد بن عُمَيْر، فصَلَّبَ عُمَيْر بن بَيَان في كُناسَة الكُوفَة.

ومن فِرَقهم «المُفَضَّلِيَّةُ» أتْباعُ مُفَضَّل الصَّيْرَفي. زَعَمَ أنَّ جَعْفَر بن محمد إله، فطَرَدَه ولَعَنَه. وزَعَمَتِ «الخَطَّابِيَّة» بأجْمَعها أنَّ جَعْفَر بن محمد الصَّادِق أوْدَعهم جِلْدًا يُقالُ له «جَفْر» فيه كلُّ ما يَحْتاجُون إليه من عِلْم الغَيْبِ وتَفْسيرِ القُرْآن. وزَعَمُوا - لَعَنَهُم الله - أنَّ قَوْلَه تعالى: ﴿إنَّ الله يَأْمُرُكُم أنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [الآية ٦٧ سورة البقرة] معناه عائِشَة أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - وأنَّ الخَمْرَ والمَيْسِر: أبو بكر وعُمَر - رضي الله عنهما - وأنَّ الجبت والطاغوت: مُعاوِيَة بن أبي سُفيان وعَمْرو ابن العاص، رضي الله عنهما.

---

a) بولاق: مصر.

والفِرْقَةُ الرَّابِعَةُ :

الزَّيْــدِيَّةُ ـ أَتْباعُ زَيْدِ بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ القائِلون بإمامَته وإمامَة من اجْتَمَعَ فيه سِتّ خِصَال : العِلْم ، والزُّهْد ، والشَّجاعَة ، وأن يكون من أوْلادِ فاطِمَة الزَّهْراء ـ رضي الله عنها ـ حَسَنيًّا أو حُسَيْنِيًّا ، ومنهم من زادَ صَباحَة الوَجْه ، وألَّا يكون فيه آفَة . وهم يُوافِقُون المُعْتَزِلَة في أصُولِهم كلِّها إلَّا في مَسْأَلَة الإمامَة . وأُخِذَ مَذْهَبُ زَيْد بن عليّ عن واصِل بن عَطاء ، وكان يُفَضِّلُ عَلِيًّا على أبي بكر وعُمَر مع القَوْلِ بإمامَتهما [1] .

وهم أَرْبَعُ فِرَق :

« الجَارُودِيَّة » أَتْباعُ أبي الجارُود ، ويكنى أبا النَّجْم ، زِياد بن المُنْذِر العَبْدي . زَعَمَ أنَّ ـ النَّبيّ ﷺ نَصّ على إمامَة عليّ بالوَصْف لا بالتَّسْمِيَة ، وأنَّ النَّاسَ كَفَرُوا بتَرْكِهم مُبايَعَة عليّ ـ رضي الله عنه ـ والحَسَن والحُسَيْن وأوْلادِهما .

و « الجَرِيرِيَّة » أَتْباعُ سليم بن جَرير ، ومن قَوْلِه : لم يَكْفُر النَّاس بتَرْكِهم مُبايَعَة عليّ ، بل أخطأوا بتَرْكِ الأَفْضَل وهو علي ، وكَفَّروا الجارودِيَّة بتَكْفيرهم الصَّحابَة ، إلَّا أنَّهم

---

[1] راجع عن الزَّيْدِيَّة ، أتْباع الإمام زَيْد بن علي والذين يُعَدُّون الفِرْقَة السياسية الوحيدة بين الشيعة ، حيث ثَارَ الإمامُ زَيْد على الأُمَويين سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ٦٥- ٧٥؛ المسعودي : مروج الذهب ٤: ٤٥؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٠- ٣٧؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٣٧- ١٤٣؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٥- ١٥٧، ١٨٤- ١٨٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥: ٣٥- ٣٦؛ المقريزي : المواعظ ٤: ٨٢٨- ٨٣٧؛ W. MADELUNG, *Der Imam al-Qâsim ibn Ibrâhîm und die Glaubenslehre der Zaiditen*, Berlin 1965; F. SEZGIN, *GAS* I, pp. 561-63; W. MADELUNG, *EI* [2] art. *Zayd b. ʿAlî* XI, pp.512-13; ID., *EI* [2] art. *Zaydiyya* XI, pp.517-20؛ فضيلة عبد الأمير الشّامي : تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة ، النجف ١٩٧٤؛ أحمد محمود صبحي : الزيــدية ، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٨٠؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، القاهرة ١٩٨٧، ٢١١- ٢٢٧.

كَفَّرُوا عُثْمان بن عَفَّان بالأحْداث التي أَحْدَثَها، وقالوا: لم يَنُصّ عليٌّ على إمامَة أحَدٍ، وصَارَ الأمْرُ من بعده شُورَى.

ومنهم «البَتْرِيَّة» أَتْباعُ الحَسَن بن صَالِح بن كثير الأَبْتَر. وقَوْلُهم: إنَّ عَلِيًّا أَفْضَل وأوْلى بالإمامَة، غير أنَّ أبا بكرٍ كان إمامًا، ولم تكن إمامَتُه خَطأً ولا كُفْرًا، بل تَرَك عليٌّ الإمامَة له، وأمَّا عُثْمان فيَتَوَقَّفُ فيه.

ومنهم «اليَعْقُوبِيَّة» أَتْباعُ يَعْقُوب. وهم يقولون بإمامَةِ أبي بَكْرٍ وعُمَر، ويتبرَّأون مِمَّن تَبَرَّأ منهما، ويُنْكِرُون رَجْعَة الأمْوات إلى الدُّنْيا قَبْل يوم القِيامَة، ويتبرَّأون مِمَّن دانَ بها، إلَّا أنَّهم مُتَّفقون على تَفْضيل عليٍّ على أبي بكر وعُمَر، من غير تَفْسيقِهما ولا تَكْفيرِهما ولا لَعْنِهما، ولا الطَّعْنِ على أحَدٍ من الصَّحابَة، رِضْوانُ الله عليهم أجْمَعين.

الفِرْقَةُ الخامِسَة: «السَّبَئِيَّة» أَتْباعُ عبد الله بن سَبأ الذي قال شَفاهًا لعلي بن أبي طالب: أنت الإله. وكان من اليَهُود، ويقول في يُوشَع بن نُون مثل قَوْله ذلك في عليّ، وزَعَمَ أنَّ عَلِيًّا لم يُقْتَل، وأنَّه حَيٌّ لم يَمُت، وأنَّه في السَّحاب، وأنَّ الرَّعْدَ صَوْتُه والبَرْقَ سَوْطُه، وأنَّه يَنْزِل إلى الأرْض بعد حين، قَبَّحَه الله [1].

والفِرْقَةُ السَّادِسَة: «الكامِلِيَّة» أَتْباعُ أبي كامِل. أكْفَر جَميع الصَّحابَة بتَرْكِهم بَيْعَة عليّ، وكَفَّرَ عَلِيًّا بتَرْكِه قِتالِهم، وقال بتَناسُخِ الأَنْوار الإلهية في الأئِمَّة.

والفِرْقَةُ السَّابِعَة: «البَيَانِيَّة» أَتْبَاعُ بَيَان بن سَمْعان. زَعَمَ أنَّ رُوحَ الإله حَلَّ في الأَنْبياء، ثم في عليّ، وبعده في محمَّد ابن الحَنَفِيَّة، ثم في ابنه أبي هاشِم عبد الله ابن محمَّد، ثم حَلَّ بعد أبي هاشِم في بَيَان بن سَمْعَان، يعني نفسه، لعَنَهُ الله.

---

[1] انظر عن السبئية، فيما تقدم ١٥هـ [1].

والفِرْقَةُ الثَّامِنَة : «المُغيريَّة» أَتْباعُ مُغيرَة بن سَعيدِ العِجْلي ، مَوْلَى خالِد بن عبد الله ، طَلَبَ الإمامَة لنفسه بعد محمَّد بن عبد الله بن الحَسَن ، فخَرَجَ على خالِد بن عبد الله القَسْري بالكُوفَة في عشرين رجلًا فعَطْعَطُوا به ، فقال خالِد : أطعِمُوني ماءً ، وهو على المِنْبَر ، فعُيِّرَ بذلك .

والمُغيرَةُ هذا قال بالتَّشْبيه الفاحِش ، وادَّعَى النُّبُوَّة ، وزَعَم أنَّ مُعْجِزَتَه عِلْمُه بالاسْمِ الأعْظَم ، وأنَّه يُحْيي المَوْتَى ، وزَعَمَ أنَّ الله لمَّا أرادَ أن يَخْلق العالم كَتَبَ بأَصْبُعه أعْمالَ عِبادِه ، فغَضِبَ من مَعاصيهم فعَرِق ، فاجْتَمَع من عَرَقِهِ بَحْران : أحَدُهما مالِحٌ والآخَر عَذْب ، فخَلَقَ من البَحْر العَذْب الشِّيعَة ، وخَلَق الكَفَرَة من البَحْر المِلْح . وزَعَمَ أنَّ المَهْدي يَخْرُج وهو محمَّد بن عبد الله بن الحَسَن بن الحُسَيْن ابن علي بن أبي طالِب .

والفِرْقَةُ التَّاسِعَة : «الهِشامِيَّة» ، وهم صِنْفان : أحَدُهُما أتْباعُ هِشَام بن الحَكَم [1] ، والثَّاني أتْباعُ هِشَام الجَوْلَقِي . وهما يقولان : لا تَجُوزُ المَعْصية على الإمام ، وتَجُوزُ على الأنْبياء ، وأنَّ محمدًا عَصَى رَبَّه في أَخْذِ الفِداء من أسْرَى بَدْر ، كَذِبًا لعنهما الله . وهُمَا أيضًا مع ذلك من المُشَبِّهَة .

والفِرْقَةُ العاشِرَة : «الزُّرارية» أَتْباعُ زُرَارَة بن أَعْيَن [2] ، أحَدُ الغُلاة في الرَّفْض ،

---

[1] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «هِشامُ بن الحَكَم ، أبو محمد مَوْلى بني شَيْبان ، كوفي تَحَوَّلَ إلى بَغْداد ، وكان من أصْحابِ جَعْفَر الصَّادِق ومن مُتكلِّمي الشِّيعَة ممن فَتَقَ الكلام في الإمامة وهَذَّب المَذْهَب بالنَّظَر ، وكان حاذِقًا بصناعة الكلام حاضِر الجواب ، سُئِل عن معاوية أشَهِدَ بَدْرًا ؟ قال : نَعَم من ذاك الجانب . وكان مُنْقَطِعًا إلى يحيى بن خالِد البَرْمَكي والقائم بمجالس كلامه . توفِّي بعد نَكْبَة البَرامِكَة بقليل مُسْتَتِرًا وله خمس وثلاثون مُصَنَّفًا» .

[2] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «زُرارة بن أعْيَن بن سِنْبس ، واسم زُرارَة عبد رَبِّه وزُرارة لَقَب له . وكان أبوه أعْيَنُ عبدًا روميًا لرَجل من بني شَيْبان تَعَلَّم القُرْآن ، ثم أعْتَقَه . وكان سِنْبس راهبًا في بَلَد الرُّوم . وزرارة أكثر رجال الشِّيعَة فِقْهًا وحديثًا ومعرفةً بالإسلام والتَّشَيُّع» .

ويَزْعُم مع ذلك أنَّ الله تعالى لم يَكُن في الأَزَلِ عالِمًا ولا قادِرًا حتى اكْتَسَب لنفسه جَميعَ ذلك ، قَبَّحَه الله .

والفِرْقَةُ الحادية عَشْرَة : « الجَناحِيَّة » أَتْباعُ عبد الله بن مُعاوِيَة ذي الجَناحَيْن ابن أبي طالِب . وزَعَمَ أنَّه إله ، وأنَّ العِلْمَ يَنْبُت في قَلْبِه كما تَنْبُت الكمأة ، وأنَّ رُوحَ الإله دارَت في الأَنْبياء كما كانت في عليٍّ وأَوْلادِه ، ثم صارَت فيه .

ومَذْهَبُهم اسْتِحْلال الخَمْر والمَيْتَة ونِكاح المحارِم ، وأَنْكَرُوا القِيامَة ، وتأوَّلوا قَوْلَه تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات جُنَاحٌ فيمَا طَعِمُوا إذا ما اتَّقُوا وءَامَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات﴾ [الآية ٩٣ سورة المائدة] ، وزَعَمُوا أنَّ كلَّ ما في القُرْآن من تَحْرِيم المَيْتَة والدَّمِ ولَحْمِ الخِنْزير ، كِنايَةٌ عن قَوْمٍ يلزم بُغْضُهم ، مثل أبي بكرٍ وعُمَر وعُثْمان ومُعاوِيَة ، وكلّ ما في القُرْآن من الفَرائِض التي أَمَرَ الله بها كِنايَةٌ عن من يَلْزَمُ موالاتُهم ، مثل عليّ والحَسَن والحُسَيْن وأَوْلادِهم .

والثَّانِيَة عشرة : « المَنْصُورِيَّة » أَتْبَاعُ أبي مَنْصُور العِجْلي ، أحَد الغُلاة المُشَبِّهَة ، زَعَمَ أنَّ الإمامَةَ انْتَقَلَت إليه بعد محمَّد الباقِر بن عليّ زَيْن العابِدين بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالِب ، وأنَّه عُرِجَ به إلى السَّمَاء بعد انْتِقالِ الإمامَة إليه ، وأنَّ مَعْبودَه مَسَحَ بيده على رأسِه ، وقال له : يا بُنَيَّ بَلِّغ عَنِّي آيةَ الكِشف السَّاقِط من السَّمَاء في قَوْلِه تعالى : ﴿وإن يَرَوْا كِسْفًا من السَّماءِ ساقِطًا يقُولُوا سِحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الآية ٤٤ سورة الطور] . وزَعَمَ أنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ قَوْمٌ تَجِب مُوالاتهم مثل علي بن أبي طالِب وأَوْلادِه ، وأنَّ أَهْلَ النَّارِ قَوْمٌ تَجِب مُعاداتهم مثل أبي بَكْرٍ وعُمَر وعُثْمان ومُعاوية ، رضي الله عنهم .

والثَّالِثَة عَشْرة : « الغُـرابِيَّة » . زَعَمُوا ـ لَعَنَهم الله ـ أنَّ جِبْرِيل أخْطأ ، فإنَّه أُرْسِلَ إلى عليٍّ بن أبي طالِب فجاءَ إلى محمَّد ﷺ ، وجَعَلُوا شِعارَهم إذا اجْتَمَعُوا أنْ يقولوا : « الْعَنُوا صَاحِب الرِّيش » ـ يَعْنُون جِبْرِيل عليه السَّلام ـ وعليهم اللَّعْنَة .

والرَّابِعَة عَشْرَة : « الذَّمِّـيَّة » (بفَتْح الذَّال المعجمة) زَعَمُوا - أخزاهُم الله - أنَّ عليّ بن أبي طالِب بَعَثَه الله نَبِيًّا ، وأنَّه بَعَثَ محمَّدًا ﷺ ليُظْهِرَ أَمْرَه ، فادَّعَى النُّبُوَّة لنفسه ، وأرْضَى عَلِيًّا بأن زَوَّجَه ابنته ومَوَّلَه . ومنهم العُلَيَّانية أتبَاع عُلَيَّان بن ذِراع السَّدوسي - وقيل الأَسَدي - كان يُفَضِّل عَلِيًّا على النَّبيّ ﷺ ، ويَزْعُم أنَّ عَليًّا بَعَثَ محمَّدًا . وكان - لَعَنَهُ الله - يَذم النَّبي ﷺ ، لزَعْمِه أنَّ محمدًا بُعِثَ ليَدْعُو إلى عَليّ ، فدَعَا إلى نَفْسِه .

ومن العُلَيَّانية من يقول بِإلهِيَّة محمَّد وعلي جَميعًا ، ويُقَدِّمون محمَّدًا في الإلهية ، ويُقالُ لهم الميمِيَّة . ومنهم من قال بِإلهِيَّة خمسة - وهم أصْحابُ الكِسَاء : محمَّد ، وعلي ، وفاطِمَة ، والحَسَن ، والحُسَيْن - وقالوا : خَمْسَتُهم شيءٌ واحِد ، والرُّوحُ حالَّة فيهم بالسَّوِيَّة لا فَضْلَ لواحِدٍ منهم على الآخَر ، وكَرِهُوا أنْ يقولوا « فاطِمَة » بالهاء ، فقالوا « فاطِم » . قال بعضُهم :

[الطويل]

تَوَلَّيتُ بعد الله في الدِّين خَمْسَةً نَبِيًّا ، وسِبطَيْه ، وشَيْخًا ، وفاطِما

والخامِسَة عَشْرَة : « اليُونُسِيَّة » أَتْبَاعُ يُونُس بن عبد الله القُمِّي ، أحَدُ الغُلاة المُشَبِّهَة .

[a]ومنهم « الخَرَبِيَّة » ، أَتْباعُ عبد الله بن الحارث ، واسْمُ الحارِث سَلَمَة بن مسعود بن خالِد ابن أصْرَم . وهو من بني الطَّمْح بن الخَزْب بن معاوية بن الحارث ابن معاوية بن ثَوْر بن مَرْتَع ، وكان غاليًا كافِرًا أوْجَبَ على أصْحابِه سَبْع عشرة صلاة كلَّ يومٍ ولَيْلَة ، في كلِّ صلاةٍ خَمسَ عشرة ركعة ، ثم تاب باختياره ورَجَع إلى قَوْلِ الصُّفْرية من الخَوارِج ، فبَرئَ منه أصْحابُه لمَّا تابَ وبقوا على كُفْرِهم[a].

---

a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق .

والسَّادِسَة عشر : « الرُّزَّامِيَّة » أَتْبَاعُ رُزَّام بن سابِق . زَعَم أنَّ الإمامة انْتَقَلَت بعد عليّ بن أبي طالِب إلى ابنه محمد ابن الحَنَفِيَّة ، ثم إلى ابنه أبي هاشِم ، ثم إلى علي بن عبد الله بن عَبَّاس بالوَصِيَّة ، ثم إلى ابنه محمد بن علي ، فأَوْصَى بها محمَّد إلى أبي العَبَّاس عبدِ الله بن محمد السَّفَّاح ، الظالِم المُتَرَدِّد في المذاهِب ، الجَاهِلِ بحُقُوقِ أهْلِ البَيْتِ .

والسَّابِعَة عشرةِ : « الشَّيطانيَّة » أَتْبَاعُ محمد بن النُّعْمان شَيْطان الطَّاق [1]. وقد شارَكَ المُعْتَزِلَة والرَّافِضَة في جَميعِ بِدَعِهِم [a]، وانْفَرَدَ بأَعْظَمِ الكُفْر ـ قاتَلَه الله ـ وهو

a) بولاق : مذهبهم .

[1] حاشية بخَطِّ المُؤَلِّف : «هو أبو جَعْفَر محمد ابن علي ابن النُّعْمان الكوفي المعتزلي الشِّيعي الصَّيْرَفي المعروف بـ «شَيْطان الطَّاق» من أجْلِ أنَّه كان صَيْرَفِيًّا بطاق المحامِل من بَغْداد ، فاخْتَلَفَ هو وصَيْرَفي في نَقْد دِرْهَم فغَلَبَه فقال مُتَبَجِّحًا : أنا شَيْطانُ الطَّاق ، فغَلَبَ عليه هذا الاسم . والرَّافِضَة تُجِلُّه وتُسَمِّيه مَيْمون الطَّاق . وله قِصَّة مع أبي حَنيفَة رحمه الله ، وله شِعْرٌ جَيِّد . قال بَشَّارَ بن بُرْد : شَيْطانُ الطَّاق أَشْعَرُ مِنِّي . ومَذْهَبه أنَّ الإمامَة لم تزل إلى مُوسَىٰ بن جَعْفَر ، فلمَّا مات مُوسَىٰ قَطَعَ الإمامَة ، ووافَقَ هِشام بن الحَكَم في قَوْلِه : إنَّ الله تعالى يَعْلَم الأشياء بعد وُقُوعها ولا يَعْلَم أنَّها ستقَع ، وزَعَم أنَّ الله تعالى على صُورَة إنْسان لقَوْله ـ عليه السَّلام ـ : « إنَّ الله خَلَقَ آدَم على صورة الرَّحْمَن ، لكنه ليس بجِسْم » . وله كُتُبٌ عديدة منها : «كتاب أفْعَل لم فعلت» و«كِتاب أفْعَل لا تَفْعَل» ، وعنده أنَّ كِبار الفِرَق أربعة : القَدَرِيَّة والخَوارِج والعامَّة والشِّيعَة ، فالنَّاجي من الفِرَق في الآخرة الشِّيعَة . ومن رأيه ورأي هشام الإمْساك عن الكلام في الله تعالى ؛ لقَوْله تعالى : ﴿وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾ [الآية ٤٢ سورة النجم] ـ أي إذا بَلَغَ الكلام إلى الله تعالى فأمْسِكوا ، قالا : فلذلك أمْسَكْنا عن القَوْل في الله والتَّفَكُّر فيه . وقيل له : وَيْحَكَ ! أما اسْتَحْيِيت أما اتَّقَيْت الله أن تقول في «كتاب الإمامَة» : إنَّ الله لم يَقُل قطّ في القرآن : ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا في الغَارِ﴾ [الآية ٤٠ سورة التوبة] فضحك طويلًا . وكانت وفاتُه في حُدُود الثمانين ومائة ، ومن شعره :

[الطويل]

ولا تكُ في حُبِّ الأخِلَّاء مُفْرِطًا
وإن أنت أبْغَضْتَ البغيضَ فأجْمِل
فإنَّك لا تَدْري متى أنت مبغضٌ
صَديقَك أو تَغْير عدوّك فاعقل»

أنَّه زَعَمَ أنَّ الله لا يَعْلَم الشَّيءَ حتى يُقَدِّره ، وقَبْلَ ذلك يَسْتَحيلُ عِلْمُه .

والثَّامِنَة عَشْرة : « البَسْلَمِيَّة » وهم من الرَّاوَنْدِيَّة زَعَمُوا أنَّ الإمامَة ، بعد رَسُولِ الله ﷺ ، صارَت في عليٍّ وأوْلادِه الحَسَن والحُسَيْن ومحمّد ابن الحَنَفِيَّة ، ثم في أبي هاشِم عبد الله بن محمد ابن الحَنَفِيَّة ، وانْتَقَلَت منه إلى عليّ بن عبد الله ابن عَبَّاس بوَصِيَّتِه إليه ، ثم إلى أبي العَبَّاس السَّفَّاح ، ثم إلى أبي سَلَمَة صَاحِب دَوْلَة بني العَبَّاس .

وقامَ بناحية كِشّ ، فيما وَرَاء النَّهْر ، رَجُلٌ من أَهْلِ مَرْو أَعْوَر - يُقالُ له هَاشِم - ادَّعَى أنَّ أبا سَلَمَة كان إلهًا انْتَقَل إليه رُوحُ الله ، ثم انْتَقَلَ إليه بعده . فانْتَشَرت دَعْوَتُه هناك ، واحْتَجَبَ عن أصْحابِه ، واتَّخَذَ له وَجْهًا من ذَهَب ، فعُرِفَ بالمُصَيَّغ . ثم إنَّ أصْحابَه طَلَبُوا رُؤْيَتَه ، فوَعَدَهُم أنْ يُريهم نفسه إنْ لم يَحْتَرِقُوا ، وعَمِلَ تِجاه مَرْآه مِرْآةً مُحْرِقَةً تَعْكِس شُعاعَ الشَّمْس . فلمَّا دَخَلُوا عليه احْتَرَقَ بعضُهم ، ورَجَعَ الباقُون وقد فُتِنُوا ، واعْتَقَدُوا أنَّه إله لا تُدْرِكُه الأبْصارُ ، ونادَوا في حُرُوبهم بإلهيته .

والتَّاسِعَة عشرة : « الجَعْفَرِيَّة » [a].

والعشرون : « الصَّبَّاحِيَّة » ، وهم والزَّيْدِيَّةُ أَمْثَل الشِّيعَة ، فإنَّهم يقولون بإمامَةِ أبي بَكْرٍ ، وأنَّه لا نَصَّ في إمامَة عليّ ، مع أنَّه عندهم أَفْضَلَ وأبو بكر مَفْضُول .

ومن فِرَق الرَّوافِض : « الحُلُولية » [b]، و « الشَّاعية » ، و « الشَّريكية » يَزْعُمُون أنَّ عَليًّا شَريك محمَّد ﷺ ، و « التَّناسُخِيَّة » القائِلون إنَّ الأرْواحَ تَتَناسَخ ، و « اللَّاغِيَة » [c]، و « المُخَطِّئَة » الذين يَزْعُمُون أنَّ جِبْريل أخْطأ ، و « الإسْحاقِيَّة » ، و « الخَلْفِيَّة » الذين يقولون : لا تَجُوز الصَّلاةُ خَلْف غير الإمام ، و « الرَّجْعِيَّة » القائلون : سيَرْجِع عليُّ بن أبي طالِب ويَنْتَقم من أعْدائِه ، و « المُتَرَبِّصِيَّة » الذين

---

a) بياض في آياصوفيا. b) بولاق : الحلوية . c) بولاق : اللاعنة .

يَتَرَبَّصُون خُروج المَهْدي ، و « الآمِرِيَّة » ، و « الجُبِّيَة » ، و « الجَلالِيَّة » ، و « الكُرَيْبِيَّة » أَتْبَاع أبي كُرَيْب الضَّرير ، و « الحَزَنِيَّة » أَتْباعُ عبد الله بن عَمْرو الحَزَني .

الفِرْقَةُ العَاشِرَة
الخَـوارِج

ويُقالُ لهم « النَّواصِبُ » ، و « الحَرُورِيَّة » ـ نِسْبَة إلى حَرُوراء : مَوْضِعٌ خَرَجَ فيه أَوَّلُهم على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وهم الغُلاةُ في حُبِّ أبي بكر وعُمَر وبُغْض عليّ بن أبي طالِب ـ رِضْوان الله عليهم أجْمَعين ـ ولا أَجْهَل منهم ، فإنَّهم القاسِطُون المارِقُون . خَرَجُوا على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وانْفَصَلوا عنه بالجملة وتَبَرَّأوا منه ، ومنهم من صَحِبَه ، ومنهم من كان في زَمَنِه . وهم جَماعَةٌ قد دَوَّنَ النَّاسُ أخبارَهُم ، وهم عشرون فِرْقَة :

الأولى : « الحَـكَمِيَّة » ، ويُقالُ : « المُحَكِّمَة »[a] ؛ لأَنَّهم خَرَجُوا على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في صِفِّين ، وقالوا : « لا حُكْمَ إلَّا لله ، ولا حُكْمَ للرِّجال » ، وانْحَازُوا عنه إلى حَرُوراء ، ثم إلى النَّهْرَوان . وسَبَبُ ذلك أنَّهم حَمَلوه على التَّحاكُم إلى مَنْ حَكَمَ بكتابِ الله ، فلمَّا رَضِيَ بذلك ـ وكانت قَضِيَّةُ الحَكَمَيْن : أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِي وهو عبد الله بن قَيْس ، وعَمْرو بن العَاص ، غَضِبُوا من ذلك ونابَذُوا عَلِيًّا ، وقالوا في شِعارِهم : « لا حُكْمَ إلَّا لله ولرَسوله » . وكان إمامُهم في التَّحْكيم عبد الله بن الكَوَّاء .

والثَّانِيَة : « الأَزارِقَـة » أَتْباعُ أبي راشِد نافِع بن الأَزْرَق بن قَيْس بن نَهار بن إنْسان ابن أَسَد بن صَبْرَة بن ذُهَل بن الدُّوَل بن حَنيفَة ، [b]كان أَوَّل من حَكَّمَ عُرْوَة بن أُدَيَّة ، وقيل بل أَوَّلُ من حَكَّمَ رَجُلًا يُقالُ له سَعْدٌ من بني مُحارِب بن خَصَفَة بن قَيْس غيلان ، ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن الرَّاسبي[b] الخارِج

---

a) بولاق : يقال لهم الحكمية . b-b) ساقطة من بولاق .

بالبَصْرَة في أَيَّام عبد الله بن الزُّبَيْر [١]. وهم على التَّبَرِّي من عُثْمان وعليّ والطَّعْن عليهما، وأنَّ دارَ مُخالفيهم دارُ كُفْر، وأنَّ من أقامَ بدارِ الكُفْرِ فهو كافِر، وأنَّ أطْفالَ مُخالفيهم في النَّار ويَحِلّ قَتْلُهم. وأنْكَرُوا رَجْم الزَّاني، وقالوا: من قذَف مُحْصَنَةً حُدَّ، ومن قَذَفَ مُحْصَنًا لا يُحَدّ، ويُقْطَع السَّارِقُ في القَليلِ والكثير.

والثَّالِثَة: «النَّجْدات» - ولم يُقَل فيهم النَّجْدِيَّة ليُفَرَّق بينهم وبين من انْتَسَب إلى بِلاد نَجْد - فإنَّهم أتْباعُ نَجْدَة بن عُوَيْمِر، وهو عامِر الحَنَفي الخارِج باليَمامَة، وكان رأسًا ذا مَقالَةٍ مُفْرَدَة، وتَسَمَّى بأمير المؤمنين، وبَعَثَ عَطِيَّة بن الأَسْوَد إلى سِجِسْتان، فأَظْهَرَ مَذْهَبَه بمَرْو، فعُرِفَت أتْباعُه بالعَطَوِيَّة.

ومَذْهَبُهم أنَّ الدِّين أمْران: أحَدُهُما مَعْرِفَةُ الله تعالى ومَعْرِفَةُ رَسُولِه، وتَحْرِيمُ دِماءِ المسلمين وأمْوالِهم. والثَّاني: الإقْرارُ بما جاءَ من عند الله تعالى جملةً، وما سِوَى ذلك من التَّحْريم والتَّحْليل وسَائِر الشَّرائِع فإنَّ النَّاسَ يُعذَّرُون بجَهْلها، وأنَّه لا يَأْثَم المُجْتَهِد إذا أخْطأ، وأنَّ من خافَ[a] أنْ يُعذِّب المُجْتَهِد فقد كَفَر. واسْتَحَلُّوا دِماءَ أهْل الذِّمَّة في دارِ التَّقِيَّة، وقالوا مَنْ نَظَرَ نَظْرَةً مُحَرَّمَةً، أنْ كَذِبَ كِذْبَةً، أو أَصَرَّ على صَغيرَةٍ ولم يَتُب منها، فهو كافِر. ومن زَنَى أو سَرَق أو شَرِبَ خَمْرًا من غير أنْ يُصِرّ على ذلك، فهو مُؤْمِن غير كافِر.

---

a) بولاق: خالف.

---

[١] حاشية بخَطّ المؤلِّف: «نافِعُ بن الأزْرَق أبو راشد، رَجُلٌ من بني حَنيفة أحد أعْلام الخَوارج، وممّن كان مع نَجْدَة ابن عامِر وأبي فُدَيْك، فأحْدَث البَرَاءة والمِحْنَة وقِيلَ في السِّرّ، فخالَف في ذلك أصْحابَه من أهْل النَّهْرَوان ومَنْ بَعْدَهم، وفارقته الخَوارجُ كلهم، فسُمُّوا «أهْل الوُقوف» لأنَّهم وَقَفُوا عند الشُّبْهَة حتى يستبينوا. وخَرَج نافِع بمن معه بأرْض الأهْواز وبَقَر النِّساء وقَتَلَ الصِّبْيان وسَبَى آخر سنة أربع وستين، وقُتِلَ في الحَرْب».

والرَّابِعَة : « الصُّفْـرِيَّة » أَتْباعُ زِياد بن الأَصْفَر [1]، ويُقال أَتْباعُ النُّعْمَان بن صُفْر ، وقيل : بل نُسِبُوا إلى عبد الله بن صَفَّار ، وهو أَحَدُ بني مُقاعِس ، وهو الحارِث بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناةَ بن تَميم بن أَدّ بن طابِخَة بن إلْياس بن مُضَر بن نِزار ، وقيل عبد الله الصَّفَّار من بني صُوَيْمِر بن مُقاعِس ، وقيل سُمُّوا بذلك لصُفْرَةِ عِلَّتهم ، وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الصُّفَّرية بكسر الصَّاد .

وقد وافَقَ الصُّفَّرية الأزارِقَة في جَميع بِدَعِهم ، إلَّا في قَتْلِ الأطْفال . ويقالُ للصُّفَّرية أيضًا الزِّيادِيَّة ، ويُقالُ لهم أيضًا النُّكَّار من أجْلِ أنَّهم يُبْغِضون[a] نصف عليّ وثُلُث عُثْمان وسُدُس عائِشة ـ رضي الله عنهم .

والخامِسَة : « العَجَارِدَة » أَتْبَاعُ عبد الكريم بن عَجْرَد .

والسَّادِسَة : « المَيْمُونِيَّة » أَتْباعُ مَيْمون بن عِمْران ، وهم طائِفَةٌ من العَجَارِدَة وافَقُوا الأزارِقَة إلَّا في شَيْئَيْن : أَحَدُهُما قَوْلُهم : تَجِب البَرَاءَة من الأطْفال حتى يَبْلُغوا ويصفوا الإسلام ؛ والثَّاني اسْتِحْلال أمْوالِ المخالِفين لهم . فلم تَسْتَحِلّ المَيْمونِيَّة مالَ أحَدٍ خالَفَهم ما لم يُقْتَل المالِك ، فإذا قُتِلَ صارَ مالُه فَيْئًا إلَّا أنَّهم ازْدادُوا كُفْرًا على كُفْرِهم ، وأجازُوا نِكاحَ بَناتِ البَنَات وبناتِ البَنين ، وبَناتِ أوْلادِ الإخْوة وبناتِ أوْلادِ الأَخَوات فَقَط .

والسَّابِعَة : « الشُّعَيْبِيَّة » وهم طائِفَةٌ من العَجارِدَة وافَقُوا المَيْمونِيَّة في جَميع بِدَعِهم ، إلَّا في الاسْتِطاعَة والمَشيئَة ، فإنَّ الميْمونِيَّة مالَت إلى القَدَرِيَّة [2].

a) بولاق : ينقصون .

[1] حاشية بخَطّ المؤَلِّف : «قال ابنُ الأنْباري : الصَّادُ» . الصَّوابُ في الفِرْقَة من الخَوارج : الصُّفْرِيَّة بكسر

[2] الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٤ - ٩٥،=

والثَّامِنَة : « الحَمْزِيَّة » أَتْباعُ حَمْزَة بن أَدْرَك[a] الشَّاري[b]، الخارِج بخُراسَان في خِلافَة هارون بن محمد الرَّشيد ، وكَثُرَ عَيْثُه وفَسادُه ، ثم فَضَّ جُمُوع عيسَىٰ بن عليّ عامِل خُراسَان ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا ، فانْهَزَمَ منه عيَسىٰ إلى كابُلَ ، وآلَ أَمْرُ حَمْزَة إلى أنْ غَرِقَ في كَرْمان بوادٍ هناك ، فعُرِفَت أصحابُه بالحَمْزِيَّة .

وكان يقول بالقَدَرِ ، فكَفَّرَته الأَزارِقَةُ بذلك ، وقال : أَطْفَالُ المشركين في النَّارِ ، فكَفَّرَته القَدَرِيَّة بذلك . وكان لا يَسْتَحِلّ غَنائِمَ أعْدائِه ، بل يَأْمُر بإحْراقِ جَميعِ ما يَغْنَمُه منهم[1] .

والتَّاسِعَة : « الحَـازِمِيَّة »[c]، وهم فِرْقَةٌ من العَجارِدَة قالوا في القَدَر والمَشيئَة كقَوْلِ أهْلِ السُّنَّة ، وخالَفُوا الخَوارِجَ في الولاية والعَداوَة فقالوا : لم يَزَل الله تعالى مُحِبًّا لأَوْليائِه ومُبْغِضًا لأَعْدائِه[2] .

والعاشِرَة : « المَعْلُومِيَّة » ، مع « المَجْهُولِيَّة » تَبايَنا في مسأَلتين : إحْداهُما : قالت المَعْلُومِيَّة : مَنْ لم يَعْرِفِ الله تعالى بجَميع أسْمَائه فهو كافِر ، وقالت المَجْهُولِيَّة : لا يكون كافِرًا . والثَّانية : وافَقَتِ المَعْلومِيَّة أَهْل السُّنَّة في مسألة القَدَر والمَشيئَة ، والمَجهولِيَّة وافَقَتِ القَدَرِيَّة في ذلك[3] .

---

a) كذا عند الشهرستاني وفي سائر المصادر : ابن أكرك . b) بولاق : الشامي . c) بولاق : الخازمية .

=الإسفراييني : التبصير في الدين ٣٢؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٣١؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٩٥.

[1] الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٣- ٩٤؛ الإسفراييني : التبصير في الدين ٣٣؛ الشهرستاني :

الملل والنحل ١: ١٢٩؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٩٨- ٩٩.

[2] نفسه ٩٦؛ نفسه ٣٢، نفسه ٩٤.

[3] نفسه ٩٦- ٩٧؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ٩٧.

والحادية عَشْرَة: «الصَّلْتِيّة» أَتْباعُ عُثْمان بن أبي الصَّلْت، وهم طائِفَةٌ من العَجارِدَة انْفَرَدوا بقَوْلهم: مَنْ أَسْلَم تَوَلَّيْناه لكن نَتَبَرَّأ من أطْفالِه، لأنَّه ليس للأطْفالِ إسْلامٌ حتى يَبْلُغوا.

والثَّانِيَة عَشْرَة والثَّالِثَة عَشْرَة: «الأَخْنَسِيَّة»[a] و«المَعْبَدِيَّة»، وهما فِرْقَتان من الثَّعالِبَة أَتْباع ثَعْلَبَة بن عامِر. وكان ثَعْلَبَةُ هذا مع عبد الكريم بن عَجْرَد، ثم اخْتَلَفا في الأطفال، فقال عبد الكريم: نَتَبَرَّأ منهم قبل البُلُوغ، وقال ثَعْلَبَة: لا نَتَبَرَّأ منهم بل نقول: نَتَوَلّى الصِّغار. فلم تَزَلِ الثَّعالِبَةُ على هذا إلى أنْ خَرَجَ رَجُلٌ عُرِفَ بالأَخْنَس، فقال: نَتَوَقَّف عن جَميع مَنْ في دارِ التَّقِيَّة، إلا مَنْ عَرَفْنا منه إيمانًا فإنَّا نَتَولّاه، ومن عَرَفْنا منه كُفْرًا تَبَرَّأنا منه، ولا يَجُوز أنْ نَبْدَأ أَحَدًا بقِتالٍ، فتبرَّأت منه الثَّعالِبَة، وسَمَّوه بالأَخْنَس، لأنَّه خَنَسَ منهم، أي رَجَع عنهم.

ثم خَرَجَت فِرْقَةٌ من الثَّعالِبَة، قيل لها «المَعْبَدِيَّة» أَتْباعُ مَعْبَد، فخالَفَتِ الثَّعالِبَة في أَخْذِ الزَّكاة من العَبيد والبَهائِم، وكَفَّرَت كلُّ فرقةٍ منهما الأخرى[1].

والرَّابِعَة عَشْرَة: «الشَّيْبانِيَّة» أَتْباعُ شَيْبان بن سَلَمَة، الخارِج في أيَّامِ أبي مُسْلِم الخُراساني القائِم بدَعْوَة الخُلَفاء العَبَّاسيين، وكان معه، فتبرَّأت منه الثَّعالِبَةُ لمعاونته لأبي مُسْلم. وهو أوَّلُ من أَظْهَر القَوْلَ بالتَّشْبيه، تعالى الله عن ذلك[2].

والخامِسَة عَشْرَة: «الشَّبِيبِيَّة» أَتْباعُ شَبيب بن يَزيد بن أبي نُعَيْم، الخارِج في خِلافَة عبد الملك بن مَرْوان، وصَاحِب الحُروب العَظيمَة مع الحَجَّاج بن يُوسُف

---

a) بولاق: الأحسنية.

---

[1] الأشعري: مقالات الإسلاميين ٩٧-٩٩؛ نفسه ٩٨-٩٩؛ نفسه ٧٤؛ نفسه ١٠١؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٢.

[2] نفسه ٩٨-٩٩؛ نفسه ٧٤؛ نفسه الإسفراييني: التبصير ٣٣؛ البغدادي: الفرق ١٠٢؛ نفسه ١: ١٣٢.

الثَّقفي . وهم على ما كانت عليه الحكَمِيَّة الأولى ؛ إلَّا أنَّهم انْفَرَدُوا عن الخَوارِج بجَوازِ إمامَة المَرْأة وخِلافَتِها . واسْتَخْلَفَ شَبيبٌ هذا أُمَّهُ غَزالَة ، فدَخَلَتِ الكُوفَة ، وقامَت خَطيبَةً ، وصَلَّتِ الصُّبْح بالمَسْجِد الجَامِع ، فقَرَأت في الرَّكْعَة الأُولى بالبَقَرَة ، وفي الثانية بآلِ عِمْران ؛ وأخْبار شَبيبٍ طويلة [1] .

والسَّادِسَة عَشْرَة : « **الرُّشَيْدِيَّة** » أتْباعُ رُشَيْد ، ويُقالُ لهم أيضًا « **العُشْرِيَّة** » من أجْلِ أنَّهم كانوا يأْخُذون نِصْف العُشْر مِمَّا سَقَتِ الأنْهار . فقال لهم زِيادُ بن عبد الرحمن : يجب فيه العُشْرُ ، فتبرَّأت كلُّ فرقةٍ من الأخرى وكَفَّرَتْها بذلك .

والسَّابِعَة عَشْرَة : « **المُكْرَمِيَّة** » أتْباعُ أبي المُكْرَم ، ومن قَوْلِه : تارِكُ الصَّلاة كافِر ، وليس كُفْرُه لتَرْكِ الصَّلاة لكن لجَهْلِه بالله . وكذا قَوْلُه في سَائِر الكَبائِر [2] .

والثَّامِنَة عَشْرَة : « **الحَفْصِيَّة** » أتْباعُ حَفْص بن المِقْدام ، أحَدُ أصْحابِ عبد الله بن إباض . تَفَرَّد بقَوْله : مَنْ عَرَفَ الله تعالى ، وكَفَرَ بما سِواه من رَسُولٍ وغيره ، فهو كافِرٌ وليس بمُشْرِك . فأنْكَر ذلك الإباضِيَّة وقالوا : بل هو مُشْرِك [3] .

والتَّاسِعَة عَشْرَة : « **الإباضية** » أتْباعُ عبد الله بن إباض من بني مُقاعِس ، واسمه الحارِث بن عمْرو ـ ويُقالُ : بل يُنْسَبون إلى « أُباض » ـ بضم الهمزة ـ وهي قريةٌ بالعَرْض من اليَمامَة نَزَلَ بها نَجْدَةُ بن عامِر ـ وخَرَجَ عبد الله بن إباض في أيَّام مَرْوان وكان من غُلاة المحكِّمَة [4] .

---

[1] الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٢٣–١٢٤، الإسفرايني : التبصير في الدين ٣٥؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ١٠٩–١١٣.

[2] نفسه ٩٩–١٠٠، نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٣، الشهرستاني : الملل والنحل ١: ١٣٣.

[3] نفسه ١٠٢–١٠٣؛ نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٤–١٠٥؛ نفسه ١: ١٣٥.

[4] راجع عن الإباضية ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٠٢–١١٣؛ الإسفرايني : التبصير في الدين ٥٨؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١:١٢١–١٢٢؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٧٣–١٧٥؛ علي يحيى معمر : الإباضية في موكب=

والفِرْقَةُ العِشْرون: «اليَزِيدِيَّة» أَتْباعُ يَزيد بن أبي أُنَيسَة، وكان إباضِيًّا، فانْفَرَد بِبِدْعَةٍ قَبِيحَةٍ، وهي أنَّ الله تعالى سَيَبْعَث رَسُولًا من العَجَم، ويُنْزِلُ عليه كِتابًا جملةً واحدَةً يَنْسَخ به شَرِيعَة محمدٍ ﷺ[1].

ومن فِرَقِ الخَوارِج أيضًا: الحارِثِيَّة، والأَصْوَمِيَّة أَتْباعُ يَحْيَى بن أَصْوَم، والبَيْهَسِيَّة أَتْباعُ أَبِي البَيْهَس الهَيْصَم بن خالِد، من بني سَعيد بن ضَبْعَة: كان في زَمَنِ الحَجَّاج، وقُتِلَ بالمَدينَة وصُلِبَ، واليَعْقُوبِيَّة أَتْباعُ يَعْقوب بن عليّ الكُوفي.

ومن فِرَقِهم: الفَضْلِيَّة أَتْباعُ فَضْلِ بن عبد الله، والشُّمواخية أَتْباعُ عبد الله بن شَمْواخ[a]، والضَّحَّاكية أتباع الضَّحَّاك.

والخَوارجُ يُقالُ لهم الشُّراة: واحِدُهم شاري، مُشْتَقّ من شَرَى الرَّجُلُ إذا لَجّ، أو معناه يَسْتَشْري بالشَّرّ، أو من قَوْلِ الخَوارِج: شَرَيْنا أَنْفُسَنا لدين الله، فنحن لذلك شُرَاة. وقيل إنَّه من قَوْلِهم: شارَيْتُه أي لاحَجْتُه ومارَيْتُه، وقيل: شَرَى الرَّجُل غَضَبًا: إذا اسْتَطار غَضَبًا، وقيل لهم هذا لشِدَّةِ غَضَبِهم على المسلمين[2].

---

a) بولاق: سمراخ.

=التاريخ ١-٣، القاهرة ١٩٦٤؛ LEWICKI, *EI*[2] art. *Ibâdiyya* III, pp. 669-82.

[1] البغدادي: الفرق بين الفرق ١٠٤.

[2] يُعَدُّ كِتابُ «الكامِل» للمُبَرِّد، المتوفَّى سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، أهَمَّ مَصْدَرٍ لتاريخ الخَوارِج حيث تجد فيه، دون تَتَابُعٍ أو تَرْتيبٍ، النُّصُوصَ التاريخية والأدبية الأكثر وَفْرَة عن الخَوارِج، وانظر كذلك يوليوس فلهاوزن: أحزابُ المعارضة السياسية الدِّينية في صَدْرِ الإسلام: الخوارج والشِّيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٦؛ G. LEVI DELLA VIDA, *EI*[2] art. *Kharidjites* IV, pp.1106-9 وما ذكر من مراجع.

ذِكرُ الحالِ في عقائدِ أهلِ الإسلامِ منذ ابتداءِ المِلَّةِ الإسلاميةِ إلى أن انتشرَ مذهبُ الأشعريةِ

اعْلَم أنَّ اللهَ تعالى لمَّا بَعَثَ من العَرَبِ نَبِيَّه مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إلى النَّاسِ جَميعًا، وَصَفَ لهم رَبَّهم سبحانه وتعالى، بما وَصَفَ به نفسه الكريمة في كِتابِهِ العَزيز الذي نَزَلَ به على قَلْبِه ﷺ الرُّوح الأمين، وبما أَوْحَى إليه رَبُّه تعالى. فلم يَسْأَله ﷺ أحَدٌ من العَرَبِ بأَسْرِهم - قَرويهم وبَدويهم - عن مَعْنَى شيءٍ من ذلك، كما كانوا يسألونه ﷺ عن أَمْرِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيام والحَجّ، وغير ذلك مِمَّا لله فيه سُبْحانه أَمْرٌ ونَهْيٌ، وكما سألوه ﷺ عن أحْوالِ القِيامَةِ والجَنَّةِ والنَّار. إذْ لو سَأَلَه إنْسَانٌ منهم عن شيءٍ من الصِّفات الإلهية، لنُقِلَ كما نُقِلَتِ الأحاديثُ الوَارِدَةُ عنه ﷺ في أحْكامِ الحَلالِ والحَرَام، وفي التَّرْغيب والتَّرْهيب، وأحْوالِ القِيامَة والملاحِم والفِتَن، ونحو ذلك مِمَّا تَضَمَّنته كُتُبُ الحَديث: مَعاجِمها ومَسانِيدها وجَوامِعها.

ومَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ في دَواوين الحَديثِ النَّبَوي، ووَقَفَ على الآثارِ السَّلَفِيَّة، عَلِمَ أنَّه لم يَرِد قَطُّ، من طَريقٍ صَحيحٍ ولا سَقيمٍ، عن أَحَدٍ من الصَّحابَة - رضي الله عنهم - على اخْتِلافِ طَبقاتهم وكثرة عَدَدِهم - أنَّه سأل رَسُولَ الله ﷺ عن مَعْنى شيءٍ مِمَّا وَصَفَ به[a] الرَّبُّ سبحانه نفسه الكريمة في القُرْآنِ الكريم، وعلى لِسانِ نَبِيِّه محمد ﷺ، بل كُلُّهم فَهِمُوا مَعْنَى ذلك، وسَكَتُوا عن الكلام في الصِّفات، نَعَم، ولا فَرَّقَ أحَدٌ منهم بين كَوْنِها صِفَةَ ذات أو صِفَة فِعْل. وإنَّما

---

a) ساقطة من بولاق.

أَثْبَتُوا له تعالى صِفات أَزَلِيَّة من العِلْم والقُدْرَة والحَيَاة والإرادَة والسَّمْع والبَصَر والكَلام والجَلال والإِكْرام والجُود والإِنْعَام والعِزّ والعَظَمَة ، وساقُوا الكلامَ سَوْقًا واحدًا . وهكذا أَثْبَتوا ـ رضي الله عنهم ـ ما أَطْلَقَه الله سبحانه على نَفْسِه الكريمة من الوَجْهِ واليد ونحو ذلك ، مع نَفْي مُماثَلَة المخلوقين . فأَثْبَتُوا ـ رضي الله عنهم ـ بلا تَشْبيه ، ونَزَّهُوا من غير تَعْطيل ، ولم يَتَعَرَّضْ مع ذلك أَحَدٌ منهم إلى تأويلِ شيءٍ من هذا ، ورَأَوا بأَجْمَعِهِم إجْراء الصِّفات كما وَرَدَت .

ولم يكن عند أَحَدٍ منهم ما يَسْتَدِلُّ به على وَحْدانية الله تعالى ، وعلى إثْباتِ نُبُوَّةِ محمد ﷺ ، سِوَى كِتابِ الله ، ولا عَرَفَ أَحَدٌ منهم شيئًا من الطُّرُقِ الكلامية ولا مَسائِل الفَلْسَفَة . فمَضَى عَصْرُ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ على هذا ، إلى أنْ حَدَثَ في زَمَنِهِم القَوْلُ بالقَدَرِ ، وأنَّ الأَمْرَ أُنُف : أي أنَّ الله تعالى لم يُقَدِّر على خَلْقِه شيئًا مِمَّا هُم عليه .

وكان أَوَّلَ من قالَ بالقَدَرِ في الإسْلام مَعْبَدُ بن خَالِد الجُهَني ، وكان يُجالِسُ الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْري ، فتكَلَّم في القَدَرِ بالبَصْرَة ، وسَلَكَ أَهْلُ البَصْرَةِ مَسْلَكَه لمَّا رأوا عَمْرو بن عُبَيْد يَنْتَحِلُه . وأَخَذَ مَعْبَدٌ هذا الرأي عن رَجُلٍ من الأَسَاوِرَة يُقالُ له أبو يُونُس سَنْسَويه ، ويُعْرَفُ بالأَسْواري . فلمَّا عَظُمَتِ الفِتْنَةُ به ، عَذَّبَه الحَجَّاجُ وصَلَبَه بأَمْرِ عبد الملك بن مَرْوان سنة ثمانين . ولمَّا بَلَغَ عبدَ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنهما ـ مَقالَةُ مَعْبَد في القَدَر تَبَرَّأَ من القَدَرِيَّة .

واقْتَدَى بمَعْبَدٍ في بِدْعَته هذه جماعَةٌ ، وأَخَذَ السَّلَفُ ـ رحمهم الله ـ في ذَمِّ القَدَرِيَّة ، وحَذَّرُوا منهم كما هو معروفٌ في كُتُبِ الحَدِيث . وكان عَطاءُ بن يَسَار قاضِيًا يَرَى القَدَر ، وكان يأتي هو ومَعْبَد الجُهَني إلى الحَسَن البَصْري ، فيقولان له : إنَّ هؤلاء يَسْفِكون الدِّماء ، ويقولون : إنَّما تَجْري أعْمالُنا على قَدَرِ الله . فقال : كَذَبَ أَعْداءُ الله فطُعِنَ عليه بهذا ومثله .

وحَدَثَ أيضًا في زَمَنِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ « مَذْهَبُ الخَوارِج » ، وصَرَّحُوا بالتَّكفير بالذَّنْبِ ، والخُرُوجِ على الإمام وقِتالِه . فناظَرَهم عبدُ الله بن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ فلم يَرْجِعُوا إلى الحَقِّ ، وقاتَلَهم أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ وقَتَلَ منهم جَماعَةً كما هو معروفٌ في كُتُبِ الأخْبار .

ودَخَلَ في دَعْوَةِ الخَوارِج خَلْقٌ كثيرٌ ، ورُمِيَ جَماعَةٌ من أئِمَّة الإسْلام بأنَّهم يَذْهَبون إلى مَذْهَبِهم ، وعُدَّ منهم غير واحدٍ من رُواةِ الحَديث كما هو معروفٌ عند أهْلِه .

وحَدَث أيضًا في زَمَنِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ « مَذْهَبُ التَّشَيُّع لعلي بن أبي طالِب » ـ رضي الله عنه ـ والغُلُوّ فيه . فلمَّا بَلَغَه ذلك أنْكَرَه ، وحَرَقَ بالنَّار جَماعَةً مِمَّن غَلا فيه ، وأنْشَد :

[الرجز]

لَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرا أَجَّجْتُ ناري ودَعَوْتُ قُنْبُرا

وقامَ في زَمَنه ـ رضي الله عنه ـ عبدُ الله بن وَهْب بن سَبَأ ـ المعروف بابن السَّوْداء السَّبَئي ـ وأَحْدَث القَوْلَ بوَصِيَّة رَسُولِ الله ﷺ لعَليّ بالإمامَة من بَعْده ، فهو وَصِيّ رَسُولِ الله ﷺ ، وخَليفَتُه على أُمَّتِه من بعده بالنَّصّ . وأَحْدَثَ القَوْلَ برَجْعَة عليّ بعد مَوْتِه إلى الدُّنْيا ، وبرَجْعَةِ رَسُولِ الله ﷺ أيضًا . وزَعَمَ أن عَليًّا لم يُقْتل ، وأنَّه حَيٌّ ، وأنَّ فيه الجُزْء الإلهي ، وأنَّه هو الذي يَجيء في السَّحاب ، وأنَّ الرَّعْدَ صَوْتُه والبَرْقَ سَوْطُه ، وأنَّه لابدَّ أنْ يَنْزِلَ إلى الأرْضِ فيملأها عَدْلًا كما مُلِئَت جَوْرًا .

ومن ابن سَبَأ هذا تَشَعَّبَت أصْنافُ الغُلاةِ من الرَّافِضَة ، وصارُوا يَقُولون بالوَقْفِ ـ يَعْنُون أنَّ الإمامَةَ مَوْقُوفَةٌ على أُناسٍ مُعَيَّنين ـ : كقَوْلِ « الإماميَّة » بأنَّها في الأئِمَّة الاثْنَى عَشَر ، وقَوْلِ « الإسْماعيلية » بأنَّها في وَلَدِ إسماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق . وعنه أيضًا أَخَذُوا القَوْلَ بغَيْبَةِ الإمام ، والقَوْلَ برَجْعَته بعد المَوْتِ إلى الدُّنْيا ، كما تَعْتَقده الإماميةُ إلى اليوم في صَاحِبِ السِّرْداب ، وهو القَوْلُ بتَناسُخِ الأرْواح . وعنه أَخَذوا

أيضًا القَوْلَ بأنَّ الجُزْءَ الإلهي يَحِلّ في الأَئِمَّة بعد عليّ بن أبي طالِب ، وأنَّهم بذلك اسْتَحَقُّوا الإمامَة بطَريقِ الوُجُوب ، كما اسْتَحَقَّ آدَم ـ عليه السَّلام ـ سُجُودَ الملائِكَة ، وعلى هذا الرَّأْي كان اعْتِقادُ دُعَاةِ الخُلَفَاءِ الفاطِمِين ببلاد مصر .

وابنُ سَبَأ هذا هو الذي أَثارَ فِتْنَةَ أَمير المؤمنين عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ حتى قُتِلَ ـ كما ذُكِرَ في ترجمة ابن سَبَأ من كِتاب «التَّاريخ الكبير المُقَفَّى»[١] ـ وكان له عِدَّةُ أَتْباعٍ في عامَّة الأَمْصَار ، وأَصْحَابٌ كثيرون في مُعْظَم الأَقْطار . فكَثُرَت لذلك الشِّيعَةُ ، وصارُوا ضِدًّا للخَوارِج ، وما زالَ أَمْرُهُم يَقْوَى وعَدَدُهم يَكْثُر .

ثم حَدَثَ بعد عَصْرِ الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ «مَذْهَبُ جَهْم بن صَفْوان» ببلاد المَشْرق [٢] ، فعَظُمَتِ الفِتْنَةُ به . فإنَّه نَفَى أنْ يكون لله تعالى صِفَةٌ ، وأَوْرَدَ على أَهْلِ الإسْلامِ شُكوكًا أَثَّرت في المِلَّة الإسْلامية آثارًا قَبيحَة تَوَلَّدَ عنها بَلاءٌ كبير . وكان قُبَيْل المائة من سني الهجرة ، فكثُر أتْباعُه على أَقْوالِه التي تَئُولُ إلى التَّعْطيل . فأكبر أَهْلُ الإسْلام بِدْعَتَه ، وتمالئوا على إنْكارِها وتَضْليل أَهْلِها ، وحَذَّرُوا من الجَهْمِيَّة وعادُوهم في الله ، وذَمُّوا من جَلَسَ إليهم ، وكَتَبُوا في الرَّدِّ عليهم ما هو معروفٌ عند أَهْلِه .

وفي أثناءِ ذلك حَدَثَ «مَذْهَبُ الاعْتِزال» ، منذ زَمَنِ الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْري ـ رَحِمَهُ الله ـ بعد المائتين من سني الهِجْرَة ، وصَنَّفُوا فيه مَسائِلَ في العَدْلِ

---

[١] لم أقف على ترجمة عبد الله بن سبأ في العبادلة فيما وَصَل إلينا من كتاب «المقفى الكبير» ؛ فواضِعٌ من ترتيب نُسْخَة باريس ـ التي تشتمل على تراجم العبادِلَة ـ اخْتِلاط كرّاساتها وسُقُوط بعضها الآخر ، خاصَّةً بين عبد الله بن زُرَيْر الغافِقي وعبد الله بن عبد الحليم .

[٢] حاشية بخط المُؤَلِّف : «جَهْم بن صَفْوان مولى راسب ، كان بخُراسان فلمَّا قام مَرْوان بن محمد الحمار بالأمْر واخْتَلَف الحارث بن سُرَيْج ونَصْر بن سيار ، صارَ جَهْم مع الحارِث فلمَّا اقْتَتَلا أُسِرَ جَهْم وقُتِلَ في رَجَب سنة ثمانٍ وعشرين ومائة» . وانظر فيما تقدم ٧٧ ـ ٧٨ .

والتَّوْحيد ، وإثْباتِ أفْعالِ العِباد ، وأنَّ الله تعالى لا يَخْلق الشَّرَّ ، وجَهَرُوا بأنَّ الله لا يُرَى في الآخِرَة ، وأنْكَرُوا عَذابَ القَبْر على البَدَن ، وأعْلَنُوا بأنَّ القُرآنَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ ، إلى غير ذلك من مَسائِلِهم [1]. فتبعَهم خَلائِقُ في بِدَعِهم ، وأكثروا من التَّصْنيفِ في نُصْرَة مَذْهَبِهم بالطُّرُقِ الجَدَلِيَّة . فنَهى أئِمَّةُ الإسْلام عن مَذْهَبِهم ، وذَمُّوا عِلْمَ الكلام ، وهَجَروا من يَنْتَحله . ولم يَزَل أمْرُ المُعْتَزِلَة يَقْوى ، وأتْباعُهم تَكْثُر ، ومَذْهَبُهم يَنْتَشِر في الأرْض .

ثم حَدَثَ « مَذْهَبُ التَّجْسيم » المُضاد لمَذْهَب الاعْتِزال . وظَهَرَ مُحمَّد بن كَرَّام ابن عِراق بن حَزابَة أبو عبد الله السِّجِسْتاني ، زَعيم الطَّائِفَة الكَرَّامية ، بعد المائتين من سني الهجرة ، وأثْبَتَ الصِّفات حتى انتهى فيها إلى التَّجْسيم والتَّشْبيه ، وحَجَّ وقَدِمَ الشَّام ، وماتَ بزُغَو في صَفَر سنة ستٍّ وخمسين ومائتين ، فدُفِنَ بالقُدْس . وكان هناك من أصْحابه زِيادَةٌ على عشرين ألفًا على التَّعَبُّد والتَّقَشُّف ، سوى مَنْ كان منهم ببلاد المَشْرق وهم لا يُحْصَوْن لكثرتهم ، وكان إمامًا لطائِفتي الشَّافعية والحَنَفِيَّة . وكانت بين الكَرَّامية بالمَشْرِق وبين المُعْتَزِلَة مُناظراتٌ ومُناكراتٌ وفِتَنٌ كثيرةٌ مُتَعَدِّدةٌ أزَماتها .

هذا وأَمْرُ الشِّيعَة يَفْشُو في النَّاس ، حتى حَدَثَ « مَذْهَبُ القَرامِطَة » المَنْسوبين إلى حَمْدان الأَشْعَث ، المعروف بقَرْمَط من أجْلِ قِصَرِ قامَتِه وقِصَرِ رجليه وتَقارُب خَطْوه . وكان ابتداءُ أمْرِ قَرْمَط هذا في سنة أربعٍ وستين ومائتين ، وكان ظُهورُه

---

[1] وهو موضوع كتاب «المُغْني في أبْوابِ التَّوْحيد والعَدْل» لقاضي القُضاه عبد الجَبَّار بن أحمد الهَمَذاني أحد رُؤساء المُعْتَزِلَة ، المتوفَّى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م . ويقع هذا الكتاب في عشرين مُجَلَّدًا كَشَفَ وا[illegible] ـ رَحِمَهُ الله ـ أثناء زيارته لليمن سنة ١٩٥١-١٩٥٢ عن نسخة منه تنقص المجلَّدات ١، ٢، ٣، ١٧، ١٨، ١٩. وقد طُبِعَ هذا الكتاب في القاهرة في سلسلة تراثنا بين سنتي ١٩٦٠-١٩٦٦م .

[2] انظر عن الكَرَّامية ، فيما تقدم ٦٩ .

بسَوادِ الكُوفَة، فاشْتُهِرَ مَذْهَبُه بالعِراق. وقامَ من القَرامِطَة ببِلاد الشَّام صاحِبُ الخال والمُدَّثِّر والمُطَوَّق. وقامَ بالبَحْرَيْن منهم أبو سَعيد الجَنَّابي من أَهْلِ جَنَّابَة، وعَظُمَت دَوْلَتُه ودَوْلَةُ بنيه من بعده، حتى أَوْقَعُوا بعَساكِر بَغْداد، وأخافُوا خُلَفاءَ بني العَبَّاس، وفَرَضُوا الأمْوالَ التي تُحْمَل إليهم في كلِّ سنةٍ على أَهْل بَغْداد وخُراسان والشَّام ومصر واليَمَن، وغَزَوا بَغْداد والشَّام ومصر والحِجَاز، وانْتَشَرَت دُعاتُهم بأقْطارِ الأرْض[1]. فدَخَلَ جماعاتٌ من النَّاسِ في دَعْوَتِهم، ومالوا إلى قَوْلِهم الذي سَمَّوه «عِلْم الباطِن». وهو تأويل شَرائِع الإسْلام وصَرْفِها عن ظَواهِرِها إلى أُمورٍ زَعَمُوها من عند أنفسهم، وتأويل آياتِ القُرْآن ودَعْواهم فيها تأويلًا بعيدًا، انْتَحَلُوا القَوْلَ به بِدَعًا ابْتَدعُوها بأهْوائِهم، فَضَلُّوا وأضَلُّوا عالمًا كثيرًا.

هذا وقد كان المأمونُ عبدُ الله بن هارون الرَّشيد، سابع خُلَفاء بني العَبَّاس ببَغْداد، لمَّا شُغِفَ بالعُلُوم القَديمَة، بَعَثَ إلى بِلادِ الرُّوم من عَرَّبَ له كُتُبَ الفَلاسِفَة، وأتاه بها في أعْوام بضع عشرة ومائتين من سني الهجرة[2]، فانْتَشَرَت

---

[1] القَرامِطَةُ في الأصْل من دُعاة الإسماعيليين ثم انْفَصَلوا عنهم بعد أن لاحَظ حَمْدان قَرْمَط في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م بعض التَّغْييرات في التَّعْليمات المكتوبة التي كانت تصل إليه من رئاسة الدَّعْوَة في سَلَمِيَّة، حيث كانت تعكس تَحَوُّلات مهمَّة فيما يتعلَّق باعتقاد الإمامة، حيث أخذ عبد الله بن الحسين (الإمام المهدي فيما بعد) في الدَّعْوَة لنفسه وإمامة أسْلافه الزُّعماء المركزيين الذين نَظَّموا وقادوا الحركة الإسماعيلية بَدَلًا من إعلان مَهْدية محمد بن إسماعيل التي كانت الدَّعْـوَةُ تُمَهِّد لها. (راجع، W. MADELUNG, *EI*[2] art. *Karmatī* IV, pp.687-92; ID., «The Fatimide and the Qarmatis of Bahrayn», in F. DAFTARY, (ed.), *Mediaeval Ismâ'ili History and Though*, Cambridge 1996, pp.21-73؛ سهيل زكار: أخبار القرامطة، دمشق - دار حسان ١٩٨٢م؛ فرهاد دفتري: «الحركة الإسماعيلية المبكرة والانشقاق الإسماعيلي - القرمطي»، في كتاب الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية، ترجمة سيف الدِّين القصير، بيروت - دار الساقي ٢٠٠٨م، ٦١- ٧٩).

[2] راجع حول هذا الموضوع، النديم: الفهرست ١:١٤١- ١٤٢، ٤٤٨؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥، ٦٥؛ رشيد الجميلي: حركة الترجمة والنَّقْل في المشرق الإسلامي في القرنين الأوَّل والثاني للهجرة، جامعة قاريونس د.ت.

مَذاهِبُ الفَلاسِفَة في النّاس، واشْتُهِرَت كُتُبُهم بعامَّة الأمْصار، وأقْبَلَتِ المُعْتَزِلَةُ والقَرامِطَةُ والجَهْمِيَّةُ وغيرهم عليها، وأكثروا من النَّظَرِ فيها والتَّصَفُّحِ لها. فانجَرَّ على الإسلام وأهْلِه من عُلُوم الفلاسِفَة ما لا يُوصَف من البَلاءِ والمِحْنَة في الدِّين، وعَظُمَ بالفَلْسَفَةِ ضَلالُ أهْلِ البِدَع، وزادَتهم كُفْرًا إلى كُفْرِهم.

فلمَّا قامَت «دَوْلَةُ بني بُوَيْه» ببَغْداد في سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مائةٍ، واسْتَمرُّوا إلى سنة سبعٍ وثلاثين وأربع مائةٍ، وأَظْهَروا «مَذْهَب التَّشَيُّع» قَوِيَت بهم الشِّيعَةُ، وكَتَبُوا على أبْوَابِ المساجِد في سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة «لَعَنَ الله مُعاوِيَة ابن أبي سُفْيان، ولَعَنَ من أَغْضَبَ فاطِمَة، ومَنْ مَنَعَ الحَسَن أنْ يُدْفَنَ عند جَدِّه، ومَنْ نَفَى أبا ذَرٍّ الغِفاري، ومن أَخْرَج العَبَّاسَ من الشُّورَى». فلمَّا كان اللَّيْلُ حَكَّه بعضُ النَّاسِ، فأشارَ الوَزِيرُ المُهَلَّبي أنْ يُكْتَبَ بإذْن مُعِزّ الدَّوْلَة «لَعَنَ الله الظَّالِمِينَ لأَهْلِ البَيْت» ولا يُذْكَر أحَدٌ في اللَّعْن غير مُعاوِيَة، ففُعِلَ ذلك. وكَثُرَت ببَغْداد الفِتَنُ بين الشِّيعَة والسُّنَّة، وجَهَرَ الشِّيعَةُ في الأذان بـ «حَيّ على خَيْرِ العَمَل» في الكَرْخ. وفَشَا مَذْهَبُ الاعْتِزال بالعِراق وخُراسان وما وَراءَ النَّهْر، وذَهَبَ إليه جَماعَةٌ من مشاهير الفُقَهاء[1].

وقَوِيَ مع ذلك أَمْرُ الخُلَفاءِ الفاطِميين بإفريقِيَّة وبلاد المغرب، وجَهَرُوا بـ «مَذْهَبِ الإسْماعيلية»، وبَثُّوا دُعاتَهم بأرْضِ مصر، فاسْتَجابَ لهم خَلْقٌ كثيرٌ من

---

[1] تُمَثِّل الدَّوْلَةُ البُوَيْهِيَّة ـ التي امتدّ نفوذُها على الهَضَبَة الإيرانية ثم على العراق في الفترة بين السيطرة العربية في صَدْرِ الإسلام والدولة الأموية ثم الوجود التركي السَّلْجوقي في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ـ مرحلةَ الوجود الفارسي. وهي دَوْلَةٌ ذات أصُولٍ دَيْلَمية شيعية المَذْهَب فَرَضَت سيطرتها على مركز الخلافة العباسية في بغداد في الفَتْرَة بين سنتي ٣٣٤هـ/٩٤٥م ـ ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. (راجع، MUFIZULLAH KABIR, *The Buwayhid Dynasty of Bagdad*, Calcutta 1964; H. BUSSE, *Chalif und Grosskönig . Die Buyiden in Iraq (945 - 1055)*, Beirut 1969; CL. CAHEN, *EI*[2] art. *Buwayhides* ou *Bûyides* I, pp. 1390-97).

أَهْلِها ، ثم مَلَكوها سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائةٍ ، وبَعَثُوا بعساكِرهم إلى الشَّام . فانْتَشَرَت «مَذاهِبُ الرَّافِضَة» في عامَّةِ بلاد المغرب ومصر والشَّام ودِيار بَكْر والكُوفَة والبَصْرَة وبَغْداد وجَميع العراق وبلاد خُراسان وما وَرَاء النَّهر ، مع بلاد الحِجاز واليَمَن والبَحْرَيْن ، وكانت بينهم وبين أَهْلِ السُّنَّة من الفِتَنِ والحُرُوبِ والمَقَاتِلِ ما لا يُمْكِن حَصْرُه لكثرته [١].

واشْتَهَرَت مَذاهِبُ الفِرَق من القَدَرِيَّة والجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة والكَرَّامِيَّة والخَوارِج والرَّوافِض والقَرامِطَة والباطِنِيَّة حتى ملأتِ الأرْض . وما منهم إلَّا من نَظَرَ في الفَلْسَفَة ، وسَلَكَ من طُرُقِها ما وَقَعَ عليه اخْتيارُه ، فلم يَبْقَ مِصْرٌ من الأمْصَار ، ولا قُطْرٌ من الأقْطار إلَّا وفيه طَوائِفُ كثيرة مِمَّن ذكرنا .

وكان أبو الحَسَن عليّ بن إسْماعيل الأَشْعَري قد أَخَذَ عن أبي عليّ محمد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائي ، ولازَمَه عِدَّةَ أعْوام . ثم بَدَا له فتَرَكَ مَذْهَبَ الاعْتِزال ، وسَلَكَ طَريقَ أبي محمد عبد الله بن محمد بن سَعيدِ بن كُلَّاب [٢] ، ونَسَجَ على قَوانِينِه في الصِّفاتِ والقَدَرِ ، وقال بالفاعِلِ المُخْتَار ، وتَرْكِ القَوْلِ بالتَّحْسين والتَّقْبيح العَقْلِيين ، وما قيل في مَسائِل الصَّلاح والأصْلح ، وأَثْبَت أنَّ العَقْلَ لا يُوجِب المعارِف قَبْل الشَّرْع ، وأنَّ العُلومَ وإن حَصَلَت بالعَقْل فلا تَجِب به ولا يَجِب البَحْثُ عنها إلَّا بالسَّمْع ، وأنَّ الله تعالى لا يَجِب عليه شيءٌ ، وأنَّ النُّبُوَّات من الجائِزات العقلية والواجِبات السَّمْعية ، إلى غير ذلك من مَسائِله التي هي مَوْضُوعُ أُصُولِ الدِّين [٣].

---

[١] المقريزي : المواعظ ٢:١٧٦-٢٠٦.

[٢] حاشية بخَطِّ المؤَلِّف : «عبد الله بن محمد بن سعيد بن كُلَّاب ، من قَوْله : كلام الله هو الله ، فلذلك كان أبو سَهْل عَبَّاد بن سليمان بن علي البَصْري المُعْتَزلي أحد أصحاب هشام بن عمرو الفُوطي يقول إنَّه نَصْراني بهذا القَوْل ويتّهمه أنَّه أخذ هذا من بعض النَّصارىٰ . ومن تصانيفه «كتاب الصِّفات» وكتاب «خَلْق الأفْعال» وكتاب «الرَّدّ على المعتزلة» ، وهم يعدونه من نابتة الحَشَوية . وتوفيَّ في حدود الأربعين ومائتين» .

[٣] المَذْهَبُ الأَشْعَري ، نسبةً إلى الإمام أبي الحَسَن الأَشْعَري (ويقال لأصحابه الأَشَاعِرَة=

مَذْهَبُ الأَشْعَرِيّ

وحَقيقَةُ «مَذْهَبِ الأَشْعَري» ـ رَحِمَهُ الله ـ أَنَّه سَلَكَ طَريقًا بين النَّفْي الذي هو مَذْهَبُ الاعْتِزال ، وبَيْنَ الإِثْبات الذي هو مَذْهَبُ أَهْلِ التَّجْسيم ، وناظرَ على قَوْلِه هذا ، واحْتَجَّ لِمَذْهَبِه . فمالَ إليه جَمَاعَةٌ ، وعَوَّلُوا على رأيه : منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطَّيِّب البَاقِلَّاني المالِكي ، وأبو بكر محمد بن الحَسَنَ بن فُورَك ، والشَّيْخُ أبو إسْحاق إبراهيم بن محمد بن مَهْران الإسْفراييني ، والشَّيْخُ أبو إسْحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسُف الشِّيرازي ، والشَّيْخُ أبو حامِد محمد بن محمد بن أَحْمَد الغَزالي ، وأبو الفَتْح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرَسْتاني ، والإمامُ فَخْرُ الدِّين محمد بن عُمَر بن الحسين الرَّازِي ، وغيرهم مِمَّن يطول ذكره . ونَصَروا مَذْهَبه ، وناظَروا عليه ، وجادَلوا فيه ، واسْتَدَلُّوا له في مُصَنَّفاتٍ لا تَكادُ تُحْصَر . فانْتَشَرَ « مَذْهَبُ أبي الحَسَن الأَشْعَري » في العِراق من نحو سنة ثمانين وثلاث مائة ، وانْتَقَلَ منه إلى الشَّام .

فلمَّا مَلَكَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب ديار مصر ، كان هو وقاضِيه صَدْرُ الدِّين عبد الملك بن عِيسَىٰ بن دِرْباس الماراني على هذا المَذْهَب ، قد نَشَاءا عليه منذ كانَا في خِدْمَة السُّلْطان الملك العادِل نُور الدِّين

=والأَشْعَرِيَّة) ، يُمَثِّل مَذْهَبًا وَسَطًا بين مَوقِف المعتزلة العَقْلي المتطرِّف ومَوْقِف أَهْل السَّلَف من المُحَدِّثين . ورأى الأَشْعَري الأَخذ بقَوْلِ أصحابِ الحديث وأَهْل السُّنَّة ، ويُعَدُّ الأَشْعَري بهذا المذهب ، هو ومعاصره أبو مَنْصور الماتُريدي ، مؤسِّسَا علم الكلام السُّنِّي . ونَجَحَ مَذْهَبُ الأَشْعَري في الانتشار والإحلال مَحَلَّ آراء المعتزلة التي أَخَذَت في الانزواء في القرنين الخامس والسادس للهجرة ووَجَد مكانه في المدارس المشهورة بفَضْل مُسانَدَة السَّلاجِقَة السُّنِّيين الذين أرادوا ضَرْبَ مذاهب الفاطميين الشِّيعَة في مصر والشَّام . (راجع ، RICHARD, J. MACCARTHY, *The Theology of al-Ash'ari*, Beyrouth 1953; G. MAKDISI, «Ash'ari and the Ash'arites in Islamic Religious History», *SI* XVII (1962), pp. 37-80, XVIII (1963), pp. 19-39; W. MONTGOMERY WATT, *EI*[2] art. *al-Ash'arî & al-Ash'ariyya* I, pp. 715-16, 717-18؛ جلال محمد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ، بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥؛ أحمد محمود صبحي : الأشاعرة ، الإسكندرية ـ منشأة المعارف ١٩٧٨) .

محمود بن زَنْكي بدِمَشْق ، وحَفِظَ صَلاحُ الدِّين في صِباه « عَقيدَةً » أَلَّفَها له قُطْبُ الدِّين أبو المعالي مَسْعود بن محمد بن مَسْعود النَّيْسابوري ، وصارَ يُحَفِّظُها صِغارَ أوْلادِه ، فلذلك عَقَدوا الخَناصِرَ وشَدُّوا البَنانَ على مَذْهَبِ الأَشْعَري ، وحَمَلوا في أيَّام دَوْلَتِهم كافَّةَ النَّاسِ على الْتِزامِه . فتَمادَى الحَالُ على ذلك جَميعَ أيَّام الملوك من بني أَيُّوب ، ثم في أيَّام مَواليهم الملوك من الأَتْراك .

واتَّفَقَ مع ذلك تَوَجُّه أبي عبد الله محمد بن تُومَرْت [1] ، أَحَدِ رجالات المغرب ، إلى العِراق ، وأَخَذَ عن أبي حَامِدٍ الغَزالي مَذْهَبَ الأَشْعَري . فلمَّا عادَ إلى بلاد المغرب ، وقامَ في المَصامِدَة يُفَقِّهُهم ويُعَلِّمهم ، وَضَعَ لهم « عَقيدَةً » لَقَفَها عنه عامَّتُهم ، ثم مات . فخَلَفَه بعد مَوْتِه عبدُ المُؤْمن بن عليّ القَيْسي [2]، وتلقَّب بأمير

---

[1] الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تُومَرْت ، مَهْدي المُوَحِّدين ، بدأ رحلته إلى الشَّرق نحو سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م وعاد إلى المغرب بعد أربعة عشر عامًا حيث بايعه المُوَحِّدون سنة ٥١٤هـ أو ٥١٥هـ ، وتوفِّي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م . (راجع ، ابن القطان : نَظْم الجُمان ٦١- ١٤٢؛ ابن الأثير : الكامل ١٠:٥٦٩- ٥٨٢؛ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥- ٢٦٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥:٤٥- ٥٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٩:٥٣٩- ٥٥٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣:٣٢٣- ٣٢٨؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦:١٠٩- ١١٧؛ ابن خلدون : العبر ٦:٢٢٥- ٢٢٩؛ J.F.P. HOPKINS, *EI*[2] (art. *Ibn Tūmart* III, pp.983-84) .

وألَّف ابنُ تُومَرْت لأتباعه «كتاب التَّوْحيد» باللِّسان البَرْبَري وهو سبعة أضراب عدد أيام الجمعة (نظم الجمان ١٢٩). ونُشرت «عَقيدَةُ ابن تومَرْت» المعروفة بـ«عقيدة التَّوْحيد» بعناية J.D. LUCIANI في الجزائر سنة ١٩٠٣؛ وفي القاهرة بتصحيح محيي الدين صبري الكردي سنة ١٩٣٠.

[2] راجع أخبار عبد المُؤمن بن علي القَيْسي ، المتوفَّى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م ، عند المراكشي : المعجب ٢٨٤- ٣٠٣، ٣٢٧- ٣٤٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:٢٣٧- ٢٤١؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠:٣٦٦- ٣٧٥؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٩:٢٣٣- ٢٣٨؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:٣٦٣- ٣٦٤. وراجع عن المُوَحِّدين ودولتهم ، جوزيف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨؛ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القاهرة ١٩٦٤؛ مراجع عقيلة =

المؤْمنين، وغَلَبَ على مَمالِك المغرب هو وأوْلادُه من بعده مُدَّةَ سنين، وتَسَمَّوا بـ «المُوَحِّدين»؛ فلذلك صارَت دَوْلةُ المُوَحِّدين ببلاد المغرب تَسْتَبيحُ دِماءَ مَن خالَف عَقيدَة ابن تُومَرْت، إذ هو عندهم الإمامُ المعلوم المَهْدي المَعْصُوم، فكم أراقُوا بِسَبَبِ ذلك من دِماءِ خَلائِقَ لا يُحْصِيها إلّا الله خالِقُها سبحانه وتعالى، كما هو مَعْروفٌ في كُتُبِ التاريخ.

فكان هذا هو السَّبَبَ في اشْتِهارِ «مَذْهَب الأَشْعَري» وانْتِشاره في أمْصار الإسْلام، بحيث نُسِيَ غيرُه من المذاهِب وجُهِلَ؛ حتى لم يَبْقَ اليوم مَذْهَبٌ يُخالِفه، إلّا أنْ يكون مَذْهَبُ الحَنابِلَة، أتْباعِ الإمام أبي عبد الله أَحْمَد بن محمد ابن حَنْبَل - رضي الله عنه - فإنَّهم كانوا على ما كان عليه السَّلَفُ لا يَرَوْن تأْويلَ ما وَرَدَ من الصِّفات.

إلى أنْ كان بعد السبع مائة من سني الهجرة، اشْتُهِرَ بدِمَشْق وأعْمالِها تَقِيُّ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن عبد الحَليم بن عبد السَّلام بن تَيْمِيَّة الحَرَّاني، فتَصَدَّى للانْتِصار لِمَذْهَبِ السَّلَف، وبالَغَ في الرَّدِّ على مَذْهَب الأشاعِرَة، وصَدَعَ بالنَّكير عليهم وعلى الرَّافِضَة وعلى الصُّوفِيَّة؛ فافْتَرَقَ النَّاسُ فيه فريقان:

فَرِيقٌ يَقْتَدي به، ويُعَوِّلُ على أقْوالِه، ويَعْمَلُ برأيه، ويرى أنَّه شَيْخُ الإسْلام وأَجَلُّ حُفَّاظ أهْلِ المِلَّة الإسلامية. وفريقٌ يُبَدِّعه ويُضَلِّله، ويُزْري عليه بإثْباتِه الصِّفات، ويَنْتَقِد عليه مَسائِل: منها ما له فيه سَلَف، ومنها ما زَعَموا أنَّه خَرَقَ فيه الإجْماع ولم يكن له سَلَف. وكانت له ولَهم خُطُوبٌ كثيرة، وحِسَابُه وحِسابُهم على الله الذي لا يَخْفى عليه شيءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماء، وله إلى وَقْتِنا هذا عِدَّةُ أَتْباعٍ بالشَّام وقليلٌ بمصر[1].

= الغناي: سقوط دولة الموحّدين، بنغازي ١٩٧٥، M. SHATZMILLER, *EI*[2] art. *al-Muwahhîdûn* VII, pp. 803-8.

[1] شيخُ الإسلام تَقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد =

هذا وبين « الأَشاعِرَة » و « الماتُرِيدِيَّة » ، أَتْباعُ أبي مَنْصور محمد بن محمد بن محمود الماتُرِيدي [1] ، وهم طائِفَةُ الفُقَهاء الحَنَفِيّة مُقَلِّدو الإمام أبي حَنيفَة النُّعْمان بن ثابِت وصاحِبَيْه أبي يُوسُف يَعْقُوب بن إبراهيم الحَضْرَمي ومحمد بن الحَسَن الشَّيْباني ـ رضي الله عنهم ـ من الخِلافِ في العقائِد ما هو مَشْهُورٌ في مَوْضِعه . وهو إذا تُتُبِّعَ يَبْلُغ بِضْع عَشْرة مسأَلة ، كان بسَبَبِها في أَوَّلِ الأَمْرِ تَبايُنٌ وتنافُرٌ ، وقَدَحَ كلٌّ منهم في عَقيدَةِ الآخر ، إلَّا أنَّ الأَمْرَ آل آخِرًا إلى الإغْضَاء ، ولله الحَمْد .

فهذا ـ أَعَزَّكَ الله ـ بَيانُ ما كانَت عليه عَقائِدُ الأُمَّة ، من ابْتِداءِ الأَمْر إلى وَقْتِنا هذا ، قد فَصَّلْتُ فيه ما أَجْمَلَه أَهْلُ الأَخْبار ، وأَجْمَلْتُ ما فَصَّلوا . فدونَك ، طالِبَ العِلْم ، تَناوُلَ ما قد بَذَلْتُ فيه جُهْدي ، وأَطَلْتُ بسببه سَهَري

= ابن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تَيْمِيَّة الحَرّاني ، المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م ، عالِمُ عَصْره ذو التصانيف العديدة ، وهو أَصْلُ مَذاهب السَّلَفيين التي تبنَّاها فيما بعد الوَهَّابيون الذين نَشَرُوا أَغْلَب مؤلَّفاته وفتاويه . (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ١: ٢٣٣- ٢٥٣ ، الوافي بالوفيات ٧:١٥- ٣٣؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ١:٧٤- ٨٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٤:١٣٥- ١٤٠؛ المقريزي : المقفى الكبير ١:٤٥٤- ٤٧٩؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١:١٥٤- ١٧٠؛ ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلَّفات ابن تيمية ، دمشق ١٩٥٣؛ محمد عزير شمس وعلي بن محمد العمران : الجامع لسيرة شَيْخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، مكة المكرمة ٢٠٠٠؛ H. LAOUST, «La biographie d'Ibn Taymiyya d'après Ibn Kathir», *BEO* IX (1943), pp. 115-62, ID., *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taymiyya*, Le Caire *IFAO* 1939; ID., *EI*[2] art. *Ibn Taymiyya* (III, pp. 976-79).

[1] أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتُريدي ، المتوفَّى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م ، مُؤَسِّس مَدْرَسَة الكلام السُّنّي الثانية بعد الأشعرية وهو حَنَفي الفُرُوع بعكس الأشعري الذي كان شَافعي الفُرُوع ، والخلاف بين الأَشْعَرية والماتُريدية اخْتلافٌ عرضي في ثلاث عشرة مسألة . وفي حين اعترف الماتُريدي بحرية الإرادة عند الإنسان وفْقًا للقاعدة التي وضعها الإمام أبو حَنيفَة ، دافَع الأَشْعري على الأَخَصّ عن القَوْل بعدم تقييد إرادة الله . (راجع ، القرشي : الجواهر المضية ٣:٣٦٠- ٣٦١؛ W. MADELUNG, *EI*[2] art. *al-Māturidi & al-Māturidiyya* VI, pp. 836-39; F. SEZGIN, *GAS* I, pp. 604-6).

وكَدِّي في تَصَفُّح دَواوين الإسْلام وكُتُبِ الأخْبار. فقد وَصَلَ إليك صَفْوًا، ونِلْتَه عَفْوًا بلا تَكَلُّفِ مَشَقَّةٍ ولا بَذْلِ مَجْهودٍ، ﴿ولَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية ١١ سورة إبراهيم].

أبُو الحَسَن الأشْعَرِيّ

أبو الحسن علي بن إسْماعيل بن أبي بِشْر إسْحاق بن سالِم بن إسْماعيل بن عبد الله بن مُوسىٰ بن بِلال بن أبي بُرْدَة عامِر بن أبي مُوسىٰ ـ واسمه عبد الله بن قَيْس ـ الأشْعَري البَصْري. وُلِدَ سنة ستٍّ وستين ومائتين، وقيل سنة سبعين، وتوفِّي ببَغْداد سنة بِضْعٍ وثلاثين وثلاث مائة، وقيل سنة أرْبعٍ وعشرين وثلاث مائةٍ[1].

سَمِعَ زَكريا السّاجي، وأبا خَليفة الجُمَحي، وسَهْل بن نُوح، ومحمد بن يَعْقُوب المُقْرئ، وعبد الرَّحْمَن بن خَلَف الضَّبِّي المصري. ورَوَى عنهم في تَفْسيره كثيرًا، وتَلْمَذَ لزَوْجِ أمِّه أبي علي محمد بن عبد الوَهَّاب الجُبَّائي، واقْتَدَى برأيه في الاعْتِزالِ عِدَّةَ سنين حتى صارَ من أئِمَّة المُعْتَزِلة، ثم رَجَعَ عن القَوْلِ بخَلْقِ القُرْآن وغيره من آراءِ المُعْتَزِلَة.

وصَعِدَ يوم الجُمُعَة بجَامِعِ البَصْرَة كُرْسِيًّا، ونادَى بأعْلى صَوْتِه: من عَرَفَني فقد عَرَفَني، ومن لم يَعْرِفْني فأنا أُعَرِّفه بنَفْسي. أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخَلْقِ القُرْآن، وإنَّ الله لا يُرَى بالأبْصار، وإنَّ أفْعالَ الشَّرِّ أنا أفْعَلُها. وأنا تائِبٌ مُقْلِعٌ، مُعْتَقِدٌ الرَّدَّ على المُعْتَزِلَة، مُبَيِّنٌ لفَضائِحهم ومَعايِبهم.

---

[1] انظر ترجمة أبي الحسَن الأشعَري أيضًا عند، الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام ١٣: ٢٦٠ – ٢٦١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٨٤– ٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٨٥– ٩٠؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٤٧– ٤٤٤؛ W. Montgomery Watt, *EI*² art. *al-Ashʿarī* I, pp. 715-16، وفيما تقدم ١٠٥– ١٠٦.

وأَخَذَ من حينئذٍ في الرَّدِّ عليهم، وسَلَكَ بَعْضَ طَريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سَعيد بن كُلَّاب القَطَّان[١]، وبَنَى على قَواعِدِه، وصَنَّفَ خمسة وخمسين تَصْنيفًا، منها: «كِتابُ اللُّمَع»، و«كِتابُ المُوجَز»، وكِتابُ «إيضاح البُرْهان»، وكِتابُ «التَّبْيين على أُصُولِ الدِّين»، وكِتابُ «الشَّرْح والتَّفْصيل في الرَّدِّ على أَهْلِ الإفْك والتَّضْليل»، و«كِتابُ الإبانَة»، وكِتابُ «تَفْسير القُرْآن» يُقالُ إنَّه في سبعين مُجَلَّدًا[٢].

وكانت غَلَّتُه من ضَيْعَةٍ وَقَفَها بِلالُ بن أبي بُرْدَة على عَقِبه، وكانت نَفَقَتُه في السنة سبعة عشر دِرْهَمًا، وكانت فيه دُعابَةٌ ومَزْحٌ كثير.

وقال مَسْعود بن شَيْبَة في «كِتابِ التَّعْليم»: كان حَنَفيَّ المَذْهب، مُعْتَزِليَّ الكَلام، لأنَّه كان رَبيبَ أبي عليٍّ الجُبَّائي، وهو الذي رَبَّاه وعَلَّمَه الكَلام. وذَكَرَ الخَطيبُ أنَّه كان يجلس أيَّامَ الجُمُعات في حَلْقَةِ أبي إسحاقِ المَرْوَزي الفَقيه في جَامِعِ المَنْصُور[٣].

وعن أبي بكر بن الصَّيْرَفي: كان المُعْتَزِلَةُ قد رَفَعوا رُءُوسَهم حتى أَظْهَر الله تعالى الأَشْعَري، فحَجَزَهم في أقْماعِ السَّماسِم.

وجُمْلَةُ عَقيدَته: أنَّ الله تعالى عالِمٌ بعِلْم، قادِرٌ بقُدْرَة، حَيٌّ بحَياة، مُريدٌ بإرادَة، مُتَكَلِّمٌ بكَلام، سَميعٌ بسَمْعٍ، بَصيرٌ ببَصَرٍ، وأنَّ صِفاتَه أَزَليَّة قائِمَةٌ بذاتِه تعالى، لا يُقالُ هي هو ولا هي غيره، ولا لا هي هو ولا غيره، وعِلْمُه واحِدٌ يتعلَّق بجميع المعلومات، وقُدْرَتُه واحِدَةٌ تتعلَّق بجميع ما يَصِحّ وُجودُه، وإرادتُه واحِدَةٌ تتعلَّق بجميع ما يَقْبَل الاخْتصاص، وكلامُه واحِدٌ: هو أَمْرٌ ونَهْيٌ، وخَبَرٌ واسْتِخْبارٌ، ووَعْدٌ ووَعيد.

---

[١] انظر فيما تقدم ٥٠١هـ[٢].

[٢] راجع F. Sezgin, *GAS* I, pp. 602-4.

[٣] الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام ١٣: ٢٦٠.

وهذه الوُجُوه راجِعَةٌ إلى اعْتباراتٍ في كلامه لا إلى نَفْس الكلام، والألْفاظ المُنَزَّلَة على لِسان الملائكة إلى الأنبياء دِلالات على الكلام الأَزَلي. فالمَدْلول ـ وهو القُرْآن المَقْرُوء ـ قَديمٌ أَزَليّ، والدَّلالة ـ وهي العبارات، وهي القِراءَة ـ مخلوقَةٌ مُحْدَثَة.

قال: وفَرَّقَ بين القِراءَة والمَقْروء، والتِّلاوة والمَتْلُو. كما فَرَّقَ بين الذِّكْر والمَذْكور، قال: والكَلامُ معنًى قائِمٌ بالنَّفْس، والعبارَة دالَّةٌ على ما في النَّفْس، وإنَّما تُسَمَّى العِبارَة كلامًا مَجازًا.

قال: وأرادَ الله تعالى جَميعَ الكائِنات: خَيْرها وشَرّها ونَفْعِها وضَرّها. ومالَ في كلامِه إلى جَواز تَكْليف ما لا يُطاق، لقَوْله: إنَّ الاسْتِطاعَة مع الفِعْل، وهو مُكَلَّف بالفِعْل قَبْله، وهو غير مُسْتَطيع قَبْله، على مَذْهَبِه، قال: وجَميعُ أفْعالِ العِبادِ مَخْلوقَة مُبْدَعَة من الله تعالى، مُكْتَسَبَة للعَبْد، والكَسْبُ عِبارَة عن الفِعْل القائِم بمَحَلّ قُدْرَة العبْد.

قال: والخالِقُ هو الله تعالى حقيقَةً، لا يُشارِكه في الخَلْق غَيْرُه، فأَخَصُّ وَصْفِه هو القُدْرَة والاخْتِراع، وهذا تَفْسيرُ اسمه البارئ.

قال: وكُلُّ مَوْجُودٍ يَصِحّ أن يُرَى، والله تعالى مَوْجُود، فيَصِحّ أنْ يُرَى، وقد صَحَّ السَّمْع بأنَّ المؤمنين يَرَوْنَه في الدَّار الأُخرى في الكِتاب والسُّنَّة، ولا يَجُوزُ أنْ يُرَى في مَكانٍ ولا صُورَةٍ مقابلة واتِّصال شُعاع، فإنَّ ذلك كلَّه مُحال. وماهِيَّة الرُّؤْيَة له فيها رأيان: أحَدُهُما أنَّه عِلْمٌ مَخْصوص يَتَعلَّق بالوُجُود دون العَدَم، والثاني أنَّه إدْراكٌ وراء العِلْم. وأَثْبَتَ السَّمْع والبَصَر صِفَتَين أزليتين، هما إدْراكان وَرَاء العِلْم. وأَثْبَت اليَدَيْن والوَجْه صِفات خَبَرِيَّة، ورَدَّ السَّمْع بها فيجب الاعْتِراف به.

وخالَفَ المُعْتَزِلَة في الوَعْدِ والوَعيد، والسَّمْعِ والعَقْلِ من كلّ وَجْه. وقال: الإيمانُ هو التَّصْديقُ بالقَلْبِ، والقَوْلُ باللِّسان. والعَمَلُ بالأرْكان فُرُوع الإيمان:

فمَن صَدَّقَ بالقَلْبِ ، أي أَقَرَّ بوَحْدانية الله تعالى ، واعْتَرَفَ بالرُّسُل تَصْديقًا لهم فيما جاءُوا به ، فهو مُؤْمِن . وصَاحِبُ الكبيرة إذا خَرَجَ من الدُّنْيا من غير تَوْبَة ، حُكْمُه إلى الله : إمَّا أن يَغْفِرَ له برَحْمَتِه أو يَشْفَع له رُسُولُ الله ﷺ ، وإمَّا أنْ يُعَذِّبه بعَدْلِه ، ثم يُدْخِله الجَنَّة برَحْمَتِه ، ولا يُخَلَّد في النَّارِ مُؤْمِنٌ .

قال : ولا أقولُ إنَّه يَجب على الله سبحانه قَبولُ تَوْبَته بحُكْمِ العَقْل ، لأنَّه هو المُوجِب ، لا يجب عليه شيءٌ أصْلًا ، بل قد وَرَدَ السَّمْعُ بقبول تَوْبَة التَّائبين ، وإجابةِ دَعْوَة المضْطَرِّين . وهو المالِكُ لخَلْقِه يَفْعَل ما يَشاء ، ويَحْكُم ما يُريد ، فلو أَدْخَلَ الخَلائِق بأَجْمَعِهِم النَّار لم يكن جَوْرًا ، ولو أَدْخَلَهم الجَنَّة لم يكن حَيْفًا ، ولا يُتَصَوَّر منه ظُلْمٌ ، ولا يُنْسَبُ إليه جَوْرٌ ؛ لأنَّه الملك المُطْلَق .

والواجِباتُ كلُّها سَمْعِيَّة ، فلا يُوجِب العَقْل شيئًا ألبتَّة ، ولا يَقْتَضي تَحْسينًا ولا تَقْبيحًا . فمَعْرِفَةُ الله تعالى ، وشُكْرُ المُنْعِم ، وإثابَةُ الطَّائِع ، وعِقابُ العاصِي ، كلُّ ذلك بحَسَبِ السَّمْع دون العَقْل . ولا يجب على الله شيء : لا صَلاح ولا أَصْلَح ولا أَلْطَف ، بل الثَّواب والصَّلاح واللُّطْف والنِّعَم ، كلّها تَفَضُّلٌ من الله تعالى . ولا يَرْجِع إليه تعالى نَفْعٌ ولا ضُرٌّ ، فلا يَنْتَفِع بشُكْرِ شاكِرٍ ، ولا يَتَضَرَّر بكُفْرِ كافِرٍ ، بل يَتَعالى ويَتَقَدَّس عن ذلك .

وبَعْثُ الرُّسُل جَائِزٌ لا واجِبٌ ولا مُسْتَحيل . فإذا بَعَثَ الله تعالى الرَّسُولَ ، وأَيَّدَه بالمعجزة الخارِقَة للعادَة ، وتَحَدَّى ودَعَا النَّاس ، وَجَبَ الإصْغاءُ إليه ، والاسْتِماعُ منه ، والامْتِثالُ لأوامِره ، والانْتهاءُ عن نواهِيه . وكَراماتُ الأَوْلياءِ حَقٌّ ، والإيمانُ بما جَاءَ في القُرْآن والسُّنَّة من الإخْبار عن الأُمورِ الغائِبَة عَنَّا ـ مثل اللَّوْح والقَلَم ، والعَرْش والكُرْسي ، والجَنَّة والنَّار ـ حَقٌّ وصِدْقٌ .

وكذلك الإخْبارُ عن الأُمورِ التي سَتَقَعُ في الآخِرة : مثل سُؤَال القَبْر ، والثَّواب والعِقاب فيه ، والحَشْر والمَعاد ، والمِيزَان والصِّراط ، وانْقِسَام فَريقٍ في الجَنَّة وفريقٍ في السَّعير ، كلُّ ذلك حَقٌّ وصِدْقٌ يجب الإيمانُ والاعْتِرافُ به . والإمَامَةُ تَثْبُت

بالاتِّفاق والاخْتِيار دون النَّصّ والتَّعْيين على واحِدٍ مُعَيَّن ، والأَئِمَّةُ مُتَرَتِّبون في الفَضْل تَرَتُّبَهم في الإمامَة .

قال : ولا أقُولُ في عائِشَةَ وطَلْحَة والزُّبَيْر ، ـ رضي الله عنهم ـ إلَّا أنَّهم رَجَعوا عن الخَطَأ . وأقولُ : إنَّ طَلْحَة والزُّبَيْر من العَشَرَة المُبَشَّرين بالجَنَّة ، وأقُولُ في مُعاوِيَة وعَمْرو بن العَاص : إنَّهما بَغَيا على الإمام الحَقّ عليّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنهم ـ فقاتَلَهم مُقاتَلَة أهْل البَغْي . وأقُولُ : إنَّ أهْلَ النَّهْروان الشُّراة هم المارِقون عن الدِّين ، وإنَّ عَلِيًّا ـ رضي الله عنه ـ كان على الحَقّ في جَميعِ أحْوالِه ، والحَقُّ معه حيث دار .

فهذه جُمْلَةٌ من أُصُولِ عَقيدَتِه التي عليها الآن جماهِيرُ أهْلِ الأمْصَار الإسلامية ، والتي مَنْ جَهَر بخِلافِها أُريقَ دَمُه .

والأَشاعِرَةُ يُسَمُّون « الصِّفاتِيَّة » لإثْباتِهم صِفاتِ الله تعالى القَديمَة ، ثم افْتَرقُوا في الألْفاظِ الوارِدَة في الكِتاب والسُّنَّة ـ كالاسْتِواء ، والنُّزُول ، والأصْبُع واليَدِ ، والقَدَم ، والصُّورَة ، والجَنْب ، والمَجِيء ـ على فِرْقَتَيْن : فِرْقَةٍ تُؤَوِّلُ جَميعَ ذلك على وُجوهٍ محتملة اللَّفْظ . وفِرْقَةٍ لم يَتَعَرَّضُوا للتأويل ، ولا صارُوا إلى التَّشْبيه ، ويُقالُ لهؤلاء « الأَشْعَرِيَّة الأَثَرية »[a].

فصارَ للمسلمين في ذلك خمسةُ أقْوال : أَحَدُها : اعْتِقادُ ما يُفْهَم مثله من اللُّغَة ، وثانيها : السُّكوت عنها مُطْلَقًا ، وثالثُها : السُّكُوت عنها بعد نَفْي إرادَة الظَّاهِر ، ورابعُها : حَمْلُها على المَجاز ، وخامسُها : حَمْلُها على الاشْتِراك . ولكلٍّ فريقٍ أدِلَّة وحِجاج تَضَمَّنَتها كُتُبُ أصُولِ الدِّين ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [الآيتان ١١٨، ١١٩ سورة هود] ، ﴿والله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية ١١٣ سورة البقرة] .

---

a) بولاق : الأسرية .

فَصْـل

اعْلَم أنَّ الله سُبْحانَه طَلَبَ من الخَلْقِ مَعْرِفته بقَوْلِه تعالى : ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُون﴾ [الآية ٥٦ سورة الذاريات] . قال ابنُ عَبَّاس وغيره : يَعْرِفُون . فخَلَقَ تعالى الخَلْق ، وتَعَرَّفَ إليهم بألْسِنَة الشَّرائِع المنزَّلة ، فعَرَفَه من عَرَفَه سبحانه منهم على ما عَرَّفَهم فيما تَعَرَّفَ به إليهم .

وقد كان النَّاسُ ، قَبْلِ إنْزالِ الشَّرائِع ببَعْثَة الرُّسُل ـ عليهم السلام ـ عِلْمهم بالله تعالى إنَّما هو بطَريقِ التَّنْزيه له عن سِماتِ الحُدُوث ، وعن التَّرْكيب ، وعن الافْتِقار ، ويَصِفُونه سبحانه بالاقْتِدار المُطْلَق . وهذا التَّنْزيه هو المشهور عَقْلًا ، ولا يَتَعَدَّاه عَقْلٌ أصْلًا .

فلمَّا أنْزَلَ الله شَريعَتَه على رَسُولِه مُحَمَّد ﷺ ، وأكْمَل دِينَه ، كان سَبيلُ العارِف بالله أنْ يَجْمَعَ في معرفته بالله بين مَعْرِفَتَيْن: إحْداهُما المَعْرِفَة التي تَقْتَضيها الأدِلَّةُ العَقْلِيةُ ، والأخرى المَعْرِفَةُ التي جاءَت بها الإخْبارات الإلهية ، وأنْ يَرُدَّ عِلْمَ ذلك إلى الله تعالى ، ويؤمن به وبكلٍّ ما جاءَت به الشَّريعَة على الوَجْهِ الذي أرادَه الله تعالى ، من غير تأويلٍ بفِكْره ، ولا تَحَكُّم فيه برَأْيه .

وذلك أنَّ الشَّرائعَ إنَّما أنْزَلَها الله تعالى لعَدَمِ اسْتِقْلالِ العُقُولِ البَشَريَّة بإدْراكِ حَقائِق الأشياء على ما هي عليه في عِلْم الله . وأنَّى لها ذلك وقد تَقَيَّدَت بما عندها من إطْلاقِ ما هنالك ؟ فإنْ وَهَبَها عِلْمًا بمُرادِه من الأوْضاع الشَّرْعية ، ومَنَحها الاطِّلاع على حُكْمِه في ذلك كان من فَضْلِه تعالى . فلا يُضيفُ العارِفُ هذه المِنَّة إلى فِكْره ، فإنَّ تَنْزيهَه لرَبِّه تعالى بفِكْره يجب أنْ يكون مُطابقًا لما أنْزَلَه سبحانه على لِسانِ رَسُولِه ﷺ من الكِتاب والسُّنَّة . وإلَّا فهو تعالى مُنَزَّهٌ عن تَنْزيه عُقُول البَشَر بأفْكارِها ، فإنَّها مُقَيَّدة بأوْطارِها ، فتَنْزيهها كذلك مُقَيَّد بحَسَبِها وبمُوجِب أحْكامِها وآثارِها ـ إلَّا إذا خَلَت عن الهَوَى ، فإنَّها حينئذٍ يَكْشِفُ الله لها الغِطاء عن

بَصائِرِها ، ويَهْديها إلى الحَقّ . فتُنَزَّهه تعالى عن التَّنْزيهات العُرْفِيَّة بالأفْكار العادية .

وقد أَجْمَعَ المُسْلمون قاطِبَةً على جَوازِ رِوايَةِ الأحاديث الوَارِدَة في الصِّفات ونَقْلِها وتَبْليغِها ، من غير خِلافٍ بينهم في ذلك . ثم أَجْمَعَ أَهْلُ الحَقِّ منهم على أنَّ هذه الأحاديث مَصْروفَة عن احْتِمال مُشابَهَة الخَلْق ، لقَوْلِ الله تعالى :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ، ولقول الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ * الله الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد﴾ [الآيات ١-٤ سورة الإخلاص] ، وهذه السُّورَة يُقالُ لها : سُورَة الإخْلاص . وقد عَظَّمَ رَسُولُ الله ﷺ شَأْنَها ، ورَغَّبَ أُمَّتَه في تِلاوَتِها حتى جَعَلَها تَعْدِل ثُلُثَ القُرآن من أجْل أنَّها شَاهِدَةٌ بتَنْزيه الله تعالى، وعَدَم الشَّبَه والمِثْل له سُبْحانه. وسُمِّيَت « سُورَة الإخْلاص » ، لاشْتِمالِها على إخْلاصِ التَّوْحيد لله عن أن يَشُوبَه مَيْلٌ إلى تَشْبيهه بالخَلْق . وأمَّا الكاف التي في قَوْله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ فإنَّها زائِدَة . وقد تَقَرَّر أنَّ الكاف والمثل في كلام العَرَب أتيا للتَّشْبيه ، فجَمَعَهما الله تعالى ، ثم نَفَى بهما عنه ذلك .

فإذا ثَبَتَ إجْماعُ المسلمين على جَوازِ رواية هذه الأحاديث ونَقْلها ، مع إجْماعِهم على أنَّها مَصْروفَة عن التَّشْبيه ، لم يَبْق في تَعْظيم الله تعالى بذِكْرِها إلَّا نَفْي التَّعْطيل ، لكون أعْداء المرسلين سَمَّوا رَبَّهم سبحانه أسْمَاءَ نَفَوْا فيها صِفاتِه العُلا . فقال قَوْمٌ من الكُفَّار : هو طَبيعَة ، وقال آخرون منهم : هو عِلَّة ، إلى غير ذلك من إلْحادِهم في أسْمائِه سُبْحانه . فقال رَسُولُ الله ﷺ هذه الأحاديثَ المشتملة على ذِكْر صِفاتِ الله العُلا ، ونَقَلَها عنه أصْحابُه البَرَرَة ، ثم نَقَلَها عنهم أئِمَّةُ المسلمين ، حتى انتهت إلينا ، وكلٌّ منهم يَرْويها بصِفَتها من غير تأْويلٍ لشيء منها ، مع عِلْمِنا أنَّهم كانوا يَعْتَقِدون أنَّ الله سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى]، ففَهِمْنا من ذلك أنَّ الله تعالى أرادَ ـ بما نَطَقَ به رَسُولُه ﷺ من هذه الأحاديث ، وتَناوَلَها عنه الصَّحابَة ـ رضي الله

عنهم ـ وبَلَّغُوها لأُمَّته ـ أنْ يُغَصّ بها في حُلُوق الكافِرين ، وأنْ يكون ذِكْرُها نَكْتًا في قُلُوبِ كلِّ ضَالٍّ مُعَطِّلٍ مُبْتَدِع يَقْفُو أَثَرَ المُبْتَدِعَة من أَهْلِ الطَّبائِع وعُبَّاد العِلَل . فلذلك وَصَفَ الله تعالى نفسه الكريمة بها في كِتابِه ، ووَصَفَه رَسُولُ الله ﷺ أيضًا بما صَحَّ عنه وثَبَت .

فدَلَّ على أنَّ المُؤمِن إذا اعْتَقَدَ أنَّ الله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ، وأنَّه أحَدٌ صَمَدٌ ، لم يَلِد ولم يُولَد ، ولم يَكُن له كُفُوًا أحَد ، كان ذِكْرُه لهذه الأحاديث تَمْكِين الإثْبات ، وشَجًا في حُلُوق المُعَطِّلة . وقد قال الشَّافِعِيُّ ، رَحِمَهُ الله : « الإثْباتُ أمْكَن » ، نَقَلَه الخَطَّابي . ولم يَبْلُغْنا عن أَحَدٍ من الصَّحابَة والتَّابعين وتابِعيهم أنَّهم أوَّلُوا هذه الأحاديث .

والذي يَمْنَع من تأويلها إجْلالُ الله تعالى عن أنْ تُضْرَبَ له الأمْثال ، وأنَّه إذا نَزَل القُرْآنُ بصِفَةٍ من صِفاتِ الله تعالى ، كقَوْله سبحانه : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية ١٠ سورة الفتح] ، فإنَّ نَفْسَ تِلاوَة هذا يَفْهَم منها السَّامِعُ المَعْنَى المُراد به ، وكذا قَوْلُه تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة] عند حكايته تعالى عن اليَهود نِسْبَتَهم إيَّاه إلى البُخْل ، فقال تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة] ، فإنَّ نَفْسَ تِلاوَة هذا مُبَيِّنَة للمَعْنَى المَقْصُود .

وأيضًا فإنَّ تأويلَ هذه الأحاديث يَحْتاجُ أنْ يَضْرِبَ لله تعالى فيها المَثَل ، نحو قَوْلِهم في قَوْلِه تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الآية ٥ سورة طه] : الاسْتِواءُ : الاسْتِيلاء ، كقَوْلك « اسْتَوَى الأمير على البَلَد » . وأنْشَدُوا : « قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِراق » فلَزِمَهم تَشْبيه البارئ تعالى ببِشْر .

وأهْلُ الإثْباتِ نَزَّهُوا جَلالَ الله عن أنْ يُشَبِّهوه بالأجْسام حَقيقةً ولا مَجازًا ، وعَلِمُوا ـ مع ذلك ـ أنَّ هذا النُّطْقَ يشتمل على كلماتٍ مُتداوَلَة بين الخَالِق وخَلْقِه ، وتَحَرَّجُوا أنْ يقولوا مُشْتَرَكة ، لأنَّ الله تعالى لا شَريكَ له . ولذلك لم يتأوَّل السَّلَفُ

شيئًا من أحادِيث الصِّفات ، مع عِلْمِنا قَطْعًا أنَّها عندهم مَصْروفَة عَمَّا يَسْبق إليه ظُنون الجُهَّال من مُشابَهَتها لِصفاتِ المَخْلوقين .

وتأمَّلْ تَجِدِ الله تعالى لمَّا ذَكَرَ المَخْلُوقات المتولِّدَة من الذَّكَر و الأنْثَى في قَوْلِه سبحانه : ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ، عَلِم سُبْحانُه ما يَخْطِر بقُلُوبِ الخَلْقِ فقال عَزَّ مِنْ قائِل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ .

واعْلَم أنَّ السَّبَبَ في خُرُوجِ أكثر الطَّوائِف عن دِيانَة الإسْلام : أَنَّ الفُرْسَ كانت من سَعَةِ المُلْك ، وعُلُوِّ اليد على جَميعِ الأُمَم ، وجَلالَة الخَطَر في أنْفُسها ، بحيث إنَّهم كانوا يُسَمُّون أنفسهم الأحْرار والأبْناء[a] ، وكانوا يَعُدُّون سائر النَّاس عَبيدًا لهم . فلمَّا امْتُحِنُوا بزَوالِ الدَّولَة عنهم على أيْدي العَرَب - وكانتِ العَرَبُ عند الفُرْسِ أَقَلَّ الأُمَم خَطَرًا - تَعاظَمَهم الأَمْرُ ، وتضاعَفَت لديهم المُصيبَة - وراموا كَيْدَ الإسْلام بالمُحارَبَة في أوْقاتٍ شَتَّى ، وفي كلِّ ذلك يُظْهِرُ الله تعالى الحَقّ .

وكان من قائميهم سُنْفاد وأشليس[b] والمُقَلَّع[c] وبابَك وغيرُهم ، وقَبْل هؤلاء رامَ ذلك عَمَّار - الملقب خَدَّاش - وأبو مُسْلِم السروح ، فرأوا أنَّ كَيْدَه على الحيلةِ أَنْجَع ، فأَظهَرَ قَوْمٌ منهم الإسْلام ، واسْتَمالُوا أهْلَ التَّشَيُّع بإظْهار مَحبَّة أهْلِ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ واسْتِبْشاع ظُلْم عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه - ثم سَلَكُوا بهم مَسالِكَ شَتَّى حتى أخْرَجُوهم عن طَريقِ الهُدَىٰ .

فَقَوْمٌ أدْخَلُوهم إلى القَوْلِ بأنَّ رَجُلًا يُنْتَظَر ، يُدْعَى المَهْدي ، عنده حَقيقَةُ الدِّين ، إذْ لا يَجُوزُ أن يُؤْخَذ الدِّينُ عن كُفَّارٍ ، إذْ نَسَبُوا أصْحابَ رَسُولِ الله ﷺ إلى الكُفْر . وقَوْمٌ خَرَجُوا إلى القَوْلِ بادِّعاء النُّبُوَّة لقَوْمٍ سَمَّوهم به . وقَوْمٌ

---

a) بولاق : الأسياد . b) بولاق : أشنيس . c) بولاق : المقفع .

سَلكوا بهم إلى القَوْل بالحُلُول، وسُقُوط الشَّرائِع. وآخَرون تَلاعَبُوا بهم، فأَوْجَبُوا عليهم خمسين صَلاة في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَة. وآخَرُون قالوا: بل هي سَبْع عشرة صَلاة، في كلِّ صَلاةٍ خَمْس عشرة رَكْعَة. وهو قَوْلُ عبد الله بن عَمْرو ابن الحارِث الكِنْدي قبل أنْ يصير خارِجيًّا صُفْرِيًّا.

وقد أَظْهَرَ عبدُ الله بن سَبَأ الحِمْيَري اليَهُودي الإسْلامَ ليَكيدَ أهْلَه، فكان هو أصْلَ إثارَة النَّاسِ على عُثْمان بن عَفَّان ـ رضي الله عنه. أَحْرَقَ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ منهم طَوائِفَ أعْلَنُوا بِإلَهِيَّته. ومن هذه الأصُول حَدَثَتِ الإسْماعيلية والقَرامِطَة.

والحَقُّ الذي لا رَيْبَ فيه أنَّ دِينَ الله تعالى ظاهِرٌ لا باطِنٌ فيه، وجَوْهَرٌ لا سِرَّ تَحْتَه، وهو كلُّه لازِمٌ كُلَّ أحَدٍ لا مُسامَحَة فيه. ولم يَكْتُم رَسُولُ الله ﷺ من الشَّريعَة ولا كلمة، ولا أَطْلَعَ أَخَصَّ النَّاس به، من زَوْجة أو وَلَد عَمٍّ، على شيءٍ من الشَّريعَة كَتَمه عن الأحْمَر والأسْوَد ورُعاة الغَنَم. ولا كان عنده ﷺ سِرّ، ولا رَمْز، ولا باطِن غير ما دَعَا النَّاسَ كلَّهم إليه. ولو كَتَمَ شيئًا لما بَلَّغَ كما أُمِر، ومن قال هذا فهو كافِرٌ بإجْماع الأُمَّة.

وأصْلُ كلِّ بِدْعَةٍ في الدِّين البُعْد عن كلام السَّلَف، والانْحِراف عن اعْتِقادِ الصَّدْر الأوَّلِ؛ حتَّى بالَغَ القَدَري في القَدَر فجَعَلَ العَبْدَ خالِقًا لأفْعالِه، وبالَغَ الجَبْري في مُقابَلَته فسَلَبَ عنه الفِعْل والاخْتيار، وبالَغَ المُعَطِّل في التَّنْزيه فسَلَبَ عن الله تعالى صِفات الجَلال ونُعُوت الكَمال، وبالَغَ المُشَبِّه في مُقابَلَته فجَعَلَه كواحِدٍ من البَشَر، وبالَغَ المُرْجِئ في سَلْبِ العِقاب، وبالَغَ المُعْتَزِلي في التَّخْليدِ في العَذاب، وبالَغَ النَّاصِبي في دَفْعِ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ عن الإمامَة، وبالَغَتِ الغُلاةُ حتَّى جَعَلُوه إلهًا، وبالَغَ السُّنِّي في تَقْديم أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وبالَغَ الرَّافِضِي في تأْخِيره حتى كَفَّرَه.

ومَيْدانُ الظَّنِّ وَاسِعٌ ، وحُكْمُ الوَهْمِ غالِبٌ ، فتَعارَضَتِ الظُّنونُ ، وكَثُرَتِ الأوْهامُ ، وبَلَغَ كلُّ فَرِيقٍ في الشَّرِّ والعِنَادِ والبَغْي والفَسَادِ إلى أقْصَى غايَة وأبْعَد نِهايَة ، وتَباغَضُوا وتَلاعَنُوا ، واسْتَحَلُّوا الأمْوالَ ، واسْتَباحُوا الدِّماءَ ، وانْتَصَرُوا بالدُّوَلِ ، واسْتَعانُوا بالمُلُوك . فلو كان أحَدُهُم إذا بَالَغَ في أَمْرٍ ، نازَعَ الآخَرَ في القُرْبِ منه ـ فإنَّ الظَّنَّ لا يَبْعُد عن الظَّنِّ كثيرًا ، ولا يَنْتَهي في المُنازَعَة إلى الطَّرَفِ الآخَر من طَرَفي التَّقابُل ـ لكنهم أبَوْا إلَّا ما قَدَّمْنا ذِكْره من التَّدابُر والتَّقاطُع ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [الآيتان ١١٨، ١١٩ سورة هود] .

ثَبَتُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ وَبَيَانُ طَبَعَاتِهَا

المَصَادِرُ العَرَبِيَّةُ

ابنُ الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضَاعي) المتوفَّى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م.

«الحُلَّةُ السِّيَرَاء»، ١ـ٢، حَقَّقَه وعَلَّقَ حواشيه حسين مؤنس، القاهرة ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م.

ابنُ الأثير (عزُّ الدِّين أبو الحَسَن علي بن محمد) المتوفَّى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م.

«التَّاريخُ البَاهِر في الدَّوْلَة الأُتابِكية»، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ـ دار الكتب الحديثة ١٩٦٣م.

«الكامِلُ في التَّاريخ»، ١ـ١٣، بيروت ـ دار صادر ١٩٦٥ـ١٩٦٧م.

«اللُّبابُ في تَهْذيبِ الأنْسَاب»، ١ـ٣، تَصْحيح حُسام الدِّين القُدْسي، القاهرة ـ مكتبة القُدْسي ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

الأسْفَرايِيني (أبو المُظَفَّر طَاهِر بن محمد) المتوفَّى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م.

«التَّبْصيرُ في الدِّين وتَمْييزُ الفِرْقَةِ النَّاجية عن الفِرَقِ الهالِكين»، تحقيق كمال يُوسُف الحُوت، بيروت ـ عالم الكتب ١٩٨٣م.

الأَشْعَري (أبو الحَسَن علي بن إسماعيل) المتوفَّى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م.

«أصول أهل السُّنَّة والجماعة المسماة رسالة إلى أهل الثَّغْر»، تحقيق محمد السَّيِّد الجَلَيْند، القاهرة ١٩٨٧م.

«الإبانة عن أصول الديانة»، تحقيق وتعليق فوقية حسين محمود، القاهرة ـ دار الأنصار ١٩٧٧م.

«مَقالاتُ الإسْلاميين واخْتِلافُ المُصَلِّين»، عني بتصحيحه هلموت ريتر، النشرات الإسلامية ـ ١، ڤيسبادن ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

ابنُ إياس (أبو البَرَكات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي) المتوفَّى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م.

«بَدائِعُ الزُّهور في وَقائِع الدهور»، ١ـ٥، تحقيق محمد مصطفى، النشرات الإسلامية ـ ٥، القاهرة ـ ڤيسبادن ١٩٦١ـ١٩٧٥م.

ابنُ أيْبَك الدَّواداري (أبو بَكْر عبد الله بن أيْبَك) المتوفَّى بعد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م.

«كَنْزُ الدُّرَر وجَامِعُ الغُرَر» ـ الجزء الخامس المسمى «الدُّرَّة السَّنِيَّة في أَخْبارِ الدَّوْلَة العَبَّاسية»، تحقيق دوروتيا كراڤولسكي، بيروت ـ ١٩٩٢، الجزء السَّادس المسمى «الدُّرَّة المُضِيَّة في أخبارِ الدَّوْلَة الفاطِمية»، تحقيق صلاح الدين المنجد، الجزء السابع المسمى «الدُّر المَطْلوب في أخبار مُلُوك بني أَيُّوب» تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الثامن المسمى «الدُّرَّة الزَّكِيَّة في أَخْبارِ الدَّوْلَة التُّرْكية»، تحقيق أولرخ هارمان، الجزء التاسع المسمى «الدُّرّ الفَاخِرِ في سِيرَةِ الملك النَّاصر» تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة ـ المعهد الألماني للآثار ١٩٦٠ ـ ١٩٧٢م.

البَغْدادي (أبو مَنْصُور عبد القاهِر بن طاهِر الأسفراييني) المتوفَّى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

«الفَرْقُ بين الفِرَق»، حَقَّقَ أُصُولَه وفَصَّلَه وضَبَطَ مشكله وعَلَّقَ حواشيه محمد محيي الدِّين عبد الحميد، القاهرة ـ مكتبة محمد علي صبيح ١٩٦٤م.

البَلاذُري (أحمد بن يحيى بن جَابر) المتوفَّى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م.

«أَنْسَابُ الأَشْرَاف»، الأوَّلُ تحقيق محمد حميد الله، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٥٩، وخمسة أقسام تحقيق عبد العزيز الدُّوري وإحسان عَبَّاس ورمزي بَعْلَبكي ومحمد اليَعْلاوي، النشرات الإسلامية ـ ٢٨، بيروت ـ المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٩٧٨ـ٢٠٠٢م.

البِيرُوني (أبو الرَّيْحان محمد بن أحمد الخُوَارَزْمي) المتوفَّى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م.

«الآثارُ الباقِيَة عن القُرُونِ الخالية»، تحقيق إدوارد سخاو، ليبتسج ـ أوتو هرازوفيتش ١٩٢٣م.

ابن تَيْمِيَّة (تَقِيّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم) المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م.

«درء تعارض العقل والنقل»، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض ١٩٧٩م.

ابن تُومَرْت (محمد بن عبد الله، مهدي المُوَحِّدين) المتوفَّى سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م.

«عَقِيدَةُ ابن تُومَرْت» (عَقِيدَةُ التَّوْحِيد)، تصحيح محيي الدِّين صَبْري الكُرْدي، القاهرة ١٩٣٠م.

ابنُ الجَوْزي (أبو الفَرَج عبد الرحمن بن علي بن محمد القُرَشي البَغْدادي) المتوفَّى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م.

«المُنْتَظَمُ في تواريخِ المُلُوكِ والأُمَم»، ١ـ ١٠، حقَّقه وقدَّم له سهيل ذكّار، بيروت ـ دار الفكر ١٩٩٥م.

الحاكِمُ الجُشَمِي (أبو السَّعْد المُحَسِّن بن محمد بن كَرَّامَة البَيْهَقي) المتوفَّى سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م.

«شرح عون المسائل» في كتاب «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة»، اكتشفها وحققها فؤاد سيد، تونس ـ الدار التونسية للنشر ١٩٧٤، ١٩٨٦م.

ابنُ حَجَر العَسْقَلاني (شِهَابُ الدِّين أبو الفضل أحمد بن علي) المتوفَّى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م.

«تَهْذيبُ التَّهْذيب»، ١ـ ١٢، حيدر آباد الدكن ـ مجلس دائرة المعارف النظامية ١٣٢٥ـ ١٣٢٧هـ/١٩٠٧ـ١٩٠٩م.

«رَفْعُ الإصْرِ عن قُضَاةِ مصر»، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٩٨م.

الخَطيبُ البَغْدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابِت) المتوفَّى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م.

«تاريخ مدينة السلام»، ١ـ ١٧، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٠م.

ابنُ خَلْدُون (وليُّ الدِّين أبو زَيْد عبد الرَّحْمَن بن محمد بن محمد الحَضْرَمي الإشْبيلي) المتوفَّى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م.

«كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخَبَر في أيَّام العَرَب والعَجَم والبَرْبَر ومن عاصرهم من ذوي السُّلْطان الأكبر»، ١ـ ١١، بإشراف إبراهيم شبُّوح، تونس ـ القيروان للنشر ٢٠٠٦ـ٢٠١١م.

ابنُ خَلِّكان (شَمْسُ الدِّين أبو العَبّاس أحمد بن محمد) المتوفَّى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م.
«وَفَيَاتُ الأعْيَانِ وأنْبَاءُ أبْنَاءِ الزَّمان»، ١ـ٨، تحقيق إحسان عَباس، بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٩-١٩٧٢م.

الدَّبَّاغ (أبو زَيْد عبد الرَّحمن بن محمد بن علي الأنْصَاري) المتوفَّى سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م.
«مَعَالِمُ الإيمان في مَعْرِفَة أهْلِ القَيْرَوان»، ١ـ٢، الأوَّل بتحقيق إبراهيم شبوح، والثاني بتحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٦٨-١٩٧٢م.

الذَّهَبي (شَمْسُ الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عُثْمان بن قايْماز) المتوفَّى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م.
«تاريخُ الإسْلام ووَفَيَاتُ المشاهير والأعْلام»، ١ـ١٧، حَقَّقه وضَبَطَ نَصَّه بَشّار عَوّاد معروف، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٤م.
«تَذْكِرَةُ الحُفَّاظ»، ١ـ٤، حيدرآباد الدكن ـ دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٥-١٩٥٨م.
«سِيَرُ أعْلام النُّبَلاء»، ١ـ٢٥، حَقَّقَ نُصُوصَه وخَرَّجَ أحاديثَه وعَلَّقَ عليه شُعَيْب الأرْنؤوط وحسين الأسَد، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ١٩٨١-١٩٨٨م.
«مِيزانُ الاعْتِدال في نَقْدِ الرِّجال»، ١ـ٤، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣-١٩٦٤م.

سَاوِيرُس بن المُقَفَّع، أسْقُفُ الأشْمونين، عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.
«تاريخُ بَطَارِكَة الكَنِيسَة المصرية» المعروف بـ «سِيَر البِيعَة المُقَدَّسَة» (المنسوب إلي)، نَشَرَ B. Evetts الجزء الأوَّل، من القديس مُرْقُس حتى البطرك السادس عشر ثاونا Theonas بعنوان *History of the Patriachs of the Coptic Church of Alexandria* في مجلة *Patr. Or.* I (1970), pp. 101-214؛ ونشر الأجزاء من الثاني إلى الرابع يَسّي عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأزولد بورمستر وأنطون خاطر، القاهرة ـ جمعية الآثار القبطية ١٩٥٩-١٩٧٤م.

السُّبْكي (تاجُ الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب بن علي) المتوفَّى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م.
«طَبَقَاتُ الشَّافِعِية الكبرى»، ١-١١، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة - هَجَر للطباعة والنشر ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابنُ سَعْد (أبو عبد الله محمد بن سَعْد، كاتِب الواقِدي) المتوفَّى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.
«الطَّبَقاتُ الكبرىٰ»، ١-٩، بيروت - دار صادر ١٩٥٧-١٩٥٨م.

السُّيُوطِي (جَلالُ الدِّين أبو الفَضْل عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن محمد) المتوفَّى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م.
«حُسْنُ المحاضَرَة في تاريخِ مِصْر والقاهِرَة»، ١-٢، حَقَّقَه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م.

أبو شامَة (شِهابُ الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل المَقْدِسي) المتوفَّى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م.
«كِتابُ الرَّوْضَتين في أخبَارِ الدَّوْلَتين»، الجزء الأول في قسمين، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٥٦-١٩٦٢م، والجزء الثاني للمحقق نفسه، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٩٨م.

الشَّهْرِستاني (أبو الفَتْح محمد بن عبد الكريم) المتوفَّى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م.
«المِلَلُ والنِّحَل»، ١-٢، تخريج محمد بن فتح الله بدران، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦م.

الصَّفَدي (صَلاحُ الدِّين خَليل بن أيْبَك) المتوفَّى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.
«الوافي بالوفيات»، ١-١٩، و٢١-٢٢، ٢٤-٢٥، ٢٧، ٢٩، تحقيق مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية - ٦)، استامبول - بيروت ١٩٤٩ - ١٩٩٩م.

الطَّبَري (أبو جَعْفَر محمد بن جَرير) المتوفَّى سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م.
«تاريخُ الطَّبَري» المسمَّى «تاريخُ الرُّسُلِ والمُلُوك»، ١-١٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة - دار المعارف ١٩٦٠-١٩٦٩م.

العَبّاسي (عبد الرحيم بن أحمد) المتوفّى سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م.
«معاهد التنصيص وشواهد التلخيص»، حقّقه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٧م.

ابنُ عِذاريّ (أبو عبد الله محمد بن محمد المرّاكشي) المتوفّى نحو سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م.
«البَيَانُ المُغْرِب في أخْبَارِ الأنْدَلُس والمَغْرِب»، ١ـ٤، تحقيق ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ليدن ١٩٤٨م.

ابنُ عَسَاكِر (الحافِظُ أبو القاسم علي بن الحسن بن هِبَة الله الدِّمَشْقي الشّافِعي) المتوفّى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م.
«تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشْعَري»، نشره حسام الدين القدسي، دمشق، ١٣٤٧هـ.

أبو الفَرَج الأصْفَهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأُمَوي) المتوفّى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م.
«الأَغَـاني»، ١ـ١٦، القاهرة ـ دار الكتب المصرية (القسم الأدبي) ١٩٢٧ـ١٩٥٦م؛ ١٧ـ ٢٤، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٧٠ـ١٩٧٤م.

ابنُ الفَرَضي (ابو الوَليد عبد الله بن محمد بن يُوسُف الأزْدي) المتوفّى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م.
«تاريخُ عُلَماءِ الأنْدَلُس»، نَشَرَه عزّت العَطّار الحسيني، القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

ابن فُورَك (أبو بكر محمد بن الحَسَن) المتوفّى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م.
«مجرَّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشْعَري»، عني بتحقيقه دانيال جيماريه، بيروت ـ دار المشرق ١٩٨٧م.

القاضي النُّعْمَان بن محمد بن حَيُّون، المتوفّى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م.
«دَعَائِمُ الإسْلامِ وذِكْرُ الحَلالِ والحَرَامِ والقَضايا والأحْكامِ عن أهْلِ بَيْتِ رَسُولِ الله عليه وعليهم أفْضَلُ السَّلام»، ١ـ٢، تحقيق آصف بن علي بن أصغر فيضي، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٥م.

القاضي عبد الجبّار (عماد الدّين أبو الحَسَن عبد الجبّار بن أحمد) المتوفّى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م.

«فَضْلُ الاعْتِزَالِ وطَبَقَاتُ المُعْتَزِلَة»، اكْتَشَفَها وحَقَّقَها فؤاد سيّد، تونس ـ الدار التونسية للنشر ١٩٧٢م.

«المغني في أبواب التوحيد والعدل»، الجزء السابع: خلق القرآن، باعتناء إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٦١م.

القاضي عِيَاض (أبو الفَضْل عِيَاض بن مُوسَىٰ اليَحْصُبي) المتوفّى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م.

«تَرْتِيبُ المَدَارِكِ وتَقْرِيبُ المسالِكِ لمعرفة أَعْلام مَذْهَبِ مالِك»، ١ـ٤، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابنُ قُتَيْبَة (أبو محمد عبدُ الله بن مُسْلِم) المتوفّى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م.

«المَعَـارِفُ»، حَقَّقَه وقَدَّمَ له ثَرْوَت عُكاشَة، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٩م.

القُرَشي (مُحْيِي الدِّين أبو محمد عبد القادِر بن محمد الحَنَفي) المتوفّى سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٤م.

«الجَوَاهِرُ المُضِيَّة في طَبَقَاتِ الحَنَفِيَّة»، ١ـ٥، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة ـ هَجَر للطباعة والنشر ١٩٩٣م.

ابنُ القَطَّان (أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكُتامي) منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

«نَظْمُ الجُمَانِ لتَرْتِيبِ ما سَلَفَ من أَخْبَارِ الزَّمان»، دَرَسَه وقدَّمَ له وحَقَّقَه محمود علي مكي، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م.

الكِنْدي (أبو عُمَر محمد بن يُوسُف) المتوفّى بعد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م.

«وُلاةُ مِصْر»، تحقيق حسين نَصَّار، بيروت ـ دار صادر ١٩٥٩م.

المالِكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن عبد الله) المتوفّى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

«رِياضُ النُّفُوسِ في طَبَقاتِ عُلَمَاءِ القَيْرَوانِ وإفْرِيقية»، ١ـ٣، تحقيق بشير البَكُّوش ومراجعة محمد العروسي المَطْوي، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣م.

أبو المحَاسِن (جمالُ الدِّين يُوسُف بن تَغْري بِرْدي) المتوفَّى ٨٧٤هـ/١٤٧٠م.
«النُّجُومُ الزَّاهِرَة في مُلُوكِ مِصْر والقاهِرَة»، ١ـ ١٢، بتعليقات محمد رمزي بك، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٩ـ١٩٥٦م، ١٣ـ ١٦، تحقيق فهيم محمد شلتوت وجمال محمد محرز وإبراهيم علي طرخان وجمال الدين الشيال، القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠ـ١٩٧٢م.
ابن المُرْتَضَى (المهدي لدين الله أحمد بن يحيى) المتوفَّى سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م.
«طبقات المعتزلة»، تحقيق سوسنة ديفيلد فلزر، بيروت ـ المعهد الألماني للدراسات الشرقية ١٩٦١م.
المَسْعُودي (أبو الحَسَن علي بن الحسين) المتوفَّى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٦م.
«مُرُوجُ الذَّهَب ومَعادِنُ الجَوْهَر»، ١ـ٧، طبعة بربيه دي منار وبافيه دي كرتاى، عني بتحقيقها وتصحيحها شارل بِلا، بيروت ـ الجامعة اللبنانية ١٩٧٠ـ١٩٨٠م.
المَقْريزي (تَقِيُّ الدِّين أبو العَبَّاس أحمد بن علي بن عبد القادر) المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م.
«اتِّعاظُ الحُنَفَا بأخْبَارِ الأئِمَّة الفاطِميين الخُلَفَا»، ١ـ٣، الأول بتحقيق جمال الدِّين الشَّيَّال والثاني والثالث بتحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ـ١٩٧٣م، ونشرة أيمن فؤاد سيد، ١ـ ٤، لندن ودمشق ـ معهد الدراسات الإسماعيلية والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى ٢٠١٠م.
«الخِطَطُ» = «المَوَاعِظ والاعْتِبار».
«المُقَفَّى الكبير ـ كِتابٌ»، ١ـ ٨، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م.
«المَواعِظُ والاعْتِبار بذِكْر الخِطَطِ والآثار»، ١ـ ٥، قابله بأصوله وأعدَّه للنشر أيمن فؤاد سيد، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٣م.
المُنْذِري (زَكِيُّ الدِّين أبو محمد عبد العَظيم بن عبد القَوي) المتوفَّى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.
«التَّكْمِلَةُ لوَفَياتِ النَّقَلَة»، ١ـ ٤، حَقَّقَه وعَلَّقَ عليه بَشَّار عَوَّاد معروف، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ١٩٨١م.

ابنُ مُيَسَّر (تاجُ الدِّين محمد بن علي بن يُوسُف بن جَلَب راغِب) المتوفَّى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م.
«أخْبَارُ مصر ـ المُنْتَقَي من» انْتَقَاه تقيّ الدِّين المَقْرِيزي، حَقَّقَه وكَتَبَ مُقَدِّمَتَه وحواشيه ووَضَعَ فهارِسَه أيمن فؤاد سَيِّد، القاهرة ـ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨١م.

النَّديم (أبو الفَرَج محمد بن إسْحَاق بن محمد بن أبي يَعْقُوب الوَرَّاق) المتوفَّى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م.
«كِتابُ الفِهْرِسْت»، ١ـ٤، قابله بأصوله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٤م.

نَشْوَانُ الحِمْيَري (نَشْوانُ بن سَعيد بن سَلامَة الحِمْيَري) المتوفَّى سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م.
«رِسالَةُ الحُورِ العين»، حَقَّقَها كمال مصطفى، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٤٨م.

النَّوْبَخْتي (أبو محمد الحسن بن مُوسَىٰ بن الحسن) المتوفَّى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م.
«فِرَقُ الشِّيعَة»، تحقيق هيلموت ريتر، إستامبول ١٩٣١م.

النُّوَيْري (شِهَابُ الدِّين أحمد بن عبد الوَهَّاب البَكْري الشَّافِعي) المتوفَّى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م.
«نِهايَةُ الأرَبِ في فُنُونِ الأدَب»، ١ـ٣٣، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٣ـ١٩٩٧م.

وَكيعٌ (محمد بن خَلَفَ بن حَيَّان) المتوفَّى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م.
«أخْبَارُ القُضَاة»، ١ـ٣، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٧ـ١٩٥٠م.

ياقُوتُ الحَمَوي (شِهابُ الدِّين أبو عبد الله ياقُوت بن عبد الله) المتوفَّى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.
«مُعْجَمُ الأُدَبَاء»، ١ـ٢٠، نشره أحمد فريد رفاعي، القاهرة ـ دار المأمون ١٩٣٦ـ١٩٣٨م.
«مُعْجَمُ البُلْدان»، ١ـ٧، بيروت ـ دار صادر ١٩٩٥م.

ابنُ يُونُس (أبو سعيد عبد الرَّحمن بن أحمد الصَّدَفي المصري) المتوفَّى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م.
«تاريخُ ابن يُونُس المصري»، القسم الأوَّل: تاريخ المصريين والقسم الثاني: تاريخ الغُرَباء، جَمْعُ وتحقيق ودراسة وفَهْرَسَة عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، بيروت ـ دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.

المراجع العربية والمعرّبة

آدم متز :
«الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، تونس ـ الدار التونسية للنشر ١٩٨٧م .

إبراهيم بن مسعود المالكي .
«المقريزي وآراؤه الاعتقادية وموقفه من الفِرَقِ ـ دراسة ونقد في ضوء مذهب أهل السُّنّة والجماعة» ، ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين ـ جامعة أم القرى ٢٠٠٤م .

أحمد عجيبة .
«أسباب تحوُّل الإمام الأشْعَري عن المعتزلة» في كتاب الإمام أبو الحسن الأشعري ، إمام أهل السنة والجماعة ١: ١٧٣-٢٣٢.
«الإمام أبو الحسن الأشعري ـ إمام أهل السنة والجماعة» ، ١-٤، القاهرة ـ مركز الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ٢٠١٤م .

أيمن فؤاد سيد .
«الدولة الفاطمية في مصر ـ تفسيرٌ جديد» ، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٠م والهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م .
«المدارس في مصر قبل العصر الفاطمي» ، في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٣م .
«المقريزي وكتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠١٣م .

جلال محمد موسى .
«نشأة الأشعرية وتطورها» ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

جمال الدين الشيال .
«أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية» ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ١١ (١٩٥٧) ، ٣ـ ٢٩.

جولد تسيهر .
«العقيدة والشريعة في الإسلام ـ تاريخ التطور العقدي في الديانة الإسلامية» ، نقله إلى اللغة العربية وعلَق عليه محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر ، القاهرة ـ دار الكاتب المصري ١٩٤٦م .

حسن الشافعي .
«قراءة جديدة في إمام أهل السُنَّة أبي الحسن الأشعري ـ نهاية إشكالية فكرية» ، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السُنَّة والجماعة ٢: ١٧٧ـ ٢٠٢.

حسن محرَّم الحويني .
«عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب شيخ أبي الحسن الأشعري ـ حياته ومكانته بين أئمة أهل السُنَّة» ، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السُنَّة والجماعة ١: ١٢٧ـ ١٧٨.

حمودة غرابة .
«الأشعري ، أبو الحسن» ، القاهرة ١٩٤٧م .

زهدي حسن جار الله .
«المعتزلة» ، القاهرة ١٩٤٧م .

عبد العزيز عبد الحق .
«أحمد بن حنبل والمِحنَة» ، القاهرة ـ دار الهلال ١٩٥٨م .

عبد الهادي محمد محبوبة .
«نظام الملك» ، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩م .

علي فهمي خشيم.
«الجبائيان، أبو علي وأبو هاشم»، طرابلس ١٩٧٠م، ٣٦٠-٣٦٧.
عمّار الطالبي.
«نظراتٌ في كتاب مجرّد مقالات الأشْعَري» في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السُّنَّة والجماعة ١: ٣٥٣-٣٧٦.

فتحي عبد الرازق.
«نظرات في كتاب الإبانة عن أصول الديانة»، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشْعَري إمام أهل السنة والجماعة ١: ٢٧٩-٣٤٥.
فهمي جدعان.
«المِحْنة: بحث في جدلية الدين والسياسة في الإسلام»، عمّان - دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٨٩.

محمد عزير شمس.
«تراث الإمام الأشعري بين المطبوع والمخطوط»، في كتاب الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة والجماعة، ١:٢٥٧-٢٧٧.
محمود الخضيري وعبد الهادي أبو رِيدة.
«مقدمة كتاب التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة»، القاهرة - دار الفكر ١٩٤٧م.
مصطفى جواد.
«المدرسة النظامية ببغداد»، سومر ٩ (١٩٥٣)، ٣١٣-٣٤٣.
مُفْلِح بن علي الشِّمّرِي.
«منهج المقريزي في تقرير المِلَل والنِّحَلِ من خلال كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - عرض ودراسة»، الرياض - دار المنهاج ١٤٣٤هـ.

المَراجِعُ الأجنبيّة

BOSWORTH, C.E., *EI*[2] art. *Nizam al-Mulk* VIII, pp.71-74.

GIMARET, D., «Bibliographie d' Ash'ari: un reexaminatio», *JA* (1985), pp.21-30.

———, *La doctrine d' al-Ash'ari*, Paris - CERF 1990.

———, «Les *Usul al-hamsa* du Qadi Abd al Gabbar et leurs Commentaires», *An. Isl*, 15 (1979) pp.47-96.

———, «Un document majeur pour l'historie de kalam: *Le Mugarrad maqalat al-Ash'ari* d' Ibn Furak», *Arabica* XXXII (1985), pp.185-218.

GUTAS, D., *Greek Through, Arabic Culture. The Graeco- Arabic Translation Movement in Baghdad and Early' Abbasid Society (2th-4th/8th-10th Centuries)*, London - New York 1998.

LAOUST, H., *EI*[2] art. *Ibn Taymiyya* III, pp.976-79.

———, *Essai sur les doctrines sociales et poletiques d'Ibn Taymiyya*, Le Caire - IFAO 1939.

LEISER, G., «Notes on the Madrasa in Medieval Islamic Society», *MW* LXXVI (1986), pp.29-47.

LITTLE, D. P. «The Historical and Historiographical Significance of the Detention of Ibn Taymiyya», *IJMES* 4 (1973), pp.311-27.

MADELUNG, W., *EI*[2] art. *al-Maturidi & al- Maturidiyya* VI, pp.836-39.

MAKDISI, G., «Ash'ari and the Ash'arites in Islamic Religious History», *SI* 17 (1962), pp.37-80, ID, *The Rise of Collage - Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981.

———, *EI*[2] art. *Al-Kunduri* V, p. 389.

———, «Muslim Institutions of Learning in Eleventh Century», *BSOAS* XXIV (1961) pp.1-56.

MASSIGNON, L., «Les Medressehs de Baghdad», *BIFAO* VII (1910), pp.77-86.

MONTGOMERY WATT, W., *EI*[1] art. *al-Ash'ari* I, pp. 715-16.

NAWWAS, JOHN A., «A Reexamination of Three Current Explanations for al-Ma'mun's Introducation of the Mihna», *IJMES* 26 (1994), pp.615-29.

———, «The Mihna of 218 A. H. /833 A. D. Revisited: An Empirical Study», *JAOS* 116 (1996), pp.698-708; M. HINDS, *EI*[2] art. *Al-Mihna* VII, pp.2-6.

PATTON, W., *Ahmed Ibn Hanbal and the Mihna. A Biography of the Imam including account of the Mohammedam inquisition called the Mihna 218-234,* Leiden - E.J. Brill 1897.

PEDERSEN, J., & MAKDISI, G., *EI*[2] art. *Madrasa* V, pp.1129-1144.

SEZGIN, F., *GAS = Geschichte des Arabishen Schrifttums* I-IX, Leiden 1967-1999.

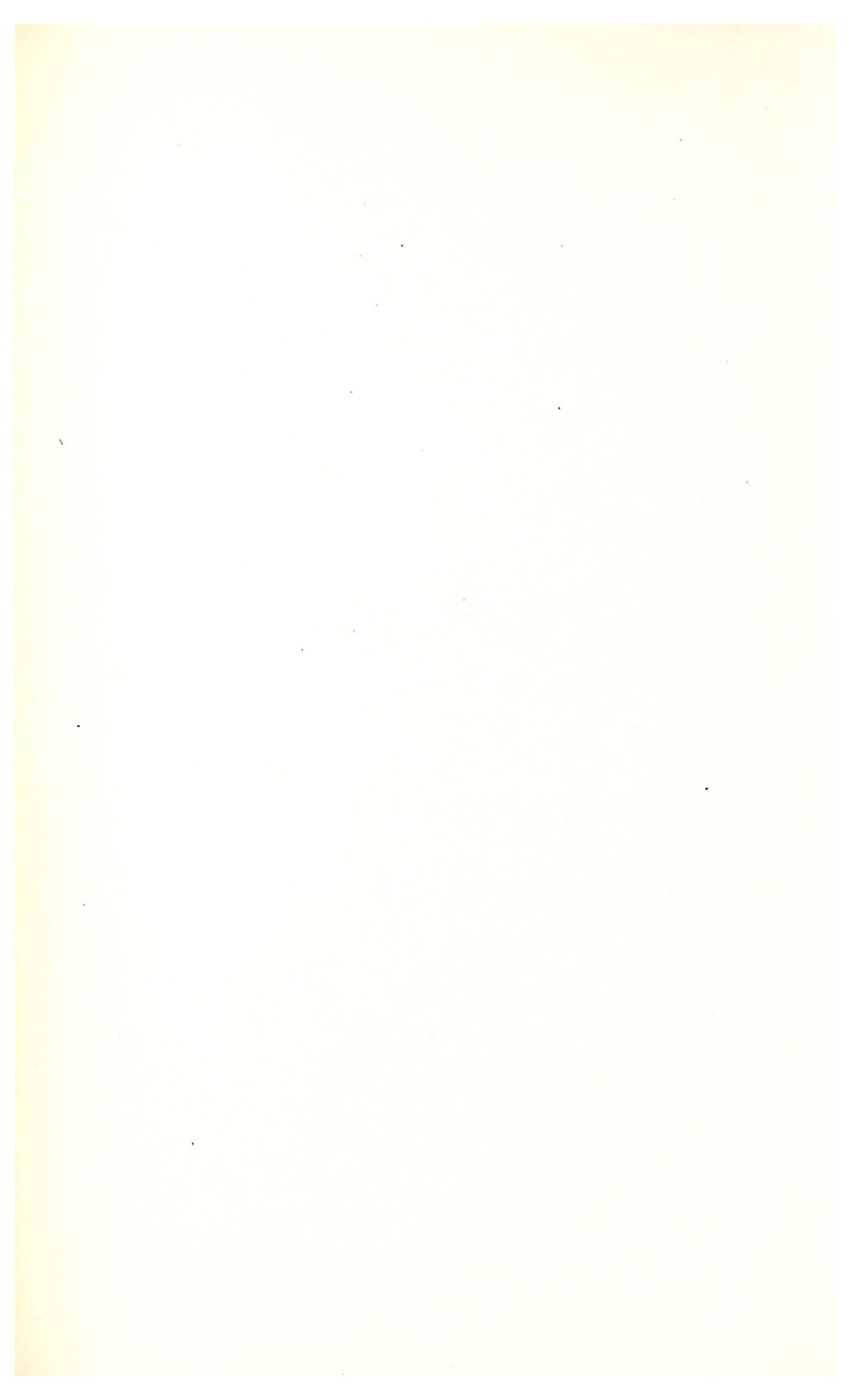
SHA'BN, A.H., *Islamic History - A New Interpretation,* Oxford 1978.

TALAS, A. *La madrasa Nizamiyya et son histoire,* Paris 1939.

VAN ESS, J., & GILLOT, CL. «Ibn Kullab et la Mihna», *Arabica* 37 (1990), pp.173-233.

WIET, G., *RCEA = Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe* IX, Le Caire - IFAO 1936.

الكشافات التحليلية



الأعلام



المُصْطَلَحات

الأماكن والبلدان

الفِرَقُ والقَبَائِلُ والطَّوائِفُ والجَمَاعَات

أسماء الكتب